الجمهورية الجزائرية الديمقراطية الشعبية

وزارة التعليم العالي والبحث العلمي

جامعة منتوري –قسنطينة–

كلية العلوم الإنسانية والعلوم الاجتماعية

قسم: التاريخ والآثار

رقم التسجيل: .....

الرقم التسلسلي: .....

المقاومة النوميدية للاحتلال الروماني في الجنوب الشرقي الجزائري

"ثورات الأوراس والتخوم الصحراوية نموذجا"

مذكرة مقدمة لنيل درجة الماجستير في التاريخ القديم
تخصص تاريخ حضارات البحر الأبيض المتوسط

إعـــداد الطالب: جمـــال مســـرحـــي

تحت إشراف: أ.د. محمد الصغير غانـــم

أعضاء لجنة المناقشة: تاريخ المناقشة: .....

الاسـم واللقـب	الـرتبـة	الصفـة	الجامعـة الأصليـة
عبد العزيز بن لحرش	أستـاذ محـاضـر	رئـيسـا	جامعة منتوري قسنطينة
محمـد الصغيـر غانم	أستـاذ التعليم العالـي	مشرفـا ومقـررا	جامعة منتوري قسنطينة
يوسـف عيبـش	أستـاذ محـاضـر	عضـوا منـاقشـا	جامعة منتوري قسنطينة
محمد العـربي عقـون	أستـاذ محـاضـر	عضـوا مناقشـا	جامعة منتوري قسنطينة

السنة الجامعية: 2008/ 2009م

قائمة بأسماء المختصرات الأجنبية المعتمدة في المذكرة:

- A.A.A.: Atlas Archéologique de l'Algérie, St. Gsell. Alger, 1991.
- A.A.: Antiquités Africaines.
- C.I.L. : Corpus Inscriptionum Latinarum, Berlin.
- H.A.A.N: Histoire Ancienne de l'Afrique du Nord, St.Gsell, Paris, 1913-1918.
- M.E.F.R.A.: Mélange de l'Ecole Française de Rome, Antiquité, Rome, Paris.
- R.Af. : Revue Africaine, Alger.
- R.S.A.C.: Recueil des Notices et Mémoires de la Société Archéologique Historique et Géographique du département de Constantine.
- M.A.H. : Mélange d'Archéologie et d'Histoire, Paris.
- D.H.A. : Dialogue d'Histoire Ancienne, Paris.
- Ency.Ber. : Encyclopédie berbère, Paris.

المقدمـــة:

يعتبر تاريخ المغرب القديم بصفة عامة والنوميدي منه بصفة خاصـــة مـــن بـــين المواضيع التي لم تتضح معالم دراستها بعد بصورة دقيقة، ذلك ما استوجب على الدارسين للتاريخ المغاربي القديم بذل المزيد من الجهود للقيام ببحوث جادة، بغية توحيـــد وجهـــات النظر والرؤى، من أجل رفع اللبس وإلقاء الضوء على جوانب مهمة من تاريخنا القديم.

من هذا المنطلق، فإن اتخاذ المقاومة النوميدية للاحتلال الروماني كنموذج للبحـــث التاريخي جدير بأن يكون موضوعا هاما للتأكيد علـــى الفعـــل الرومـــاني، ورد الفعـــل المغاربي، خاصة في المناطق الداخلية من جنوب المملكة النوميدية، التي تعرضت للتقسيم أكثر من مرة بعد سقوطها في يد الاحتلال الروماني وحتى قبله ، فقـــد حـــاول الـــساسة الرومان انتهاج سياسة فرق تسد مع الأمراء النوميديين، وذلك بتوجيه الأحداث والأوضاع الداخلية النوميدية نحو التأزم ومن ثمة إيجاد مبرر للتقسيم، مثلما حدث بعد وفـــاة العاهـــل النوميدي ماسنيسا سنة 148 ق.م، حيث أشرف القائد الروماني سيبيون إيميليانوس علـــى تقسيم الحكم في المملكة النوميدية بين الأبناء الثلاث للملك الراحل. ولـــم يتغيـــر أســـلوب انتقال السلطة في نوميديا بعد وفاة الملك مسيبسا سنة 118 ق.م، حيث لجأ الرومان مـــرة أخرى إلى توجيه الأوضاع نحو التقسيم، بل إذكاء الفتن والصراعات بين ورثة العـــرش النوميدي، غير أن حنكة وقوة الأمير يوغرطه أجلت تحقيق أهداف الرومان وذلك بتوحيده للملكة تحت سلطته حوالي سنة 113 ق.م، إلا أنه على إثر المقاومة الشجاعة التي قادهـــا هذا الأخير والتي ذهب ضحيتها سنة 105 ق.م، يفتح المجال أمام الرومان ليعبثـــوا مـــن جديد بحدود المملكة النوميدية من خلال تقسيمها إلـــى ثلاثـــة أجـــزاء وتوزيعهـــا علـــى المتحالفين معهم وذلك بعد المؤامرة التي قام بها بوكوس الأول ملك موريتانيا رفقة القائـــد الروماني سيلا.

وبعد مرور حوالي نصف قرن من ذلك التاريخ يلجأ الرومان إلى أسلوب الاحتلال المباشر وذلك بإزالة الدولة الإقليمية النوميدية حاولي سنة 46 ق.م علـــى إثـــر انتـــصار يوليوس قيصر في حربه بإفريقيا ضد الملك النوميدي يوبا الأول، وقد أنشأ قيصر مقاطعة

رومانية باسم إفريقيا الجديدة (Africa Nova) على أنقاض المملكة النوميدية التي كان يوبا الأول آخر ملوكها.

كان إنهاء الرومان للدولة الإقليمية النوميدية قد مكنهم من التوغل في المناطق الداخلية بحثا عن المجال الحيوي، وظروف أفضل لتثبيت دعائم الاحتلال من خلال إقامة المستوطنات في العمق النوميدي، غير أنه لم يكن بوسع المستوطنيين الرومان أو جيوشهم الاستقرار واستغلال الثروات بسهولة، ذلك أن العناصر المحلية كانت ترفض دوما أولائك الدخلاء، ويتجلى ذلك في المقاومة المستمرة للوجود الروماني في المناطق التي يصل إليها مدهم التوسعي.

أمام كل ذلك التحدي لسياسة الرومنة برزت الكتلة الأرواسية الواقعة في الجنوب الشرقي للجزائر تاريخيا كقلعة حصينة، تقف دوما صامدة في وجه الاحتلال الأجنبي.

من جهتهم أدرك الرومان منذ الوهلة الأولى أهمية الأوراس الإستراتيجية، فأحاطوه بأحزمة أمنية أصطلح على تسميتها بخطوط الليمس[*] واتخذت منه الإدارة الرومانية إحدى أهم آلياتها لتثبيت دعائم الاحتلال في المغرب القديم. ولم يقتصر دور الليمس على

---

[*] الليمس: لقد ارتبط التغلغل الروماني في المناطق الداخلية بإقامة الأسوار والحصون حول معسكرات الجيش ثم امتدت تلك الأسوار لتشمل المدن، وفيما بعد كل الإقليم الخاضع للسيطرة الرومانية، واصطلح على تسمية تلك الأسوار والخنادق والتحصينات الدفاعية بالليمس.

وتطور مفهوم الليمس بعد الدراسات والأبحاث الحديثة التي أجريت في مختلف مواقع ومكونات الليمس ليشمل إلى جانب الناحية العسكرية الناحيتين الاقتصادية والعمرانية، فتلك الأسوار والحصون تمثل لدى الرومان الحد الفاصل بين التحضر الذي يمثله العنصر الروماني المحتمي داخل أسوار الليمس والممارس داخل الأنشطة الزراعية وبين البداوة الآتية من وراء تلك الأسوار، والتي تهدد في نظرهم الوجود الروماني في مناطق الليمس.

لقد تدرج الرومان في تحصين حدود سيطرتهم وفقا لما يحرزه جيشهم على الأرض، وما يحتله منها ويضمه إلى ممتلكات الإمبراطورية الرومانية، وتشير بعض الدراسات الحديثة إلى أن مقاومة السكان المحليين في إفريقيا فرضت على الأباطرة الرومان إعادة تهيئة الليمس، خلال القرن الثالث الميلادي وذلك بتكثيف الأجهزة الدفاعية كالحصون والطرق والخنادق التي تشكل هذه المؤسسة المعقدة... لمزيد من المعلومات أنظر:

- Winkler (A.), «frontiere méridionale ou limès de l'Afrique propre (Tunisie et Algérie)», R.T (1909), pp. 37-47;
- بوشناقي منير، المدن القديمة في الجزائر، وزارة الإعلام والثقافة، الجزائر، 1978، ص. 54.

الجانب العسكري أو الأمني فحسب، بل ارتبط بجوانب أخرى كالاستيطان واستغلال الأراضي، فشكل (الليمس) بذلك مؤسسة معقدة المكونات ومتكاملة الأدوار.

إلا أنه في ظل نقص المصادر بنوعيها الكتابية والمادية التي من شأنها أن تفيدنا بالمادة الخبرية حول نشاط مؤسسة الليمس والنشاط المحلي النوميدي – الموري– المضاد لها، فإن الأبحاث الأثرية والحفريات التي أجريت في مناطق الليمس، وكذلك استقراء النقوش والبقايا المادية الأخرى، إضافة إلى النتائج الهامة التي توصل إليها ضابط الطيران الفرنسي ج. باراديز (J. Baradez) (أثناء فترة الاحتلال) عن طريق التصوير الجوي الذي أجري في المنطقة خلال سنتي 1945–1946 تبقى تلك التقنية من أهم الوسائل لاقتفاء آثار الخطوط الدفاعية الرمانية تلك، وبالتالي إمكانية إجراء محاولات لإعادة استقراء واستنطاق تلك الشواهد لإزاحة النقاب عن نشاط مؤسسة الليمس، والوظائف التي كانت تؤديها والأهداف التي حققتها، وردود الفعل التي صدرت عن السكان المحليين تجاهها.

هذا ما جعلنا نأخذ بهذا البحث وجهة عسكرية، باعتبار أن معظم المصادر والوثائق المتصلة به مرتبطة بالأحداث الحربية أكثر من ارتباطها بالجوانب الاقتصادية والاجتماعية، لذلك ارتأينا أن نبرز المقاومة النوميدية الأولى للوجود الروماني على الأرض الإفريقية واستمرارها مع التغلغل الروماني في المناطق الداخلية، وأن ندرس النشاط العسكري الروماني في الجنوب الشرقي النوميدي، وردود الفعل المحلية الرافضة للوجود الأجنبي على أراضيها. وذلك من خلال دراسة منظومة الخطوط الدفاعية المكونة لليمس النوميدي الذي شكل إحدى أهم آليات التغلغل الروماني المباشر في المناطق الداخلية، والذي بدأ مع سقوط قرطاجة سنة 146 ق.م وساهمت فيه إلى حد ما السياسات المنتهجة من قبل الملوك النوميديين، وذلك بإتاحتهم الفرصة للرومان بأن يتدخلوا لتوجيه الأحداث وفقا لمصالحهم.

ولعل اهتمامنا الشخصي بالتفاعلات الحضارية التي عرفها المغرب القديم في فترات الحرب والسلم من خلال احتكاكه بالحضارات التي عرفها البحر المتوسط عموما والمجاورة له خصوصا، ألزمنا التحلي بالإرادة القوية والعزيمة الصلبة على الخوض في هذا الموضوع علنا نبرز نشاط الجيش الروماني التوسعي الاحتلالي انطلاقا من

تحصيناته، ومعسكراته، ومراكزه والطرق التي شيدها، ونبين آثار مد خطوط الليمس على الأرض والإنسان دون إهمال ردود الفعل المحلية، خاصة لدى القبائل الموزيلامية (Musulames) والجيتولية (Gitules)، والتحالفات المختلفة بين القبائل النوميدية والإفريقية في الأوراس وما حوله لدرء الخطر الروماني القادم من الشمال.

إن المهتم بتاريخ المغرب القديم يلاحظ ندرة المعارف المتصلة بالمناطق الداخلية النوميدية التي ظل تاريخها بعيدا عن إضاءات البحث مما يجعلها تعاني الغموض وعدم الاهتمام.

ومن جانب آخر، دأبت المدرسة التاريخية التقليدية التركيز على الفعل الروماني في الإطار الجغرافي الذي شملته الإمبراطورية الرومانية، بمختلف مضامينه العسكرية والإدارية ثم الاجتماعية والاقتصادية، والانجازات الحضارية المرتبطة بالجوانب العمرانية كالمعابد والقصور والأسوار وغيرها.

وهذا يقودنا إلى التساؤل عن الأهداف التي سعت المؤسسة العسكرية الرومانية إلى تحقيقها من خلال تواجدها في الجنوب الشرقي النوميدي؟ وكذا عن الانجازات المحققة من قبل جيش الاحتلال الروماني في المنطقة؟ وعن مدى الاستقرار الذي تمتعت به المناطق الخاضعة للسيطرة الرومانية؟.

إن النجاح النسبي والسهولة التي وجدها الرومان في تكريس احتلالهم للمنطقة المغاربية يدفعنا إلى التساؤل مرة أخرى: هل كان ذلك فعلا بتواطؤ من بعض العناصر المحلية، كما تبرز ذلك الكتابات الأجنبية، أم أن هناك بعض الحقائق التي ظلت خفية عن تاريخ المنطقة؟

وأخيرا، يمكننا أن نتساءل عن فعل المقاومة التي انطلقت من الجنوب الشرقي النوميدي، هل عبرت عن وعي القبائل القاطنة في تلك المنطقة بضرورة التصدي للأجنبي، وذلك ما جعلها تتحالف مع بعضها البعض؟ أم أن مقاومتها كانت لأسباب مرتبطة باغتصاب أراضيها واستغلالها من قبل المحتلين. ولم تكن قد بلغت بعد درجة

الوعي السياسي الذي يجعلها تدرك ضرورة الوحدة الناتجة عن الشعور الإقليمي الذي يربط بين تلك القبائل؟.

ورغم أن الموضوع قد أشير إليه من قبل بعض الباحثين الفرنسيين إبان الحقبة الاستعمارية، والذين تناولت دراساتهم بعض الجوانب المتعلقة بالمقاومة النوميدية، مركزة اهتمامها بالجانب الروماني وانتصاراته المحققة في الميدان، وهذا أحد أهم الدوافع التي نطمح من خلالها إلى إزالة اللبس عن أسلافنا المغاربة القدماء سواء أكانوا نوميد أو مور أو ليبو أو أمازيغ، وإظهار أخبارهم بصورة أوسع، من خلال إبراز العلاقة الجدلية القائمة بين الفعل الاستعماري الروماني ورد الفعل المحلي المقاوم له.

وقد اعتمدنا في ذلك على منهج تحليلي استنباطي للوصول إلى إجابات وافية على التساؤلات المطروحة والتي أشرنا إليها آنفا.

ونظرا لطبيعة الموضوع والأفكار الأساسية التي يتضمنها، فإننا قسمنا عملنا هذا إلى أربعة فصول شملت عناوين فرعية حاولنا من خلالها تغطية الموضوع من جميع جوانبه وفقا للخطة التالية:

لقد أبرزنا في الفصل المدخلي الإطار الزمني للموضوع وحددنا المجال الجغرافي له زيادة على إظهار الخصائص الجغرافية لأقاليم المملكة النوميدية.

أما الفصل الأول، والمدرج تحت عنوان نوميديا عشية الاحتلال الروماني فقد ارتأينا أن نشير فيه إلى الأوضاع السائدة في المملكة النوميدية عشية الاحتلال الروماني لها، حيث تطرقنا فيه إلى العلاقات النوميدية القرطاجية أثناء فترات حكم: الملوك سيفاكس وماسنيسا ومسيبسا، ثم أشرنا إلى تداعيات تدمير قرطاجه سنة 146 ق.م على المنطقة المغاربية عموما والمملكة النوميدية خصوصا.

وفي الفصل الثاني أبرزنا طبيعة الاحتلال الروماني للمغرب القديم ورد الفعل النوميدي، وذلك من خلال دراسة مقاومة يوغرطه وانعكاساتها على الدولة النوميدية، بعد التطرق إلى مولد الملك يوغرطه ونشأته، واستعرضنا خلفيات تبني مسيبسا لابن أخيه يوغرطه، ثم أبرزنا الصراع على العرش النوميدي بعد وفاة الملك مسيبسا وآثاره على

وحدة المملكة النوميدية ودور الرومان في إثارة النـــزاع والـــصراع وتأليـــب الأمـــراء النوميديين ضد بعضهم البعض، ثم حاولنا أن نبين رغبة يوغرطه في الحفاظ على وحـــدة نوميديا وتهديده لمصالح الرومان حينما تحالف مع ملك موريطانيا بوكوس الأول من أجل حماية البلاد من الأطماع الاستعمارية الرومانية قبل أن يتآمر هؤلاء الأخيرين عليه. ثـــم استعرضنا التطورات السياسية في المملكة النوميدية بعد هزيمة يوغرطـــه، وفـــي ختـــام الفصل الثاني تطرقنا إلى مقاومة الملك يوبا الأول ونتائجها، حيث بيّنا كيف تم إلغاء الدولة الإقليمية في نوميديا على إثر هزيمة يوبا الأول أمام يوليوس قيصر وتكـــريس الاحـــتلال الروماني وبداية تغلغله نحو المناطق الداخلية في إطار الاستيطان المـــنظم الـــذي رافـــق انتصار قيصر في إفريقيا بعد سنة 46 ق.م.

أما الفصل الثالث الذي أدرجناه تحت عنوان: مقاومة الأوراس والتخوم الصحراوية، فقـــد مهدنا له باستعراضنا للنظامين الإداري والعسكري اللذين حكما مـــن خلالهمـــا الرومـــان نوميديا بعد زوال الدولة الإقليمية على يد قيصر سنة 46 ق.م، كما أشرنا إلى ذلـــك آنفـــا واستمرار تلك السياسة على يد الأباطرة الرومان الذين جاؤوا من بعده خاصة الإمبراطور أوكتافيوس الذي لقب بأغسطس سنة 27 ق.م، وهو يعد من بين الذين أرسوا قواعد سياسة الرومنة في بلاد المغرب القديم.

بعد ذلك أشرنا إلى الانتفاضة التي عرفها الجنوب النوميدي في بداية القـــرن الأول الميلادي والتي تزعمتها القبائل الجيتولية ثم تناولنا بالتفصيل أحداث مقاومة الأوراس التي قادها الثائر الموزيلامي تاكفاريناس في الفترة ما بين سنتي 17-24 للميلاد. وقد تناولنـــا بالدراسة: المجال الجغرافي لتلك المقاومة والإستراتيجية التـــي اتبعهـــا تاكفارينـــاس ثـــم استنتجنا الأسباب التي كانت وراءها وحددنا الظروف التي اندلعت فيها تلـــك المقاومـــة، وتتبعنا المراحل التي مرت بها بدء بمرحلة جس النبض في بدايتها وصولا إلـــى مرحلـــة نهاية المقاومة وتراجعها مرورا بمرحلة التوازن ووقوف تاكفارينـــاس النـــد للنـــد أمـــام الرومان. وفي ختام الفصل أبرزنا بالتحليل النتائج المترتبة عن فشل تلك المقاومـــة علـــى المنطقة المغاربية بصورة عامة والجنوب النوميدي الشرقي بصورة خاصة.

في حين تطرقنا في الفصل الرابع والأخير إلى تغلغل الاحـــتلال الرومـــاني فـــي المناطق الجنوبية الشرقية النوميدية من خلال مد الخطوط الدفاعية، وقد تتبعنا مسار تلـــك الخطوط والمراحل التي مر بها إنشاؤها خلال القرون الثلاثة الأولى للمـــيلاد، وأعمـــال الاستغلال والنهب الممارسة من قبل العسكرية الرومانية في المجال الجغرافي الذي مدت فيه تلك الخطوط إضافة إلى الانعكاسات المترتبة عنها وآثارها على البيئة والإنسان.

كما زودنا البحث بعدد من الخرائط والأشكال التوضيحية التي رأينا أنها ضرورية لتدعيم الموضوع بمختلف عناصره.

تجدر الملاحظة إلى أن طبيعة الموضوع تطلبت التركيز على الجانبين التـــاريخي والأثري للوصول إلى النتائج المتوخاة خاصة وأنه يتناول فتـــرة زمنيـــة طويلـــة نـــسبيا استوجبت دراستها والبحث فيها الرجوع إلـــى المـــصادر التـــي تناولـــت الموضـــوع، والمعروف عنها أنها نادرة ولم تشر إلى التاريخ المغاربي إلا عرضا، والتـــي يمكـــن أن نذكر بعضا منها على وجه الخصوص: "التاريخ الطبيعي" (Histoire Naturelle) للمؤرخ بلينوس القديم (Pline l'Ancien)، وتحديدا الجزء الخامس منه الذي أشار فيه إلى الكثيـــر من المدن النوميدية والقبائل القاطنة بها. وكتاب "التـــاريخ العـــام" (Histoire Générale) للمؤرخ بوليبيوس (Polybius) الذي أفادنا في إبراز أحداث الصراع القرطاجي- الروماني إضافة إلى أهم معالم فترة حكم الملك ماسنيسا، كما استعنا بفقرات مـــن كتـــاب "التـــاريخ الروماني" (Histoire Romaine) للمؤرخ تيتيوس ليفيوس (Titius Livius)، لاسيما فيمـــا تعلق بالصراع بين العاهلين النوميديين سيفاكس وماسنيسا، وحيـــاة الأميـــرة سوفونيـــسبة زوجة الملك سيفاكس.

والجدير بالملاحظة حول بعض المصادر، هو أن معظم الأحداث تم استيقاؤها مـــن مصدر واحد، وهو المعتمد في جل الدراسات الحديثة التي تناولت تلـــك الأحـــداث، مثـــل مقاومة الملك يوغرطه التي أوردها المؤرخ الروماني سالوستيوس (Sallustius) في كتابه "حرب يوغرطه" (Bellum Jugurthinum)، ومقاومة تاكفاريناس التي أشار إليها المؤرخ اللاتيني تاكيتوس (Tacite) في حولياته (Les Annales). وقد لاحظنا فيما أوردتهـــا تلـــك المصادر عدم الدقة في سرد الأحداث ومجانبتها للالتزام بالموضوعية. فغالبيـــة هـــؤلاء

المؤرخين كانوا متحيزين لشعوبهم في كثير من الأحيان، مما صعب علينا تأويل وتفسير الأحداث التي أوردوها، غير أننا استفدنا من الدراسات الحديثة التي تناولت الموضوع، سواء فيما تعلق منها بالجانب التاريخي أو الجانب الأثري، نذكر من ذلك على وجه الخصوص:

- مؤلفات المؤرخ الفرنسي ستيفان جزيل (S. Gsell): "التاريخ القديم لإفريقيا الشمالية" (Histoire Ancienne de l'Afrique du Nord) ثمانية أجزاء، و"الأطلس الأثري للجزائر" (Atlas Archéologique de l'Algérie) جزءان.
- مؤلفات جبرييل كامبس (G.Camps) على الرغم من عدم موضوعيتها كونها تنم عن توجه أنتروبولوجي يضرب على العرقية والقبيلية، يفرق ولا يوحد وهو ما كان سياسيا أكثر منه علمي تاريخي. خاصة مؤلفه الشهير: "في أصول البربرية، ماسنيسا أو بدايات التاريخ" (Aux Origines de la Bérbèrie, Massinissa ou les Débuts de l'Histoire).

يضاف إلى ذلك أبحاث ضابط الطيران الفرنسي ج. باراديز (J. Baradez) التي تضمنها كتابه "الحفر الإفريقية" (Fossatum Africae).

أيضا، فإن مؤلفات الباحث شارل سوماني (Ch. Saumagne) خاصة منها "نوميديا وروما" (la Numidie et Rome).

ومؤلفات الباحث مارسال بن أبو (M. Benabou) خاصة منها "المقاومة الإفريقية للاحتلال الروماني" (La Résistance Africaine a la Romanisation).

هذا بالإضافة إلى الدراسات والمؤلفات التي كتبت باللغة الوطنية نشير فيها على الخصوص إلى:

- مؤلفات الأستاذ غانم محمد الصغير التي من بينها: "المملكة النوميدية والحضارية البونية" و"مقالات وآراء في تاريخ الجزائر القديم".
- مؤلفات الأستاذ شنيتي محمد البشير ومنها: "الجزائر في ظل الاحتلال الروماني، بحث في منظومة التحكم العسكري، الليمس الموريطاني ومقاومة المور" جزءان.

كما استعنا بمجموعة هامة من الدراسات الجادة التي نشرت في الدوريات المختلفة نذكر منها على الخصوص:

- تاكفاريناس: " ثائر بربري ضـــد الاحـــتلال الرومـــاني" (Tacfarinas : "Insurgé Berbère Contre la Colonisation Romaine") مقال للباحث م. بن أبو نشر فـــي مجلة (الأفارقة) (les Africains) سنة 1977.
- الآثار القديمة من خنشلة (Mascula) إلـــى بـــسرياني (Ad Majorès). « Ruines Anciennes de Khanchela (Mascula) à Besseriani (Ad Majorès).» مقـــال للباحث أ. ماسكوراي (A.Masqueray) نـــشر فـــي المجلـــة الإفريقيـــة (Revue Africaine) الصادرة سنة 1879.

هذا بالإضافة إلى مجموعة من الدراسات التي نشرت باللغة العربيـــة فـــي العديـــد مـــن الحوليات نذكر منها:

- ثورة تاكفاريناس 17-24 للميلاد مقال للأستاذ حارش محمد الهادي نشر في مجلة الدراسات التاريخية سنة 1995.
- التوسع الروماني نحو الجنوب وآثاره الاقتصادية والاجتماعية، مقال للأستاذ شنيتي محمد البشير، نشر في مجلة الأصالة سنة 1977.
- دراسات ومقالات الأستاذ غانم محمد الصغير نذكر من بينها على الخصوص:
  - بعض ملامح التحرير ضد الاستعمار الروماني خلال القرن الأول الميلادي (ثورة تاكفاريناس نموذجا) مقال نشر في حولية المؤرخ سنة 2002.
  - علاقة نوميديا بالرومان، مقال نشر في مجلة التراث سنة 1987.

ورغم ما شاب بعض المصادر من انحياز مؤلفيها إلى شعوبهم إلا أننـــا اعتمـــدنا عليها واستفدنا منها وذلك بالوصول إلى نتائج هامة نذكر منها:

- بداية اهتمام الرومان بالأرض الإفريقية كان قبل تدميرهم لقرطاجة سنة 146 ق.م، غير أن هذه الحادثة عجلت بتواجدهم في الأرض الإفريقية واحتلالهم لها.
- تدهور الأوضاع في إفريقيا بعد قيام النظام الإمبراطوري في روما وذلك بتدعيم الأباطرة الرومان لسياسة الاحتلال الاستيطاني وتوسيع تواجده نحو الجنوب الشرقي النوميدي.
- العلاقة الجدلية بين الاحتلال الروماني والمقاومة النوميدية في المناطق الداخلية لاسيما الجنوبية منها.

وتجدر الإشارة إلى انه واجهتنا عدة صعوبات في إنجاز هذا البحث، حيث أن موضوعه استدعى وقتا طويلا وجهدا مضنيا، خاصة أنه يتناول فترة زمنية طويلة في ظل ندرة المصادر التي تطرقت إلى الموضوع أو صعوبة الحصول عليها.

وفي نهاية هذا البحث، أود أن أتوجه بالشكر الجزيل، والعرفان والامتنان إلى الأستاذ المشرف: الأستاذ الدكتور غانم محمد الصغير على رحابة صدره ورعايته التي غمرتني، وسداد نصحه الذي أسداه إلي خلال مراحل إنجاز هذا البحث، فله مني كل الاحترام والتقدير كما أتوجه بخالص شكري إلى كل الذين أمدوني بيد المساعدة من أساتذة وزملاء، أخص بالذكر منهم الأساتذة الكرام الذين تتلمذت على أيديهم في مرحلة ما بعد التدرج، وعمال المكتبات، خاصة عمال مكتبة معهد التاريخ بجامعة منتوري –قسنطينة– وعمال المكتبة الوطنية بالحامة – قسم الرصيد المغاربي– وعمال المكتبة المركزية بجامعة الجزائر.

والله الموفق

مدخل:تحديد الإطارين الزمني والمكاني.

أولا: الإطار الزمني:

1. ظهور الدولة النوميدية.

2.التسمية وضبط الإطار الزمني .

أ. المازيسيل.

ب. الماسيل.

ثانيا:المملكة النوميدية الموحدة :

1. الخصائص الجغرافية .

2. التقسيم الجغرافي للأقاليم النوميدية.

أ. الإقليم الشمالي الساحلي.

ب. إقليم الهضاب العليا.

ج. إقليم السهوب:

1-السفوح الأوراسية الجنوبية.

2- رفارف الصحراء.

أولا:الإطـــــار الــزمنـــي:

1. ظهور الدولة النوميدية.

تعتبر الفترة الممتدة من منتصف القرن الثاني قبل الميلاد إلى نهاية القرن الثالث منه، وهو ما يشمل الفترة الممتدة من تدمير قرطاجة سنة 146 ق.م، حيث وضع الرومان أقدامهم في الأرض الإفريقية وتوغلوا في أطراف الصحراء. تلك كانت مرحلة حاسمة في تاريخ المغرب القديم، لاسيما الجزء الشرقي منه أي الدولة النوميدية باعتبارها إحدى أهم معاقل التصدي للاحتلال الروماني[1].

خصوصا في إقليمها الجنوبي المعروف بالأوراس أو الكتلـــة الأوراســـية[2] التـــي أدرك الرومان أهميتها الاستراتيجية، فطوقوها بحزام أمني خلال القرن الأول المـــيلادي

---

(1) -Mesnage (J.), Romanisation de l'Afrique (Tunisie, Algérie, Maroc), Paris, 1913, p . 08.

(2)- المدلول الطبيعي للأوراس يتسع ليشمل المنطقة الممتدة من النمامشة (تبسة) شرقا إلى جبال الحضنة (المسيلة) غربا، ومن جنوب سيرتا شمالا إلى التخوم الصحراوية جنوبا عند منطقة الشطوط.ولقد برز اسم أوراس في الكتابات الإغريقية اللاتينية أول الأمر، في نص الحـــروب الوندالية (Les guerres des Vandales) للمـــؤرخ البيزنطـــي بروكـــوب (Procope)، الذي أرخ للحملة البيزنطية التي أرسلها يوســـتينيانوس (Justinien) إلـــى إفريقيـــا بقيـــادة ســـالومون (Salomon)، لاسترجاعها من الوندال.

يحدد بروكوب موقع جبال الأوراس على نحو ثلاث عشرة يوما من قرطاجة، ويصفها بالارتفـــاع والامتنـــاع والاتساع. حيث لا يمكن اختراقها إلا عن طريق الأودية والخوانق.

غير أنها تضم بداخلها سهولا خصبة ومراعي واسعة، وحدائق من أشجار مثمرة. تخترقها مجـــاري الميـــاه الـــصافية المتدفقة من المنابع، عبر سواقي وأودية متعرجة.

يجهل معنى اسم أوراس رغم محاولات بعض الباحثين تفسيره، حيث يعتقد الباحث عقون محمد العربي أن اسم أوراس مأخوذ من الكلمة الإغريقية "**أوراس**" (**ORES**) التي تعني الجبل. واشتقت منها كلمة أورياد (OREADE) التي تعني حورية تسكن الجبل. إلا أن ذلك يفتقد إلى سند لإثباته، ويتعارض مع ما ذهبت إليه بعض الدراسات التي اعتمدت على الطوبونيميا (La Toponymie) المحلية لتحديد معاني الأسماء القديمة، حيث تبين أن كلمة أوراس مشتقة من الكلمـــة المحلية (**أراس**) التي تعني اللون الأحمر، المائل إلى السمرة. ويستند هذا الرأي إلى تأثير المناخ الصحراوي في مناطق الأوراس، فيجعلها تفقد غطاءها النباتي بحيث تصبح جبالا حمراء أو سمراء، لذلك أطلقت عليها تلك الصفة . كمـــا أن البكري ذكر مدينة قرب المسيلة اسمها "**تاوراست**" ومعناها المحلي " **الحمراء**" ، وكلمة تاوراست هـــي تأنيـــث لكلمـــة أوراس حسب قواعد اللهجة "**الشاوية**" المستعملة في المنطقة الأوراسية، والتي تضيف التاء إلى الاسم المذكر لتأنيثه أو تصغيره. لمزيد من المعلومات حول الموضوع أنظـــر: - Procope, Histoire des Guerres Vandales, Trad. Dureau de la Malle, éd. Fermin Didot, Paris, 1852, LIV, I, VIII, p. 225; LIV, II, VII, VIII, pp. 284-285;

–البكري (أبو عبيد الله)، المغرب في ذكر بلاد إفريقية والمغرب، مكتبة المثنى، بغداد، بدون تاريخ، ص.50؛ بوساحة أحمـــد، أصـــول أقدم اللغـــات في أسمـــاء أمـــاكن الجزائـــر، دار هومة، الجزائر، 2001، ص ص. 13–16؛ =

في عهد الإمبراطور تراجان (Trajan)[1]، امتد من حيدرة (أمايدارة) شرقا حتى عين زانة غربا، وقد اصطلح على تسميته بخط الليمس (Le limès) الشمالي.

ولتدعيم الخط الأول وتضييق الخناق على الكتلة الأوراسية باعتبارها مصدر الخطر بالنسبة للرومان، قاموا بمد خط ثان خلال القرن الثالث الميلادي لمراقبة قبائل الجيتول التي كانت تتردد باستمرار على السفوح الجنوبية للأوراس[2].لدرجة أنها تمثل مصدر خطر دائم ومتنقل بالنسبة للرومان، هؤلاء الأخيرين الذين كانوا قد اتخذوا من مدينة قرطاجة مستقرا لهم. ثم توسعوا تدريجيا شرقا نحو الحدود المصرية الليبية وغربا إلى سواحل المحيط الأطلسي، وباتجاه الجنوب لم يتعد التواجد الروماني حدود الصحراء الواقعة على دائرة عرض 27° شمالا أي أراضي قبيلتي غارما (Garama) وماتيلغا (Matilga)، ومن ثمة، يمكن حصر التواجد الفعلي الروماني بين دائرتي عرض 27° و37° شمالا، وذلك ما يمثل مسافة 800 كلم باتجاه المناطق الداخلية من إفريقيا توغل فيها الرومان بحثا عن المصالح الحيوية لحملاتهم العسكرية وعلاقاتهم التجارية مع أواسط إفريقيا[3].

وهكذا، فإنه قبل التطرق إلى خصائص تلك المرحلة الحاسمة من تاريخ المغرب القديم، فإنه يصبح من الضروري الإشارة إلى العنصر البشري النوميدي وتفاعله الحضاري، سواء مع بيئته أو مع الشعوب الوافدة خلال فترات السلم أو الحرب.

غيرأنه من الصعوبة بمكان التحدث عن كيان سياسي حقيقي في المغرب القديم قبل القرن الثالث قبل الميلاد، ذلك أن النصوص القديمة لم تشر إلا عرضا[4] لذلك، وهو ما ترك فراغا كبيرا في تاريخنا القديم أدى بنا إلى التساؤل عن أسباب جهل أو تجاهل الكتاب الإغريق واللاتين لتاريخ المغرب القديم إلا ما كان له صلة بهم، كتعرضهم ولو بصورة وجيزة لأوضاع المنطقة المغاربية أثناء الصراع القرطاجي- الإغريقي، وذلك

= عقون محمد العربي، المنطقة الأوراسية في القرن السادس الميلادي من خلال المصادر، (مجلة العلوم الاجتماعية والإنسانية)، ع.12، جامعة باتنة، 2005، ص ص. 7-18.

(1) -Baradez(J.),Fossatum Africae (**recherche aérienne sur l'organisation des confins sahariens à l'époque romaine**),Paris, 1949, p. 153.

(2) -غانم محمد الصغير، مقالات حول تراث بسكرة والتخوم الصحراوية، مطبعة عمار قرفي، باتنة، بدون تاريخ،ص.04.

(3) -Naude(M.) et Champ(L.), Notice sur la carte de l'Afrique sous la domination des romains, imprimerie impériale, Paris, MDCCCLXIV, p. 01.

(4) -Decret(F.) et Fantar(M.),L'Afrique du nord dans l'antiquité,des origines au V^{eme} siècle,Payot, Paris, France, 1981, p. 68.

منذ القرن السادس قبل الميلاد حتى النصف الأول من القرن الثالث قبل الميلاد[1] ، وهو ما يصادف تاريخ الحروب البونية (الحروب الرومانية- القرطاجية) 264-146 ق.م، والتي ارتبطت بشكل مباشر بالصراع من أجل السيطرة على الحوض الغربي للبحر المتوسط [2] ، لاسيما الحرب الثانية 218-204 ق.م، التي شكلت منعطفا حاسما في مسار ذلك الصراع وبدأت بعدها الهيمنة الرومانية في البروز[3].

وبرأيي،أن ذلك يعزى إلى تناول النصوص القديمة للأحداث التي طفت على الحياة السياسية الدولية في ذلك الوقت والصراع على البحر المتوسط، فجاء ذكر بلاد المغرب في ذلك السياق لا غير.

كما أن جهل هؤلاء المؤرخين للغة المنطقة عموما جعلهم يعزفون عن التطرق إليها، فبخصوص اللغة الليبية يذكر المؤرخ بلين القديم (Pline l'ancien) أن الأسماء والمدن الليبية صعبة النطق على غير العارفين للغة الليبية[4].

كما أن تدمير قرطاجة سنة 146 ق.م من قبل الرومان وحرق مكتباتها أفقدنا من النصوص والوثائق التي كان يمكن أن تنزع اللبس عن الكثير من الحقائق التاريخية في بلاد المغرب القديم لا سيما ماتعلق منها بالمرحلة السابقة للرومان [5].

-Warmington(B.H.), Histoire et civilisation de Carthage (814 av.j.c à 146 ap.j.c) trad. S.Mguillemin, Payot, Paris, France, sans date, p 57..[1]

[2] - البحر المتوسط:هو أحد المسطحات المائية الهامة، يربط بين قارات العالم القديم الثلاث، في أكثر مناطقها حيوية ونشاطا، تعددت أسماؤه منذ القديم، فلقد سمي بالبحر الداخلي (Mare interum) أو البحر الإفريقي (Mare Africanum) . كما نسب إلى سردينيا، إحدى أكبر جزره، ولقب أيضا بالبحر الكبير (Mare Magnum)، ونسبه الرومان لأنفسهم فأسموه بحرنا (Mare Nostrum).

وفي العصور الوسطى أطلق عليه اسم البحر العربي، نتيجة لبسط المسلمين نفوذهم عليه، كما دعي أحيانا بالبحر العاصف (Mare Saevum) نظرا لأمواجه العاتية، التي تعيق حركة السفن والأساطيل، وكثيرا ما كانت تتسبب في كوارث لها. حول الموضوع أنظر:

-Salluste, La conjuration de Catilina, La guerre de Jugurtha, Trad. F. Richard, Garnier Flammarion, Paris, 1968, LIV, XVII;

-شنيتي محمد البشير، الجزائر في ظل الاحتلال الروماني، بحث في منظومة التحكم العسكري (الليمس الموريطاني) ومقاومة المور، ج1، ديوان المطبوعات الجامعية، الجزائر، 1999، ص ص. 22-23.

-Braudel(F.),Les mémoires de la méditerranée, préhistoire et antiquité, éd. Fallois, Paris, France, 1998, p. 474. [3]

-Pline l'ancien, Histoire naturelle, LIV.V, trad. Jehan DESANGES, éd. Les belles lettres, Paris, France, 1980, V, 1. [4]

[5] - شنيتي محمد البشير، الاحتلال الروماني لبلاد المغرب، "سياسة الرومنة 146 ق.م - 40 م"، ط 2، المؤسسة الوطنية للكتاب، الجزائر، 1985، ص. 18.

إن حلول الفينيقيين ببلاد المغرب القديم، وبنائهم لمحطات تجارية في نهاية الألف الثانية قبل الميلاد على طول سواحل الضفة الجنوبية للبحر المتوسط، كان سببا في إقامة علاقات اقتصادية واجتماعية متينة بين هؤلاء الوافدين والسكان المحليين، بالنظر إلى العدد الهائل من تلك المحطات التجارية التي بلغت حوالي 300 محطة تجارية[1].

يبدو من خلال ما أشرنا إليه أن الفينيقيين وسكان المغرب القديم،كانوا قد تعايشوا بشكل ملائم، ممهدين الطريق لتجسيد ذلك التعايش من خلال تأسيس قرطاجة سنة 814 ق.م. (حسب الرواية الأكثر شيوعا والواردة في أسطورة تأسيس قرطاجة)[2] في السواحل الشرقية لبلاد المغرب دون معارضة تذكر.هذا من جهة ومن جهة أخرى فإنه بخصوص تأسيس مدينة قرطاجة يشير ب.هـ وارمينغتون (B.H. Warmington) أنه تم في السنة السابعة من حكم بغماليون الذي ثبت أنه بدأ في نهاية القرن التاسع وذلك ما يتوافق مع ما جاء به تيمي (Timée) أي في السنوات الثماني والثلاثين السابقة للأولومبياد الأولى، وهو ما يصادف تقريبا سنة 814 ق.م[3].

من جهتها، تشير المصادر التاريخية إلى أن اتفاقا أُبرم بين أليسا وحاكم لوبي يدعى هيرباس (Hirbasse) أو إيرباس يقضي بدفع أليسا لضريبة سنوية مقابل بناء المدينة[4].

---

(1)- غانم محمد الصغير، التوسع الفينيقي في غرب المتوسط، ديوان المطبوعات الجامعية، الجزائر، 1979، ص. 96.

(2)- **محتوى الأسطورة :** تتحدث أسطورة تأسيس قرطاجة عن الأميرة الفينقية أليسا التي تولت الحكم رفقة أخيها بغماليون بعد وفاة والدهما الملك متان، وتؤكد الأسطورة أن الأميرة الفينيقية كانت فائقة الجمال فتزوجها خالها عاشر باس الكاهن الأكبر لمعبد الإله ملقارط ، الذي جمع ثروة كبيرة وقام بإخفائها عن اللصوص بدفنها تحت أرضية المعبد، وعندما تفطن بغماليون للمال المخبأ قام باغتيال زوج أخته من أجل الاستيلاء على المال، وتظاهرت أليسا في بداية الأمر بعدم الاكتراث للحادثة اتقاء لشر أخيها، وعندما آمنت شره حملت المال على ظهر سفينة وأبحرت رفقة حاشيتها إلى قبرص ومنها إلى الساحل الإفريقي، أين أقامت المدينة التي عرفت بقرطاجة (قرط حد شت) أي المدينة الحديثة... حول الموضوع أنظر:

- Lapeyre(G.) et Pellegrin(A.), Carthage punique (814-146 av.j.c.), Payot, Paris, France, 1942, 24; Lancel (S.), Carthage, éd. Cerès, Tunis, . pp. 75- 76 ;Warmington (B.H.),op. cit., p 2000, pp. 39-40.

(3)-Warmington(B.H.), op.cit., p 24.

(4)- محمد أبو المحاسن عصفور، المدن الفينيقية، دار النهضة العربية للطباعة والنشر، بيروت، 1971، ص ص. 64-65.

وهذا ما يجعلنا نتساءل: ماذا كان يمثل هيرباس ؟ هل كان ملكا؟ أم زعيم قبيلة؟ أم له سلطة أخرى ؟.

والمؤكد أن قرطاجة قد استمرت في دفع الضريبة للمغاربة منذ تأسيسها سنة 814 ق.م إلى منتصف القرن الخامس ق.م، أي إلى غاية شعورها بالقوة العسكرية والاقتصادية التي سمحت لها بالتوسع سواء على سواحل البحر المتوسط الشمالية الغربية إلى الساحل الأطلنطي أو على حساب أراضي المغاربة المجاورة لها[1] . وربما يكون ذلك التغيير في السياسة القرطاجية تجاه المغاربة هو الذي حمل الملك النوميدي إيلماس (Ailymes) على التحالف مع أغاتو كليس (Agathocles) القائد الإغريقي حاكم سارقوسة الذي هاجم السواحل القرطاجية فيما بين سنتي 10 و07 قبل الميلاد[2].

إذا ثبت ذلك، يمكن أن نقول أن المناطق المغاربية المتاخمة لقرطاجة قد عرفت مع نهاية القرن الرابع قبل الميلاد نظام حكم، قد يكون النواة الأولى للعرش النوميدي في شطره الشرقي، وأن إيلماس المشار إليه آنفا كان من أقدم ملوك الماسيل أو نوميديا الشرقية[3].

كما أن تشييد ضريح المدراسن[4] في نهاية القرن الرابع قبل الميلاد وبداية القرن الثالث منه يدعم هذا الافتراض، ولا يستبعد الأستاذ غانم محمد الصغير أن تكون القبائل

---

(1) -MOMMSEN (Th.), Histoire romaine, trad. C, A, Alexandre, Tom III,Librairie,A.Franck, Paris, 1865, pp 11. - 12;

- شارل أندري جوليان، تاريخ إفريقيا الشمالية، تعريب محمد مزالي والبشير بن سلامة، الدار التونيسية للنشر، تونس، 1983، ص. 91.

(2) - 70.-Décret (F.) et Fantar (M.), op.cit., pp 71;

شنيتي محمد البشير، المرجع السابق، ص . 18.

(3) -Camps(G.),Aux origines de la berberie,Massinissa ou les débuts de l'histoire,in libyca,Tom. VIII, 1960, p.159.

(4)- المدراسن: ضريح ضخم بناه النوميديون في نهاية القرن الرابع قبل الميلاد لأحد الأسلاف حسب الاعتقاد الشائع، يوجد في بلدية بومية، دائرة المعذر، ولاية باتنة التي تبعد عنها بحوالي 35 كم من جهة الشمال الشرقي وعن قسنطينة بحوالي 100كلم، من جهة الجنوب الشرقي، وقد شيد على هضبة تنحصر ما بين جبال بوعازم شمالا، وجبل طافروت جنوبا،وتشرف على سبخة جندلي، التي أطلق عليها اسم البحيرة الملكية (La cus- regius) الواقعة على الطريق الرابط بين ثاموقادي (تيمقاد) وسيرتا. حسب ما يعتقد س. جزيل... لمزيد من المعلومات حول الموضوع أنظر: .-Molinier(V.), Le Medracen, R.S.A.C , T.XXVIII, (1893), pp. 54-77;Gsell(S.), Atlas .I, (Texte),éd. 2, Alger,1997,F. 27,N° 154, N°.Archéologique de l'Algérie,Tome 155, N° 159;

رابح لحسن، أضرحة الملوك النوميديين والمور، دراسة تاريخية وأثرية مقارنة لأهم الأضرحة الملكية النوميدية والمورية المشيدة منذ القرن الرابع الميلادي إلى عشية الفتح الإسلامي في القرن السابع الميلادي، دار هومة للنشر والطباعة والتوزيع، الجزائر، 2004، ص ص. 67-91.

الماسيلية، قد استقرت حول المدراسن بالأوراس في بداية الأمر، وشكلت النواة الأولى للدولة النوميدية في شكلها القبلي، وبعد توفر شروط قيام الدولة انتقلت تلك القبائل (النوميدية الشرقية) إلى سيرتا، وظهرت هناك في شكلها الملكي[1].

ويرى بعض المؤرخين أن ضريح المدراسن ما زال يثير الكثير من التساؤلات منها: لماذا بني في منطقة بعيدة عن المراكز والمدن القديمة المعروفة ؟.

كما أن النصوص التاريخية القديمة لم تشر إليه إطلاقا[2].

إلا أنه يبدو من خلال وجود مقبرة قديمة حول الضريح أن المنطقة المجاورة للمدراسن قد تكون تجمعا أو مركزا سكانيا لقبائل الماسيل، التي ارتبطت بصورة وثيقة بالضريح، بالنظر إلى استمرار عادة الدفن بجوار أضرحة ذوي الدرجة الرفيعة في المجتمع، كالملوك، أو الزعماء، أو الأسلاف البارزين، أو الأولياء الصالحين.

2. التسمية وضبط الإطار الزمني:

أ. المازيسيل:

لم تشر المصادر التاريخية القديمة بوضوح للقبائل المازيسيلية إلا في منتصف القرن الثالث ق.م، حيث برزت الدولة النوميدية الغربية كقوة هامة في بلاد المغرب القديم، في ظل التطورات التي عاشتها المنطقة في تلك الفترة، والصراع الدائر بين قرطاجة والرومان، لا سيما خلال فترة الحرب البونية الثانية، وذلك بفضل شخصية الملك سفاكس الذي تولى الحكم بالمملكة في تلك الفترة[3].

أما فيما يتعلق بالحدود الجغرافية للمملكة النوميدية الغربية أو قبائل المازيسيل فيصعب تحديدها بدقة، نظرا لندرة المستندات التي تؤكد وتثبت موقع تلك الحدود، إلا إذا أخذنا بعين الاعتبار تمركز القبائل التي تتشكل منها.

---

(1)- غانم محمد الصغير، المملكة النوميدية والحضارة البونية، دار الأمة للطباعة والنشر والتوزيع، الجزائر، 1998، ص ص. 69-70.

(2)- Gsell (S.),Histoire ancienne de l'Afrique du nord, Tome V,Librairie Hachette,Paris,1927, pp. 97-98.

(3)- لقد ورد اسم سفاكس في النصوص القديمة وتصفه تلك النصوص بكونه يتميز باتزان الشخصية وحصافة النظر، وسداد الرأي وتغليب العقل والحكمة في العديد من المواقف، وورد اسمه في النقوش البونية على الشكل التالي: (س ف ق هـ م م ل ك ت)، وتعني العبارة سيفاكس الملك أو مملكة سيفاكس... لمزيد من المعلومات أنظر: -غانم محمد الصغير، الملك سيفاكس والكيان السياسي النوميدي (مجلة التراث)، ع 9، مطبعة الشهاب، باتنة، الجزائر، 1997، ص. 13.

يحدد استرابون (Strabon)[1] أراضي قبائل المازيسيل بأنها تبدأ من حدود قبائل المورو غربا، أي أخذ مصب نهر الملوشة (المولية حاليا) كمعلم للحدود الغربية كما يشير إليه بلين القديم (Pline l'ancien) "**نهر الملوشة يفصل بين مملكة بوكوس والمازيسيل**"[2] . في حين تنتهي حدودها الشرقية عند رأس تريتون (بوقرعون)(Cap.Tretum)، كما قدر طول الساحل المازيسيلي بـ 6000 ستاديوم أي من رأس تريتون شرقا إلى رأس ميتاغونيوم غربا والواقع على ما يبدو بجوار مصب نهر الملوشة[3]، وذلك ما يتفق وما ذهب إليه ستيفان جزال (Stéphane Gsell) [4].

هذا عن الحدود الشمالية،أما بالنسبة للحدود باتجاه المناطق الداخلية فلم تحدد بصفة دقيقة، سواء أكان ذلك أثناء الفترة السابقة للاحتلال الروماني أو بعدها. وقد يعزى الاختلاف بين المؤرخين في كيفية تحديد الحدود الداخلية للممالك النوميدية إلى الغموض الناجم عن عدم الإشارة إليها في المصادر التاريخية القديمة،أو لعدم الاهتمام بها لقلة الأحداث المرتبطة بالممالك النوميدية [5] ،ولكن يبدو أن أراضي المازيسيل باتجاه الجنوب تنتهي عند قبائل الجيتول القاطنة جنوب مملكتي المازيسيل والماسيل.

كما تجدر الإشارة إلى أن حدود الممالك النوميدية بصورة خاصة وبلاد المغرب القديم بصورة عامة لم تكن ثابتة، حيث تحكمت في تغييرها الكثير من العوامل وذلك تبعا للظروف السياسية، ومنطق القوة الفاعلة في منطقة المغرب القديم[6].

وقد يكون ذلك الغموض في معالم الحدود إحدى عوامل تنقل القبائل الليبية خاصة البدو الرحل في مختلف مناطق المغرب القديم خاصة من الجنوب نحو الشمال.

---

(1) .-Strabon, géographie, (4 vol), trad. A.Tradieu, éd, Hachette, Paris, (1867-90), T 3, LIV. XVII, 9.

(2) -Pline L'Ancien, V, 19.

(3) -Strabon, XVII, 3, 9.

(4).-Gsell (S), A.A.A., f. 1, Cap Bougaroun.

(5)- شنيتي محمد البشير، الجزائر في ظل الاحتلال الروماني ...، ج.1، ص. 19.

(6)- كان من بين العوامل التي تحكمت في تغيير الحدود بين الممالك النوميدية، تلك الصراعات بين النوميديين فيما بينهم(الإخوة الأعداء) من أجل السيادة على المغرب القديم، وقد يكون لتحول السياسة القرطاجية بعد أن أصبحت قوة احتلال وتوسع على حساب أراضي الماسيل وبعدها الرومان الذين غيروا الخارطة السياسية للمغرب القديم أكثر من مرة وذلك تبعا لمصالحهم الاقتصادية والاستراتيجية، وقد أشار إلى ذلك استرابون:

- Strabon, XVII, 3,25 .

وفي هذا الصدد، يذكر ستيفان جزيل[1] أن القبائل المازيسيلية استوطنت في البداية في المناطق الداخلية لموريطانيا (الطنجية) ثم زحفت نحو الشرق لتستقر في الغرب الجزائري.

كما أن إشارة بلين القديم[2] إلى انقسام القبائل المورية بسبب الحروب والصراعات يدعم إلى حد بعيد ما أورده س.جزال.

إن انتقال تلك القبائل من الغرب نحو الشرق يترك استفهاما حول الأسباب الحقيقية التي جعلتها تنتقل باتجاه الشرق، فهل كان ذلك من أجل الاستيلاء على الأراضي المجاورة لها ؟ لاسيما وأن الكثافة السكانية في مناطق المازيسيل أقل منها في مناطق الماسيل، ومن ثمة زحفت تلك القبائل واستوطنت مناطق لم تكن آهلة بالسكان، خاصة وأن أراضي المازيسيل "**كانت مزدهرة... وتغل مرتين في السنة – ربيعا وصيفا.**"[3]

تجدر الإشارة إلى أن قبائل المازيسيل استحوذت على مساحة كبيرة مقارنة مع قبائل الماسيل وقد يفسر ذلك كنتيجة للحروب التي خاضها الملك سيفاكس للاستيلاء على الماسيل سعيا منه لتوحيد نوميديا بشطريها الشرقي والغربي.

ولقد استطاع الملك سيفاكس بحنكته وذكائه على غرار شيوخ القبائل النوميدية أن يجمع شمل المازيسيل والماسيل في كيان سياسي واحد، أي توحيد نوميديا وذلك نهاية القرن الثالث قبل الميلاد.

ب. الماسيل:

على غرار القبائل المازيسيلية، من الصعب تحديد ممتلكات القبائل الماسيلية للأسباب ذاتها أي عدم ورود ذكرها في الكتابات القديمة إلا عرضا، ولم يحدد مجالها الجغرافي بصورة دقيقة[4] . نظرا لعدم اهتمام الرومان بالحدود الطبيعية للشعوب الخاضعة لسلطتهم، ويبدو أنهم استفادوا من عدم الاستقرار في الحدود بتسييرها حسب ما

---

(1) Gsell (S.), H. A. A. N., T. V, p. 97.

(2) - Pline l'Ancien, V, 17.

- Lacroix (M.F.), L'Afrique ancienne, R.afr.,N°.14,(1870), pp. 12-43.

(1) Decret(F.) et Fantar(M.), op.cit., p. 99.

(4)

تقتضيه مصلحتهم أو الأوضاع العسكرية، فكثيرا ما كانوا يعدلون الحدود وفقا لولاء السكان لهم أو عدائهم، فكانوا يضمون أراضي المعادين للموالين لهم[1].

إلا أنه استنادا إلى تمركز القبائل المشكلة للماسيل، يتضح أنها كانت تشمل المناطق الشرقية في شمال شرقي الجزائر، وغرب تونس باستثناء أملاك الدولة القرطاجية، غير أن تلك الحدود لم تضبط بدقة[2].

والملاحظ أن الحدود بين الممالك النوميدية غالبا ما كان يعتمد في تحديدها على المجاري والمسطحات المائية (الأودية، الشطوط والسبخات) لأنها معالم طبيعية ثابتة يسهل تحديدها ومتابعتها والتحكم فيها.

بناء على ما سبق، فقد اتخذ رأس تريتوم (رأس بوقرعون) والوادي الكبير (المساقة) كمعلم لنهاية الحدود الشرقية لقبائل المازيسيل يعتبر الموقع نفسه معلما لبداية الحدود الغربية لقبائل الماسيل[3].

ومن ثمة، فقبائل الماسيل تنحصر ما بين أملاك الدولة القرطاجية شرقا، وقبائل المازيسيل غربا، وأراضي الجيتول جنوبا، إذا أخذنا بعين الاعتبار تمركز القبائل الجيتولية (Les Gétules) حول جبال الأطلس الصحراوي بدأ من المغرب الأقصى وصولا إلى طرابلس وخليج السرت، مرورا بالأغواط، وجنوب شرق بسكرة (Vescira) والمنطقة المحصورة ما بين تبسة (Teveste) وسوق أهراس بجوار مداوروش (Madaure)[4] وقد حدد ج. ديزانج (J.Desanges) مناطق تواجد قبائل الماسيل في سيرتا وما حولها شرقا وصولا إلى خليج سرت بليبيا الحالية [5].

---

(1) -Strabon, XVII, 3, 12.

(2) -Gsell(S.),H.A.A.N.,p.99;Camps(G.),Massinissa …,p 175;Decret(F.)et Fantar(M.),op.cit.,p.99. .

(3) -Pline l'Ancien, V, 22.

(4) -110.-Gsell(S.), H.A.A.N., pp 111.

(5) -Desanges(J.),Catalogue des tribus africaines à l'ouest du Nile dans l'antiquité classique, Dakar, 1962, p. 237.

من جهته يذكر بلين القديم أن من بين القبائل المتمركزة ما بين الوادي الكبير (المساقة) ووادي نجريس كانت تتوضع قبائل: "**الناتابود (Nete-Abudes) والكابسيتان (Capsitans) والموزيلامي (Musulames) والساباربار (Sabarbares) والماسيل (Massyles) والنسيف (Nigives) والفاماكور (Vamacures) وسينيتي (Cinithi) والموسوني (Musuni) والمارشوبي (Marchubi)** "[1]. وقد حاول ج.كامبس استنادا إلى ما ذكره (بلين القديم) أن يحدد موطن قبائل النتابود بناء على نقش عثر عليه في منطقة عين مخلوف، والكابسيتان هم القاطنون في قفصة (Capsa)، وموطن الموزيلامي يقع ما بين النتابود والكابسيتاني[2].

وفيما يتعلق بقبائل الساباربار يحددها الجغرافي بطليموس بأنها كانت تتمركز في المنطقة الواقعة غرب سيرتا إلى سطيف (Sétifis) في حين تستقر قبائل النسيف في المنطقة الواقعة جنوب شرق سيرتا[3].

يشير نص تيجيسيس (Tigisis) الذي يعود للنصف الثاني من القرن الأول الميلادي، إلى أن أراضي الساباربار والريجياني (Regiani) والنسيف تقع في المناطق المحيطة بسيرتا[4].

ويضيف بطليموس إلى القبائل الواردة في نص تيجيسيس (Tigisis) قبيلتا الهاليارديس (Haliardis) والسيتافيوبيدوس (Les Sittafioupedus) اللتين كانتا مستقرتين في سهل سطيف (Sétifis) الذي يمتد من جبال البابور إلى مرتفعات باتنة. وقد وجدت تلك القبائل خلال الفترة البيزنطية تستقر بالقرب من نقاوس (Nicivibus)[5] ،التي يبدو أنها أخذت اسمها من قبائل النسيف التي كانت تستقر في المنطقة.

---

(1)-Pline l'ancien, V, 30, 31.

(2) -Camps(G.), Nouvelles observations sur l'Archéologie et l'âge du Medracen, Mausolée royale de Numidie, C. R. A. I., 1973, pp.470-517.

(3) -Camps(G.), Massinissa…, p. 181.

(4) -Lancel (S.), Suburbures et Nicives, une inscription de Tigisis, in libyca, archéologie-épigraphie, T.III, 1955, pp. 289- 298.

(5) - Camps(G.), Massinissa…, p. 181.

من خلال استعراضنا للقبائل الماسيلية المشار إليها آنفا والمناطق التي أنزلها بها المؤرخون سواء القدامى منهم أو المحدثين، نكون قد اقتربنا ولو بصورة بسيطة من إبراز الحدود الإدارية للقبائل الماسيلية.

وتجدر الإشارة إلى ارتباط اسم الماسيل بالملك ماسينيسان الذي حاول أن يوحد نوميديا ويجعل منها دولة قوية ومستقلة، ونفس الهدف كان قد سعى إلى تحقيقه قبله العاهل المازيسيلي سيفاكس، والذي يبدو أنه هو توحيد نوميديا بشقيها الشرقي والغربي في دولة واحدة تشبه وتضاهي في مؤسساتها وقوتها الدولة القرطاجية.

ثانيا: المملكة النوميدية الموحدة:

1-الخصائص الجغرافية:

أورد المؤرخ والجغرافي الإغريقي استرابون Strabon وصفا للمنطقة النوميدية جاء فيه: "...**يمتلك النوميديون أراضي جد خصبة ولكنها مليئة بالحيوانات المتوحشة التي أعاقتهم على ممارسة الزراعة والاستقرار، فتركوا حقولهم للزواحف والحيوانات المفترسة وأصبحوا يعيشون حياة البداوة والتنقل نظرا لقحولة أراضيهم وجفاف وقساوة مناخهم... لذلك فهم كمثل الشعوب المقهورة بالفقر والبؤس...** "[1]

وهكذا نرى أن استرابون لم يتوان في وصف الأرض النوميدية بكونها خصبة وثرية على العموم، إلا أنها كانت آهلة بالحيوانات المتوحشة مثل بقية المناطق الليبية الداخلية[2].

(1) -Strabon, XVII, 3, 15.

(2) -Strabon, II, 5,33.

وهو ماجعل السكان يلازمون الترحال على الدوام، ومن ثمة أسماهم الإغريق "**نوماداس**" **(Numadas)** [1] أي المتنقلون، أو المرتحلون، حيث أن ترحالهم كان تفاديا للحيوانات المتوحشة التي أعاقتهم عن الاستقراروالعيش في هناء.

إن ما أورده استرابون يدل بوضوح على أن المنطقة الماسيلية لم تكن آهلة بالسكان بصورة كبيرة، فسكانها مرتحلون ومتنقلون على الدوام، يعيشون حياة البداوة، حيث مارسوا على ما يبدو حرفة الرعي، ذلك أن الزراعة تتطلب الاستقرار وهو ما لم يتسن لهم بسبب الحيوانات المتوحشة التي حالت دون استقرارهم في مكان معين.
يبدو من خلال النص الآنف الذكر أن استرابون تحدث بخلفية تنم عن حقد دفين للسكان المحليين أي المغاربة، وهي سمة تميز بها المؤرخون الإغريق والرومان، حيث كانوا يعادون الشعوب التي ليست من جنسيتهم وملتهم، حيث أورد المؤرخون المحدثون وحتى القدامى منهم بخصوص ماسيليا أو نوميديا الشرقية خلال القرن الرابع قبل الميلاد وبداية القرن الثالث منه بأنها كانت تضم مدنا ذات طابع زراعي مثل مدن : دوقة، مكثر بتونس و تبسة، ثم سيرتا بالجزائر[2].

ومن جهته، لا يختلف كثيرا سالوستيوس (Sallustius) في موقفه من النوميديين وأرضهم عن استرابون، حيث يصفهم بأنهم يستقرون في أرض قاحلة تكثر بها الحيوانات المتوحشة، متنقلون ولا يخضعون لا لزعيم ولا لقانون. وذلك ما نلمسه من خلال النص التالي: " **كان يسكن إفريقيا في البداية الأفارقة والليبيون الأفضاض الغلاظ الذين يعيشون من لحوم الحيوانات المفترسة، كما كانوا يأكلون أيضا الأعشاب مثل بقية**

(1) -Salluste, La guerre de Jugurtha, XVIII.

(2) , p. 101. .), op. cit.) et Fantar (M.-Decret (F

الحيوانات المتوحشة ولا يخضعون لا لعادات ولا لتقاليد أو لقانون أو لزعيم، مشتتون ومشردون، لا يتوقفون في موضع إلا إذا داهمهم ظلام الليل..."[1]

من خلال المقارنة بين النصين السابقين، نلاحظ أن وصف المؤرخين السالفي الذكر كان قاسيا إلى حد كبير، ولا يتفق مع آراء المؤرخين الذين تناولوا في كتاباتهم المنطقة فيما بعد.نلاحظ أن استرابون في نص آخر يشير واصفا مازيسيليا على أن أراضيها كانت مزدهرة ومستثمرة بصورة جيدة وأن بها أراض تغل مرتين في السنة[2].

يبدو أنه لم يحدث تغيير كبير في المناخ الذي كان سائدا أيام الممالك النوميدية، انجر عنه استمرار نفس الخصائص تقريبا السائدة في أيامنا هذه.

كما أنه يمكن أيضا من حيث الخصائص الجغرافية أن نقسم المنطقة النوميدية إلى ثلاث أقاليم جغرافية.

2. التقسيم الجغرافي للأقاليم النوميدية:

يمكن باختصار تقسيم الأراضي النوميدية من حيث الخصائص الجغرافية إلى ثلاث أقسام رئيسية وهي: إقليم الشريط الساحلي الشمالي الملامس للبحر المتوسط، وإقليم المرتفعات الداخلية المتمثلة في سلسلتي الأطلس التلي والصحراوي، إضافة إلى السهول الداخلية التي تتخللها.

– أما الإقليم الثالث فيشمل منطقة الهضاب العليا والسهوب المتاخمة للصحراء التي تتميز بطبيعتها شبه الصحراوية، حيث استعصى على الرومان احتلالها وإخضاعها عن طريق القوة.

أ. الإقليم الشمالي الساحلي:

(1) -Salluste, XVIII.

(2) -Strabon, II, 5,33.

يشرف الإقليم الشمالي الساحلي على البحر المتوسط الذي نسبه الرومان لأنفسهم (بحرنا)[1]عبر شواطئ تتميز بخلوها من الخلجان الطبيعية الكبيرة والرؤوس المكسرة للرياح، وقد أشار الرحالة الإغريق إلى أن هذه الشواطئ تبرز في البحر في شكل مرتفعات جبلية مرتبطة ببعضها البعض[2].

أما أشهر الموانئ التي برزت وزادت أهميتها بعد تأسيس قرطاجه خاصة خلال القرنين السادس والخامس ق.م فإننا نذكر منها : سيقا (Siga)، إيكوسيوم (Ikosium)، بجاية (Saldae)، جيجل (Igilgili)، شولو (Chollo) وهيبو ريجيوس (Hippo Regius) عنابة[3].

تلك الموانئ التي أنشأها الفينيقيون كمحطات تجارية للتوقف فيها بقواربهم وسفنهم، إما للاستراحة أو لانتظار تحسن الأحوال الجوية أو للمتاجرة عن طريق المقايضة مع الأهالي، فكانت إقامتهم (التجار الفينيقيين) تدوم ما يقارب يومين في فصل الصيف، وقد تدوم أكثر من شهر في فصل الشتاء أحيانا[4].

وكانت معظم تلك الموانئ النوميدية أثناء الفترة الرومانية منافذ للاحتلال الروماني باتجاه المناطق الداخلية، وذلك لاهتمام الرومان بالنشاط الزراعي الذي يركز بصورة أساسية في المناطق الداخلية، سواء تعلق الأمر بزراعة الحبوب أو الأشجار المثمرة التي مورست على نطاق واسع، نظرا لملائمة المناخ الذي على ما يبدو لم يحدث به تغيير كبير على ما هو عليه الحال في أيامنا هذه، والذي يتسم بالتذبذب في مختلف عناصره، فكميات الأمطار اتسمت بعدم الانتظام إذ يقارب المعدل السنوي للتساقط بالمناطق الساحلية حوالي450 ملم سنويا، وقد ساهمت ضآلة كمية الأمطار وهبوب الرياح الشمالية الغربية في جفاف الجو وتقليص الرطوبة بهذا الإقليم[5].

---

(1) -Salluste, XVII.

(2)- شنيتي محمد البشير، الجزائر في ظل الاحتلال الروماني...، ج.1، ص. 22.

(3) -Babelon (E.), Carthage, E. Le roux éditeur, Paris, 1896, p. 18.

(4) -Lapeyre (G.) et Pellegrin (A.) , op.cit., pp. 58-59.

(5) , p. 69.

.), op.cit.), et Pellegrin (A.Lapeyre (G-

ب. إقليم الهضاب العليا:

ينحصر إقليم الهضاب العليا لنوميديا بين سلسلتي الأطلس التلي والأطلس الصحراوي، ويتشكل الإقليم من أراضي يغلب عليها الارتفاع والانبساط. وتعرف بالنجود أو الهضاب العليا، وتمتد ما بين سيرتا والتخوم الأوراسية الشمالية جنوبا، في حين تتجه من الغرب نحو الشرق كامتداد لمرتفعات الأطلس من الحضنة إلى النمامشة[1].

وتتدرج مرتفعات الأطلس في الانخفاض كلما أتجهنا نحو الشرق، إذ لا يتجاوز ارتفاعها في الجهات الشرقية للجزائر 800 مترا في حين يتعدى 1200 متر في المناطق الغربية، ويتسع هذا الشريط المحصور بين السلسلتين الجبليتين باتجاه الغرب حيث يتجاوز 200 متر، ويتناقص بشكل تدريجي في المناطق الشرقية[2].

ولكون المنطقة رعوية فقد جعل ذلك القبائل الجيتولية وغيرها من المنتجعين في الهضاب يترددون عليها بمواشيهم وخيولهم، وذلك ما كان يربك الإدارة الرومانية على الدوام،مما أدى بالمشرفين عليها إلى إقامة سلسلة من المباني تمثلت في القلاع والأبراج وزودتها بشبكة دفاعية، وشبكة أخرى من الطرق تم تشييد أغلبها منذ العهد السيفيري الذي توغلت فيه حدود الليمس إلى أبعد نقطة في الجنوب وهي قلعة ديميدي (Castellum Dimmidi) بجبل مسعد بالأغواط[3].

وقد كان بناء ذلك الخط الدفاعي من أبرز المظاهر الاستعمارية، حيث فرض على السكان حياة التنقل والترحال، ومغادرة أراضيهم نحو المناطق الصحراوية، وما بقي منهم أنهكتهم سلطات الاحتلال الروماني بالضرائب وحملتهم على الإستقرار وترك مهنتهم[4]

إلا أن أولئك البدو الرحل بمواشيهم كانوا يقلقون الرومان بتنقلهم ما بين الصحراء والتل،تاركين العنان لمواشيهم تجتاح المزارع الرومانية فتأتي على الأخضر واليابس،

---

(1) .cit., p.Camps (F.H.), op-29.

(2)- شنيتي محمد البشير، الجزائر في ظل الاحتلال الروماني...، ج1، ص. 22.

(3)- Picard (G.Ch.), Castellum dimmidi, Alger-Paris, 1947, pp. 45-82.

(4)- البحيصي أحمد، لمحة عن سياسة الأسرة السويرية في شمال إفريقيا (مجلة المعالم) ، العدد 6، السنة السادسة،جمعية التاريخ والمعالم الأثرية، قالمة، 1992، ص ص. 45– 62.

وذلك ما شكل أحد العوامل التي دفعت بالرومان إلى الرغبة في إخضاع البدو في السهوب والتحكم في طرق القوافل التجارية ، وذلك بإنشاء مراكز حراسة متقدمة[1].

من خلال ما سبق، نخلص إلى أن الخصائص الجغرافية لنوميديا لم تتعرض تضاريسها لتغييرات عميقة فيما بين العهدين الروماني ووقتنا الحاضر، لكن الذي حدث هو تغير البيئة، حيث تأثر الغطاء النباتي وأنواع عديدة من الحيوانات بالأوضاع العسكرية والسياسية والاقتصادية التي فرضها الرومان على الأرض والإنسان والحيوان، فتقلص الغطاء النباتي وسلبت الأرض وانقرضت أنواع كثيرة من الحيوانات التي كانت تعيش في نوميديا، وذلك ما سنتعرض له في الصفحات المولية من هذا البحث.

ج- إقليم السهوب:

1-السفوح الأوراسية الجنوبية:

لقد شكلت المرتفعات الداخلية حلقة وصل بين الأقاليم الشمالية التلية والأقاليم الجنوبية، وكانت لتلك المنطقة أهمية استراتيجية كبيرة وبعدا جغرافيا حيويا هاما، وقد تنبه الرومان لتلك الأهمية، فأنشأوا بها مستعمرات للجنود المسرحين من الخدمة العسكرية[2].

تبرز في هذا الإقليم سلسلتين جبليتين، إحداهما في الشمال موازية لسواحل البحر المتوسط، والثانية في الجنوب موازية لسواحل رمال الصحراء. ومن أشهر الجبال النوميدية تلك، نشير إلى الكتلة الجبلية التي تندرج ضمن سلسلة الأطلس الصحراوي، التي تتموضع فيها الهضبة الأوراسية المرتفعة نسبيا مقارنة مع المناطق المجاورة لها، حيث يصل ارتفاع أعلى قمة بها (شليا) إلى 2328 مترا، والتي تتميز بمسالكها الوعرة حيث تمركزت فيها على الدوام العناصر المحلية الثائرة ضد الأجانب عبر مختلف الحقب التاريخية[3].

لقد برزت الكتلة الأوراسية على مسرح الأحداث خاصة أثناء مقاومة المور لحملة القائد البيزنطي صولومون (Solomon)،لدرجة أنه استعصى على البزنطيين إقتحامها، الأمر الذي أدى بهم إلى سلوك سياسة الأرض المحروقة المتمثلة في قطع

---

(1)- شنيتي محمد البشير، الجزائر في ظل الاحتلال الروماني...، ج.1، ص. 23.

(2)- شنيتي محمد البشير، الجزائر في ظل الاحتلال الروماني...، ج1.، ص. 28.

(3) .Leveau (Ph), L'Aures dans l'antiquité (encyclopédie berbère),VIII,Aures-Azrou,EDISUD, Aix-en-provence, France, 1990, pp. 1097- 1103.

الأشجار وتدمير قنوات الري وحرق المزروعات، مما أدى بالسكان إلى ترك أراضيهم والاعتصام بالجبال[1].

وقد دلت المكتشفات الأثرية على الأهمية الحيوية للمنطقة الأوراسية خلال الفترة الرومانية، حيث انتشرت بها زراعة الأشجار المتنوعة يأتي على رأسها الزيتون، حيث عثر على بقايا آثار معاصر الزيت في مناطق كثيرة نذكر منها: وادي قشطان ووادي العرب ووادي ملاغو والوادي الأبيض ووادي عبدي ووادي القنطرة، مما يؤكد الارتباط الوثيق لهذه المناطق بالليمس النوميدي[2].

إن أهمية الكتلة الأوراسية المتعددة الجوانب جعلت المحتلين يحاولون تقزيمها جغرافيا وبشريا، حيث اختزلها كتاب الاحتلال الفرنسي وسياسيوه في إقليم بلدية مختلطة (باتنة)، ولم تتعد حدودها المنطقة الواقعة بين وادي العرب المخترق لجبال شاشار شرقا ووادي القنطرة وجبال بلزمة غربا[3].

2- رفارف الصحراء :

تشمل منطقة رفارف الصحراء أراضي واسعة يغلب عليها طابع الإنبساط ،وتمتد جنوب سلسلة الأطلس الصحراوي إلى منطقة الشطوط (الجريد – ملغيغ – الحضنة) [4].

وتتميز بمناخ حار، حيث تتعدى درجة الحرارة بها في فصل الصيف 46°مئوية أما في فصل الشتاء فتنخفض إلى حدود 22°مئوية وتعد المنطقة نادرة الأمطار، حيث أنه في الغالب لا تتعدى الكميات المتساقطة بها 200ملم سنويا[5].

وقد شكلت منطقة رفارف الصحراء عمقا استراتجيا هاما للحركات المحلية المناوئة للاستعمار، تلجأ إليها في الوقت المناسب عند اشتداد الخناق عليها في الشمال،

---

(1)- عقون محمد العربي، المرجع السابق، ص ص .7- 18.

(2)- Camps (F.H.), L'olivier et l'huile dans l'Afrique romaine, Imprimerie officielle, Alger, 1953, p. . 29.

(3) -De Lagritigue, Monographie de L'Aures , Constantine , 1904 , p.4.

(4) Joly (A.),Le Plateau steppien d'Algérie , Ann.géo., vol.18,N°99,pp.238-252.-

(5) - Delagritigue,op.cit.,p.8 .

وهو ما منحها أهمية متزايدة أثناء الفترة الرومانية ذلك أنها كانت تشكل المجال الجغرافي لخط الليمس المقام خلال القرن الثالث الميلادي[1] .

وقد كشفت أعمال التنقيب والبحث خاصة عن طريق التصوير الجوي عن المنشآت الدفاعية الرومانية المقامة في جنوب منطقة القنطرة ولوطاية، والتي كانت تحول دون تنقل القبائل الجيتولية من الجنوب إلى الشمال، وهو ما يعني قطع الطريق أمام قبائل البدو الرحل للوصول بمواشيهم إلى منطقة الحضنة [2].

من جهة ثانية، نجد أن الرومان أقاموا في الجهة الشرقية عدة تحصينات وقلاع في مواقع إستراتيجية، نذكر منها على الخصوص : قلعة بسرياني (نقرين) وبادس وتهودة، وذلك لمراقبة مصبات الوديان المنحدرة من شمال الأوراس ، تلك الوديان التي كان السكان المحليون يتخذونها مسالك لتنقلاتهم بحثا عن كلأ مواشيهم ، كما ربطوا بين تلك القلاع والحصون بشبكة من الطرق المزودة بمراكز للحراسة المستمرة [3].

---

[1]- أمتد خط الليمس الذي شيده الرومان في المناطق الجنوبية للأوراس خلال القرن الثالث الميلادي من حصن بسرياني(نقرين) شرقا إلى قلعة مسعد (Castellum Dimmidi)غربا ، مارا ببادس ، و ثوبوديوس (تهودة) ، ثم فيسيرا (بسكرة) وواحات الزاب الغربي التي تشمل أورلال ، جميلي ، طولقة والدوسن زيادة على المستوطنات الرومانية المقامة على وادي جدي ... ، حول الموضوع الموضوع أنظر : غانم محمد الصغير ، منطقة بسكرة بين الموقع الاستراتيجي والنصوص التاريخية، (المجلة الخلدونية)،ع.2،الجمعية الخلدونية للأبحاث والدراسات التاريخية لولاية بسكرة،2003، ص ص. 17-24.

[2]- Etienne(R.), L'Aviation, œil magique de L'Archéologie, Annales ,vol .4,N°.1,1949,pp.85-87.

[3]- De Torcy ,Note sur la route de Tébessa à Biskra, R.S.A.C., (1910),pp.1-28.

الفصل الأول: نوميديا عشية الاحتلال الروماني.

أولا: العلاقات النوميدية القرطاجية.

1. فترة حكم الملك سيفاكس.

أ- الملك سيفاكس يوحد نوميديا.

ب- الملك سيفاكس يتحالف مع قرطاجة.

2. فترة حكم الملك ماسنيسا.

أ- ماسنيسا يتحالف مع الرومان.

ب- ماسينسا يستعيد العرش النوميدي.

3. فترة حكم الملك ميسبسا.

ثانيا: الرومان يقررون تدمير قرطاجة.

ثالثا: انعكاسات تدمير قرطاجة على نوميديا.

نوميديا عشية الاحتلال الروماني

أولا: العلاقات النوميدية القرطاجية :

1. فترة حكم الملك سيفاكس :

أ- الملك سيفاكس يوحد نوميديا:

يشير المؤرخ الإغريقي بوليبيوس إلى أنه كانت هناك صداقة متينة تربط بين الملك النوميدي سيفاكس وقرطاجة وذلك حوالي سنة 213 ق.م، حيث كانت جيوش الملك سيفاكس تحارب إلى جانب القرطاجيين في إسبانيا، وأنها تشكل جزء كبيرا من الجيش القرطاجي سواء في أسبانيا أو المغرب القديم[1].

إلا أنه حدث تصدع كبير في تلك العلاقة المتسمة بالصداقة بين الدولتين القرطاجية والنوميدية الغربية، بعدما انحازت قرطاجة إلى عدو سيفاكس جايا (Gaia) ملك نوميديا الشرقية حيث قامت الحرب بينهما من جراء ذلك الانحياز على ما يذكر تيتيوس ليفيوس[2].

لكن ذلك الخلاف لم يستمر طويلا، فقد انتبه القرطاجيون للعواقب الوخيمة التي ستترتب عن معاداتهم للملك سيفاكس الذي أصبح يبحث عن دعم وتحالف عند أعدائهم الرومان، فعدلوا عن دعم جايا ملك نوميديا الشرقية. وبذلك عادت العلاقات إلى سالف عهدها، بل أصبحت وطيدة أكثر لاسيما بعد زواج الملك سيفاكس بالأميرة القرطاجية سوفونيسبة (Sophonisbe) [3].

---

(1) -Polybius, Histoire romaine**, trad.Denis ROUSSEL, éd.Gallimard, bibliothèque de la Pleide,** Paris, 1970, LIV.III, 33, 15.

(2) -TITE-LIVE, Histoire romaine , trad. (10 vol.), éd. Classiques, Paris,1941, XXIV, 48-49.

(3) - سوفونيسبة ابنة القائد القرطاجي صدر- بعل ابن جيسكون، شاركت زوجها العاهل النوميدي سيفاكس ، فأعانته في تسيير شؤون مملكته. وقد اهتم المؤرخون الأجانب بزواجها من الملك سيفاكس، وجعلوه أحد أسباب الصراع بينه وبين الأمير النوميدي ماسنيسا، وذلك لإفراغ شخصيتهما من محتواها الوطني.

ولقد وصف المؤرخ الروماني تيتيوس ليفيوس الأميرة سوفونيسبة بسحر الجمال، وقوة الشخصية، ونباهة العقل. تلك الصفات التي جعلتها تفضل الموت منتحرة بتناولها السم على أن تنقل أسيرة إلى روما ، وذلك بعد إلقاء القبض على زوجها الملك سيفاكس إثر هزيمته في معركة سيرتا سنة 203 ق.م ... حول الموضوع انظر:

تجدر الإشارة إلى التغيير الكبير الذي طرأ على سياسة التحالفات في تلك الفترة، حيث تحول سيفاكس إلى حليف للقرطاجيين بعد أن كان قد بدأ يميل نحو الرومان، بينما أصبح ماسنيسا معاديا لقرطاجة وللملك سيفاكس.

ويرى الكثير من المؤرخين، أن سبب ذلك الانقلاب والتحول المشار إليهما كانا ناتجين عن تلك الزيجة التي تمت بين الملك سيفاكس والأميرة القرطاجية سوفونيزبة.

إلا أنه بالتدقيق في أحداث تلك الفترة ، نجد أن ماسنيسا بدأ يخوض غمار تلك السياسة قبل زواج الملك سيفاكس بالأميرة سوفونيسبة[1]. ومن ثمة، فإن ذلك الزواج كان زواجا سياسيا بالدرجة الأولى[2].

لقد شكلت أحداث نهاية القرن الثالث قبل الميلاد انقلابا حاسما في تاريخ المملكة النوميدية، وذلك نظرا للانعكاسات الخطيرة المترتبة عن أحداثها، ويبدو أن الملك سيفاكس كان يدرك خطورة تلك الأحداث، وعلى رأسها الصراع الروماني - القرطاجي في الحوض الغربي للبحر المتوسط.

من جهة أخرى كان على الملك النوميدي سيفاكس المتصف بالحكمة والرأي السديد أن يلم بعناصر ذلك الصراع ويبني على ذلك قراره المناسب، وفقا للمعطيات العسكرية والسياسية التي طغت على الحوض الغربي للبحر المتوسط عموما والمغرب القديم تحديدا.

وقد تيقن من أن نشوب الحرب في شمال أفريقيا سيقضي على مستقبل المنطقة لاسيما مملكته[3]. خصوصا أن الجيش الروماني في إسبانيا كان تحت قيادة سيبيون بوبيليوس[4]، والذي أدرك سيفاكس دهاءه السياسي وحنكته في التخطيط العسكري[5].

-TITE-LIVE,XXX, 13, 18;Evelyne (P.), Sophonisbe reine de Numidie (Algérie au temps des royaumes Numides, V^{e} siècle avant J-C- 1er siècle après J-C), Smogy éditions d'art, Paris 2003,pp.155-157.

(1)- حارش محمد الهادي، التطور السياسي والاقتصادي في نوميديا منذ اعتلاء ماسنيسا العرش إلى وفاة يوبا الأول، 203-46 ق.م، دار هومة للطباعة والنشر والتوزيع، الجزائر، بلا ت، ص. 34.

(2) -Berthier (A.), La Numidie, Rome et le Maghreb…, p . 34.

(3)- غانم محمد الصغير، علاقة نوميديا بالرومان، (مجلة التراث)، ع2، مطبعة الشهاب، باتنة، 1987، ص . 16.

(4) -Mommsen (W.) et autres, Encyclopédie universelle , tom.5, éd , Marabout université, Verviers, Belgique, 1962, pp.73-74.

(5) -Decret (F.) et Fantar (M.), op.cit., p . 98.

لذلك حاول سيفاكس الوساطة بين الرومان والقرطاجيين من خلال إشرافه على مؤتمر سيقا(Siga) [*] الدولي سنة 206 قبل الميلاد، حيث استغل مجيء سيبيون إلى مدينة سيقا بطلب منه، وجمع في لقاء بينه وبين القائد القرطاجي صدر- بعل بن جيسكون الذي قدم إلى سيقا في نفس الفترة[1].

وفي هذا الصدد، يتساءل الأستاذ: محمد الصغير غانم، مستفسرا عن وجود صدر- بعل بمدينة سيقا في نفس الفترة التي وصل فيها القائد الروماني سيبيون؟ هل كانت محض صدفة ؟ أم أن الملك سيفاكس أعد لذلك اللقاء ؟[2].

وبرأيي، يعزى ذلك إلى ترتيب وإعداد مسبق من قبل العاهل النوميدي ، وذلك في إطار مساعيه لإنهاء الصراع القرطاجي - الروماني بالطرق الدبلوماسية السلمية وتجنيب منطقة شمال إفريقيا حربا تكون كارثية على جميع الأطراف لاسيما مملكته.

وذلك ما يفسر إصراره واشتراطه مجيء سيبيون شخصيا من شبه جزيرة إيبيريا بعدما أرسل له هذا الأخير قائده لايليوس (Laelius) للتفاوض معه حول تمتين علاقات الصداقة مع الرومان والتحالف معهم ضد القرطاجيين، ويصف ج.كامبس لقاء القادة

---

[*]- سيقا (Siga): عاصمة مازيسيليا (نموديا الغربية)، تقع على الضفة اليسرى لوادي التافنة، على بعد حوالي 04 كم من مصبه، تحتل موقعا استراتيجيا هاما كونها تشرف على خليج جزيرة رشقون التي أنشأ بها الفينيقيون محطة تجارية خلال القرن السابع قبل الميلاد.

من جهة أخرى، يرى بعض المؤرخين أن مدينة سيقا اكتسبت مكانتها وشهرتها كعاصمة لمازيسيليا بداية من القرن الرابع قبل الميلاد، ثم برزت على مسرح الحياة السياسية المحلية والإقليمية بفضل شخصية الملك سيفاكس الذي حاول أن يجعل منها عاصمة تضاهي في عظمتها مدينة قرطاجة.

كما سمحت أعمال الحفر والتنقيب التي أجراها الباحث الفرنسي ب. غريمال (P.Grimal) سنة 1936وغيره ممن جلبت المدينة اهتمامهم ، من اكتشاف العديد من اللقى الأثرية التي تعود إلى فترات متعاقبة : الليبية، الفينيقية والرومانية، تمثلت في عدة أواني فخارية و أعمدة وقنوات سقي وخزان مياه. كما عثر في نفس الموقع على قطع نقدية تعود إلى فترة حكم الملك سيفاكس وابنه فيرمينا (Vermina) ... لمزيد من المعلومات حول الموضوع أنظر:

(1)- Grimal (P.), Les fouilles de Siga, M.E.F.R., Paris, 1937, pp. 108-141; Camps (G.), Massinissa…,pp. 169-170;TITE-LIVE XXVIII, 18,9.

(2)- غانم محمد الصغير، المملكة النوميدية...، ص.62.

الثلاث في مدينة سيقا بأنه لقاء قمة ،برز خلاله العاهل النوميدي سيفاكس كوسيط للسلام[1].

ب- الملك سيفاكس يتحالف مع قرطاجة:

على الرغم من قصر المدة الزمنية التي تولى فيها سيفاكس الزعامة على نوميديا بشطريها الشرقي والغربي، إذ لم تتعد 03 سنوات أي من 205 ق.م إلى 203 ق.م إلا أنه استطاع أن يضع اللبنة الأولى في قيام الدولة النوميدية الموحدة[2]. أنظر خريطة رقم:01 صفحة:24.

لقد عرف سيفاكس كيف يتعامل مع السكان النوميديين بانتهاجه في تسيير الحكم نظام اللامركزية في تنظيم إدارة مملكته الموحدة ، حيث كانت له عاصمتان : سيقا على نهرالتافنة، وسيرتافي شرق المملكة، حيث عين لهما مسيرين محليين يستندون في حكمهم إلى مجالس شبه قبلية ورجال الدين زيادة على جباة الضرائب وضباط الجيش[3].

وفي غالب الأحيان، كان العاهل النوميدي سيفاكس يسيرالعاصمتين سيقا وسيرتا معا حيث كان يستقبل فيهما السفراء والمبعوثين والملوك الذين كان يتعامل معهم . إضافة إلى التقائه فيهما بزعماء القبائل والمقاطعات التابعة لسلطته، وتزويدهم بالتوجيهات والتعليمات المتعلقة بتسيير شؤون المملكته[4].

نتيجة لسياسة سيفاكس المتسمة بالرصانة (والوسطية) المرنة، والتعقل، ازدهرت مملكة نوميديا الموحدة واتسعت رقعتها في ظل التحالف مع القرطاجيين، طبقا لاتفاقية أبـــرمت بين الطرفين بعد فشل مؤتمر سيقا الدولي سنة 206 ق.م، التزم فيهـــا سيفاكـــس بالقتـــال

---

(1)- جبرائيل كامبس، من ضفاف البحر الأبيض المتوسط **إلى أطراف الصحراء** - البربر – **تعريب عبد الرزاق الحليوي**، ط.1، أليف، منشورات البحر الأبيض المتوسط، تونس، بدون تاريخ، ص.20.

(2)- لقد تمكن الملك سيفاكس من توحيد نوميديا بشطريها الشرقي والغربي لأول مرة سنة 205 ق.م عند اجتياحه مملكة الماسيل (نوميديا الشرقية)، بعدما استطاع ماسنيسا أن يستولي على العرش اثر انتصاره على لاكومازيس، وإن كان سيفاكس لم يعر أي اهتمام لما يحدث في نوميديا الشرقية، لكن بإيعاز من صدر- بعل تبين له خطر تولي ماسنيسا عرش نوميديا الشرقية ليس فقط على قرطاجة ولكن على مازسيليا أيضا، غير أنه بعد الاجتياح فر ماسنيسا رفقة مجموعة من أتباعه وأصبحوا يمارسون حرب العصابات ضد القرطاجيين وسيفاكس. أنظر:

-Gsell (S.), H.A.A.N., T. III, p. 193.

(3)- غانم محمد الصغير، مقالات وآراء في تاريخ الجزائر القديم، دار الهدى، عين مليلة، الجزائر، ص . 138.

(4) -TITE-LIVE, XXVIII, 17 ;Gsell (S.), H.A.A.N.,T. III, P.186.

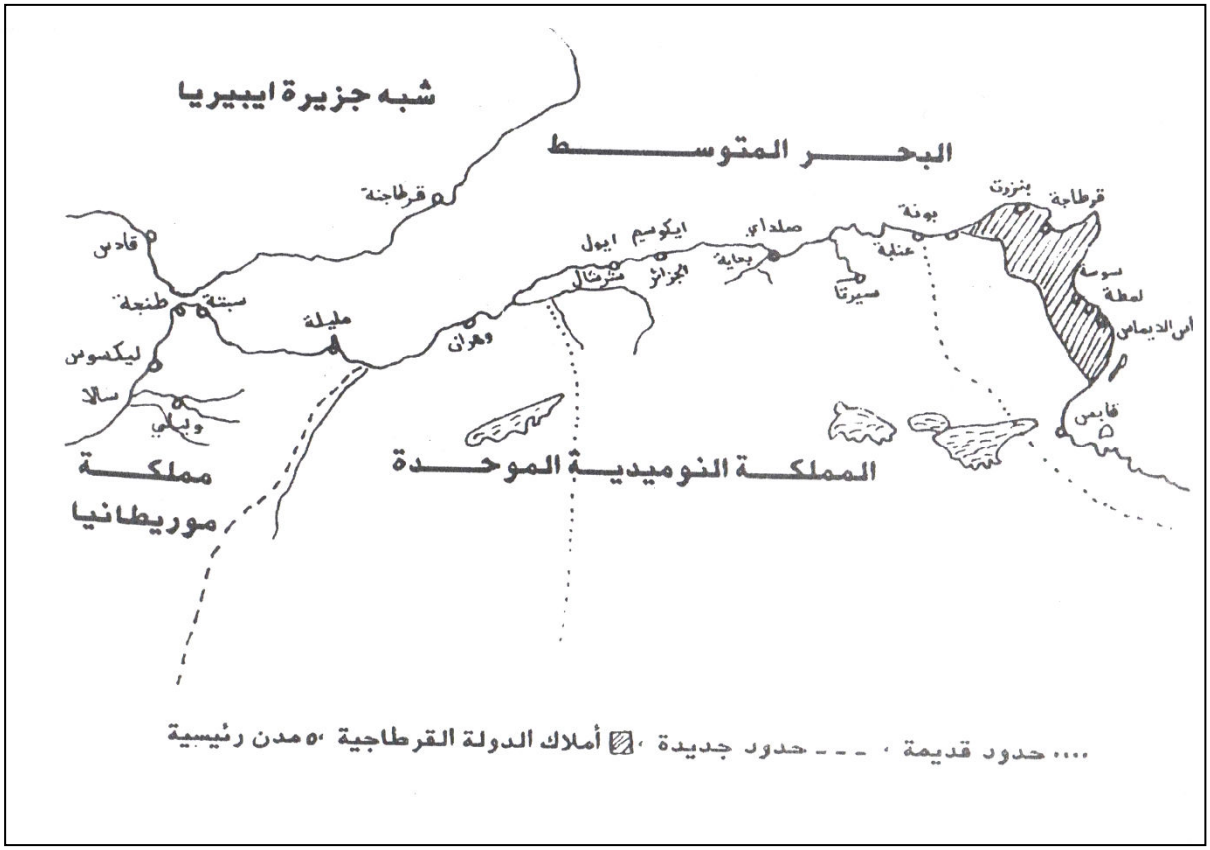

خريطة رقم:01. المملكة النوميدية الموحدة.

- إعتمادا على: غانم محمد الصغير، المملكة النوميدية...،ص.91.

إلى جانب القرطاجيين في حالة نقل الرومان الحرب لشمال إفريقيا، وقد أبلغ بذلك القائد الروماني سيبيون الذي كان يعسكر في صقيلية سنة 204 ق.م[1].

بعد أن أدرك سيفاكس خطر الرومان على المنطقة حسن علاقاته مع القرطاجيين فتحالف معهم خاصة بعد زواجه من الأميرة سوفونيسبة ونُذَكر هنا أن الملك النوميدي سيفاكس كان قد حاول بشتى الطرق تفادي المواجهة المسلحة ، وإبعاد الحرب عن شمال إفريقيـــا. وحسب رأينا يبدو أنه لما تأكد من أن الرومان سينقلون الحرب إلى شمال إفريقيـــا لا محالة، فضل أن يقف إلى جانب القرطاجيين، وذلك لأنه أدرك أن مملكته ستكون الضحية إن سقطت قرطاجة.

كذلك فإن زواجه من الأميرة سوفونيسبة، قد سد كل الأبواب أمام ماسنيسا للاعتماد على القرطاجيين لاستعادة ملك آبائه، وأن القرطاجيين قد أدركوا حجم العداوة بين سيفاكس وماسنيسا، لذلك أوكلوا للأول مهمة القضاء على الثاني، وهو ما قام به سيفاكس من خلال تكليف أحد قادة جيشه وهو بوكار (Bocchar) بملاحقة ماسنيسا[2].

استطاع سيفاكس مع نجله فيرمينا (Vermina) أن يتتبعا ماسنيسا بعد عودته إلى النشاط وأن يقضيا على جنوده، فاضطر ماسنيسا إلى الفرار ثانية، هذه المرة إلى أقصى شرق المملكة وبالذات إلى منطقة السرت، حيث بقي يتربص هناك إلى غاية نزول القائد

---

(1)- De la Malle (D.), Carthage (Afrique ancienne), Tome. 2, éd. Firmin DIDOT frères, Paris, MDCCCXLII, p.92.

(2)- أوعز الملك سيفاكس إلى بوكار وهو أحد قادة جيشه الشجعان، أن يأتي بماسنيسا حيا أو ميتا بعد ان زوده بجيش قوامه أربعة ألاف جندي مشاة وألفي فارس، ووعده بمكافأة مغرية خصوصا إذا أتى بماسنيسا حيا.

فاجأ بوكار خصمه ماسنيسا في أعالي جبل بالبوس (Balbus) –وهو جبل الرصاص الواقع بين نابل (Neapolis) ورادس (Rades) بتونس –وشتت أفراد جيشه فأوقع معظمهم بين قتيل وجريح، مما اضطر ماسنيسا إلى التسلل رفقة خمسين فارسا من جنده عبر الشعاب الضيقة، إلى أن تواروا عن أنظار بوكار، لكن هذا الأخير استطاع أن يقتفي آثاره ثم فاجأه مرة أخرى في منطقة كليبية(Clybea)- في الساحل الشرقي لتونس- وألحق به هزيمة نكراء ، أصيب ماسنيسا أثناءها بجروح بليغة فر على إثرها من المعركة بمعية أربعة من فرسانه.

كان بوكار قد اعتقد أنه قد لقي حتفه فأخبر الملك سيفاكس. غير انه يبدو أن ماسنيسا اختفى حتى التأمت جراحه ثم عاد إلى محاربة عدوه اللدود... لمزيد من المعلومات حول الموضوع أنظر :

-Lacroix (L.), Histoire de la Numidie et la Mauritanie, depuis les temps plus anciens jusqu'à l'arrivée des vandales en Afrique, éd. Firmin DIDOT frère, Paris, MDCCCXLII, pp.17-18.

الروماني لايليوس (C. Laelieus) بالقرب من هيبون، فاتصل به منبها إياه بالإسراع في إعداد الحملة على إفريقيا مادام سيفاكس منشغلا بإخماد بعض التمردات الداخلية [1].

بعد نزول سيبيون بإفريقيا عسكر قرب أوتيكا فجاءه ماسنيسا على رأس فرقة من فرسانه، فكان ذلك اليوم من أسعد أيام الرومان منذ نزولهم بشمال إفريقيا[2].

وبدأ الاستعداد لمعركة قد تكون حاسمة، فاستعد سيفاكس لدخول أول معركة إلى جانب القرطاجيين بينما كان ماسنيسا حليف سيبيون، فكانت بذلك معركة السهول الكبرى في ربيع 203 ق.م ، والتي انتصر فيها سيبيون وماسنيسا على صدر– بعل وسيفاكس[3].

---

(1) -Gsell (S.), H.A.A.N., T. III, p . 206.

(2) -TITE -LIVE, XXIX, 29, 4.

(3)- أشار بوليبيوس إلى حيثيات معركة السهول الكبرى حيث أورد أن القائد الروماني سيبيون أبحر باتجاه الأراضي القرطاجية خلال صيف 204 ق.م، فنزل بجيشه في منطقة محصنة طبيعيا (رأس سيدي المكي) ، إلا أن ذلك لم يكن بعيدا عن أنظار القرطاجيين الذين أغلقوا أبواب مدينتهم ونشروا الجيش على أسوارها. في حين عمل القائد صدر- بعل على إنشاء جيش من القرطاجيين والنوميديين المتحالفين معه لمواجهة الخطر الروماني، وأقام معسكرا على نحو أربعين كيلومتر (40كم) من قرطاجة (على إحدى ضفاف وادي مجردة) ، منتظرا وصول حليفه العاهل النوميدي سيفاكس بجيشه.

بعد بضعة أيام تحرك القائد الروماني بجيشه على ضواحي أوتيكا (Utique) وعسكر هناك، فأرسل صدر-بعل ابنه حنون (Hannon) على رأس فرقة من الفرسان، لجس النبض على ما يبدو، ومعرفة مدى استعداد الرومان للمواجهة، وكان هؤلاء الأخيرين الرومان قد استفادوا من التحاق ماسنيسا مع فرسانه بهم.

أوكل سيبيون إلى ماسنيسا مهمة مناورة وابعاد فرسان حنون عن معسكرهم وذلك لكي يصبحوا فريسة في مخالب الرومان، بجرهم إلى معركة جانبية خاسرة، وذلك ما حدث فعلا ، فخلال مناوشات بسيطة فقد القرطاجيون أزيد من ألفي فارس منهم مائتين من أشراف قرطاجة بمن فيهم حنون ابن صدر- بعل نفسه.

غير أنه رغم هزيمة القرطاجيين في تلك المناوشات، إلا أن موقعهم على أرض المعركة سمح لهم بمحاصرة جيش سيبيون بعدم تقدم الملك سيفاكس على رأس جيش قوامه عشرة آلاف فارس وخمسين ألف جندي من المشاة.

اضطر بعدها سيبيون إلى فك الحصار الذي ضربه على مدينة أوتيكا طوال فصلي الخريف والشتاء (204-203 ق.م)، وقد اتصل القائد الروماني سيبيون خلال تلك الفترة بالعاهل النوميدي سيفاكس عارضا عليه العدول عن دعم القرطاجيين، إلا أن سيفاكس أظهر حكمته وسداد رأيه وإدراكه لعواقب الحرب على المنطقة، لا لكونه حليفا للقرطاجيين، بل لأنه رجل سلام يسعى لتفادي الحرب، ذلك ما يفهم من اقتراحه أثناء التفاوض مع سيبيون إنهاء العداء بين قرطاجة وروما، وذلك بعودة حنبعل من إيطاليا على أن يغادر سيبيون الأراضي الإفريقية.ولقي مقترح العاهل النوميدي تأييدا لدى القرطاجيين ، نظرا لتراجع انتصارات حنبعل في إيطاليا ، وشعورهم بقوة الجيش الروماني، بينما رفضه الرومان بشدة ، كون سيبيون كان واثقا من نصره على القرطاجيين .

كان سيبيون أثناء المفاوضات مع سيفاكس قد جمع كل المعلومات المتعلقة بخصميه (سيفاكس وصدر- بعل)، واستغلها=

بعد انهزام سيفاكس أمام الجيش الروماني، عاد إلى سيرتا فلحقه ماسنيسا مرغما إياه على الدخول في معركة سيرتا يوم 23 جوان 203 ق.م حسب أوفيديوس[1]، التي وقع فيها سيفاكس أسيرا في يد ماسنيسا ونقل إلى روما، وهناك تم القضاء عليه وتعود نوميديا إلى الانقسام بين شطريها الشرقي والغربي[2].

بعد القضاء على سيفاكس يؤول الملك في المملكة النوميدية إلى ماسنيسا الذي سينتهج سياسة مغايرة تماما لسياسة سالفه مع قرطاجة وهذا ما سنتناوله في المبحث الموالي.

2. فترة حكم الملك ماسنيسا :

أ- ماسنيسا يتحالف مع الرومان:

بعد انتصاره في معركة السهول الكبرى كما أشرنا سالفا. لاحق ماسنيسا جيوش غريمه سيفاكس وهزمه في معركة سيرتا سنة 203 ق.م، أما سيبيون فقد واصل تعقبه لجيوش صدر- بعل إلى تخوم قرطاجة بعد استيلائه على بعض المدن المحاذية لها. مما جعل سكان مدينة قرطاجة يتخوفون من اقتحامها، مما استوجب عقد مجلس الأشفاط[3]. الذي انقسم أعضاؤه إلى ثلاثة أقسام حسب ما أورده بوليبيوس[4].

أ- قسم دعا إلى الاستمرار في الحرب والهجوم المباغت على الرومان عن طريق البحر في أوتيكا.

ب- قسم طالب بإنهاء الحرب عن طريق التفاوض مع سيبيون.

= في التسلل بنفسه إلى معسكرهما في إحدى ليالي ربيع سنة 203 ق.م، وأضرم النار فيه، مما أفقدهما الكثير من جنودهما إذ بلغت حسب بعض المصادر أربعين ألف قتيل.

وقد استغل الرومان الآثار السلبية لتلك الصدمة على القرطاجيين وأرغموهم على دخول معركة خاسرة في منتصف أفريل سنة 203 ق.م ...لمزيد من المعلومات أنظر:

-Polybius, LIV, XIV, 1,6-8;TITE-LIVE, XXX , 1,10; Lancel (S.), Hannibal, éd. Cérès, Tunis, 1995,pp.298-305.

(1)- حارش محمد الهادي، التطور السياسي والاقتصادي ....، ص. 21.

(2) -Piganiol (A.), La conquête romaine, Paris, 1942, p. 579.

(3)- جمع شفط ويقصد به القاضي الحاكم وهذا المجلس (مجلس الأشفاط أو القضاة) يعتبر بمثابة مجلس الشيوخ في روما.

حول الموضوع أنظر: - Lancel (S.), Hannibal…,pp. 302-303

(4) -Polybius, XIX, 9.

ج- قسم طالب بدعوة حنبعل إلى العودة من إيطاليا مع الإسراع في تحصين المدينة والاستعداد للحصار.

بعد النقاش الحاد بين أعضاء مجلس الأشفاط أقر هذا الأخير المقترح الثالث[1].

بعد هزيمة السهول الكبرى،اضطرت قرطاجة لطلب الهدنة والتفاوض مع سيبيون حول إنهاء الحرب، وتم التوصل إلى اتفاق حول هدنة لم تدم طويلا، فبعد أن عبث القرطاجيون ببعض القطع من الأسطول الروماني الذي جرفته المياه بفعل الرياح إلى الساحل القرطاجي زيادة على عودة حنبعل في نهاية صيف 203 ق.م، حيث نزل بمدينة لمطة (Leptis Minors) ونقض الهدنة وأخذ كل طرف في الاستعداد للحرب مرة أخرى[2].

وحسب ما أورده أبيانوس (Appianus) انتقل حنبعل إلى سوسة (Hadrumete) لجمع المؤونة باقتناء الخيول ومحاولة استمالة بعض القبائل النوميدية قبل أن يتجه نحو زاما (Zama) [3].

تحرك حنبعل إلى زاما،جعل سيبيون يطلب مساعدة ماسنيسا الذي كان على أهبة الإستعداد، فلبى النداء وسار نحو زاما،وبوصوله انتقل سيبيون إلى مدينة ناراقارا (Naraggara) التي لا تبعد عن معسكر حنبعل إلا بـــ 04 أميال[4].

حاول حنبعل التفاوض مع سيبيون قبل المواجهة المسلحة لإنهاء الخلاف بينهما ، لكن يبدو أن سيبيون لم يرض بذلك. وبفشل تلك المحاولة لم يبق إلا خيار الحرب.

---

(1)- هزيمة الجيش القرطاجي في معركة السهول الكبرى سنة 203 قبل الميلاد أربكت القرطاجيين وخلقت حالة من الذعر، استوجبت إعادة النظر في سياستهم المنتهجة تجاه الخطر الروماني المحدق، بعد اتضاح النوايا التوسعية للرومان، ذلك أن تحالف الملك النوميدي سيفاكس مع القرطاجيين لم يأت بالنتائج المتوخاة، مما يفسر على ما يبدو إصرار أغلبية أعضاء مجلس الأشفاط على عودة حنبعل من إيطاليا واعتباره الأمل الوحيد لتحقيق النصر وإنقاذ قرطاجة من الخطر الروماني... لمزيد من المعلومات أنظر:

-Tite-Live, XXX, 7, 6-7; De la Malle(D.) et Yanoski(M.J.),Carthage,(Afrique ancienne), tome.2, Fermin Didot frères, Paris, MDCCCXLII, p. 93.

(2) -Gsell (S.), H.A.A.N., T III, p. 170.

(3)- حارش محمد الهادي، التطور السياسي والاقتصادي...، ص. 22.

(4) -TITE-LIVE, XXX, 29, 9-10.

فبتاريخ 19 أكتوبر 202 ق.م خاض الجيشان معركة زاما التي انتهت بهزيمة حنبعل نظرا لضعف خبرة جنوده المجندين حديثا وقلة فرسانه مقارنة بجيش سيبيون خاصة بانضمام ماسنيسا إليه[1].

وتجدر الإشارة إلى أهمية معركة زاما وخطورتها، ليس فقط على حنبعل باعتباره المنهزم،ولكن على كل الشمال الإفريقي بشكل عام لأن هزيمة القرطاجيين في هذه المعركة مهدت لتدمير قرطاجة من قبل العسكرية الرومانية ووضع الرومان أيديهم على أملاكها وقيدت القرطاجيين بمعاهدة زاما سنة 201 ق.م التي احتوت شروطا قاسية ومهينة لقرطاجة[2].

ب- ماسنيسا يستعيد العرش النوميدي:

---

(1)- Polybius,XV, 14 ;Saumagne (Ch.), La manoeuvre de Zama (cahier de Tunisie),T.10,1962, pp. 373-390.

(2)- احتوت معاهدة زاما البنود التالية :

1. يعتبر القرطاجيون أحرارا في الأراضي التي كانت بحوزتهم قبل الحرب الأخيرة، وتحكمهم شرائعهم وقوانينهم، ولا يجوز للرومان إيذاءهم.
2. أن تعيد قرطاجة الجنود الرومان اللاجئين إليها، إضافة إلى كل الأسرى والعبيد.
3. أن تتنازل قرطاجة عن أسطولها البحري ولا تحتفظ إلا بعشر سفن فقط بسيطة (ثلاثية) وألا تجند من الآن المرتزقة في جيشها.
4. تسلم قرطاجة كل فيلتها،وتلتزم بترويضها لأعداد أخرى من الفيلة لحساب الرومان.
5. أن يسترجع ماسنيسا كل ممتلكاته من قرطاجة.
6. على قرطاجة أن تستأذن الشعب الروماني في إعلان الحرب سواء في إفريقيا أو خارجها.
7. أن تقدم قرطاجة بعض الأغراض كالمؤونة للجيش الروماني.
8. على قرطاجة أن تدفع غرامة قدرها عشرة آلاف وزنة فضية في مدة خمسين سنة، منها ألف وزنة قبل إيقاف الحرب.
9. يختار القائد سيبيون مائة من شباب قرطاجة تحتفظ بهم روما كرهائن إلى غاية تسليم آخر وزنة فضية من الغرامة المفروضة. أنظر:

-Polybius,XV,18 ;TITE-LIVE, XXX, 37, 1-6;Lancel (S.), Carthage…, p.537;

- حارش محمد الهادي، دراسات ونصوص في تاريخ الجزائر وبلدان المغرب في العصور القديمة، دار هومة للطباعة والنشر والتوزيع، الجزائر، 2001، ص ص. 217-218.

بعد تقييد قرطاجة بمعاهدة زاما عاد سيبيون إلى روما ولقب بالإفريقي(Africanus) نظرا لانتصاراته بإفريقيا[1].

أما ماسنيسا فقد دخل سيرتا بصفته ملكا وشرع في توطيد سلطته وتوسيع مملكته شرقا على حساب أملاك الدولة القرطاجية التي بدأت تأفل، وغربا على حساب أراضي المملكة المازيسولية الآيلة للأفول.

إلا أنه تجهل الفترة التي استطاع ماسنيسا أن يحكم سيطرته على المملكتين ويبسط نفوذه على معظم الشمال الإفريقي نظرا لعدم الدقة فيما أورده المؤرخون القدامى. فبوليبيوس الذي عاش في نفس الفترة ذكر أن ماسنيسا استولى على مملكة سيفاكس بين سنتي 203 و 202 ق.م[2]، في حين يشير تيتيوس ليفيوس أن ماسنيسا في هذه الفترة لم يسيطر إلا على المناطق الغنية من مملكة سيفاكس[3].

ذلك ما يحاول ج.كامبس أن يثبته، حيث يرى أن سلطة ماسنيسا لم تتعد سيرتا والمناطق المجاورة لها، وأن ضعف فيرمينا(Vermina) ابن سيفاكس وتقهقره نحو الجنوب،كل ذلك مكن ماسنيسا من السيطرة على مملكة المازيسيل فيما بعد[4].

وفيما يتعلق بما أشار إليه بوليبيوس، فيرجعه بعض المؤرخين إلى ولاءه وصداقته لسيبيون، وإعجابه الشديد بماسنيسا[5].

كما أن تيتيوس ليفيوس، يذكر أن فيرمينا لا يزال سنة 202 ق.م يحكم سيطرته على مملكة المازسيل، وأنه حاول نجدة حنبعل في معركة زاما[6].

---

(1)- بكري حسن صبحي، الإغريق والرومان والشرق الإغريقي الروماني، ط 1، دار عالم الكتب للنشر والتوزيع، الرياض، 1985، ص. 298.

(2) -Polybius, XV, 5, 13.

(3). LIVE, XXXVII, 53, 22--TITE

(4) -Camps (G.), Massinissa…, p. 190.

(5) -De la Malle (D.) et Yanoski (M.J.), op.cit., p. 100;Camps (G.), Massinissa…, p.191.

(6)-خلافا لما أورده بوليبيوس بشأن استيلاء ماسنيسا على مملكة المازيسيل على إثر هزيمة سيفاكس في زاما. يشير تيتيوس ليفيوس إلى أن الأمير فيرمينا ظل يقاتل الرومان بعد معركة زاما سنة 202 ق.م، ويذكر ذات المؤرخ أن فيرمينا حكم المازيسيل فترة زمنية أرسل خلالها سفراء إلى الرومان سنة 200 ق.م لعرض ولائه لهم، وأنه استقبل سفراء الرومان في مملكته. أنظر: -TITE-LIVE, XXX, 36, 7-8; XXXI, 19, 5-6

لكن يبدو أن ماسنيسا سرعان ما تمكن من التخلص من خطر فيرمينا خصوصا وأن هذا الأخير لم يستطع أن يوقع معاهدة هدنة أو تحالف مع الرومان نظرا للشروط القاسية عليه[1].

نذكر أن المصادر التاريخية لم تحدد بدقة السنة التي أحكم فيها العاهل النوميدي ماسنيسا سيطرته على كامل نوميديا بشطريها الشرقي والغربي، إلا أنه كما أسلفنا الذكر استطاع توحيد نوميديا لثاني مرة، أي بعد المحاولة الأولى التي تمت في عهد الملك سيفاكس بعد مدة وجيزة من معركة زاما سنة 202 ق.م.

يبدو أن الملك ماسنيسا كان قد حاول استثمار محتوى معاهدة زاما قدر الإمكان لانتزاع بعضا من الأراضي القرطاجية، مستغلا ضعف الدولة القرطاجية ووقوف الرومان إلى جانبه، خاصة وأن ذات المعاهدة لم تبين بشكل واضح الحدود بين مملكة ماسنيسا وممتلكات الدولة القرطاجية، في حين تسمح للملك النوميدي أن يطالب متى شاء بما يراه كان ملكا لأسلافه أخذته قرطاجة منهم،حتى وإن كان ضمن التراب القرطاجي[2].

يبدو أن الرومان تركوا ثغرة في تلك المعاهدة يمكن لماسنيسا استغلالها ليتوسع نحو الشرق مخترقا أراضي الدولة القرطاجية، ولا تملك قرطاجة أية قوة تمكنها من أي رد فعل سواء لإعاقة توسعات ماسنيسا أو معارضة تجاهل الرومان لذلك[3]، أي تطبيقهم سياسة الكيل بمكيالين في تعاملهم مع منطقة شمال إفريقيا، منتظرين الوقت المناسب لاستغلال تلك السياسة لتحقيق أهدافهم التوسعية.

من جهته لم يكن ماسنيسا بدهائه ومهارته ليهمل استغلال تلك الوضعية، فكانت ذاكرته على حد تعبير جوليان[4] تكشف له حقوقا قد جهلها والده جايا من قبله.

وهكذا، فقد استغل ماسنيسا فرار أحد المتمردين عن سلطته سنة 193 ق.م، وهو أفتير (Aphter) الذي كان قد لجأ إلى طرابلس لملاحقته عبر التراب الخاضع للسيادة القرطاجية، دون أن تسمح له قرطاجة بذلك[1].

---

(1)- غانم محمد الصغير، المملكة النوميدية...، ص. 86.

(2).-Gsell (S.), H.A.A.N.,T.III, p 312.

(3) -Camps (G.), Massinissa…, p. 192.

(4)- شارل أندري جوليان، المرجع السابق، ص. 140.

وقد مكنته تلك الحملة التي شنها سنة 193 ق.م تحت غطاء ملاحقة أفتير من أن يجتاح إقليم أمبوريا (Emporia) ويبسط نفوذه على المناطق الممتدة بين لبدة الصغرى (Liptis Minors) وطرابلس وأرغم بعض مدنها على دفع ضرائب باهضة مما أزعج القرطاجيين وسبب لهم إهانة كبيرة[2].

لقد تمكن ماسنيسا من خلال حملته سنة 193 ق.م أن يبسط نفوذه على جزء من إقليم أمبوريا[3]. الذي يعتبر من أغنى الأراضي القرطاجية وأكثرها خصوبة، وقد كان لماسنيسا من وراء ذلك عدة أهداف حسب بعض المؤرخين منها: استعادته لممتلكات كانت بحوزة الماسيل والاستفادة من تلك الأراضي المستصلحة، والتي كانت تضم ثروات زراعية وبشرية معتبرة[4].

إضافة إلى انه كان يهدف حسب ج.كامبس إلى حمل قرطاجة إلى رد الفعل وبذلك تكون قد أخلت بأحد بنود معاهدة زاما، واختبار موقف مجلس الشيوخ الروماني (Senat)[5] الذي فضل عدم التدخل في القضية عندما اشتكت قرطاجة إلى روما[6].

وبعد نحو عشر سنوات من التاريخ الذي أشرنا إليه سابقا، يقدم ماسنيسا على محاولة توسع أخرى على حساب أراضي الدولة القرطاجية.

ففي سنة 182 ق.م حاول استرجاع بعض الأراضي التي كان والده جايا قد افتكها من القرطاجيين، فأعادها لهم سيفاكس أثناء توحيده للنوميديتين. ويعتقد ج.كامبس أن تكون تلك أراضي ضمن الحفر الفينيقية (Les fosses phéniciennes)[7].

وبعد تلك الحادثة، اشتكت قرطاجة إلى مجلس الشيوخ الروماني، فأرسل وفدا (لجنة لتقصي الحقائق)، إلا أنه لم يكترث للأمر ولم يجبر ماسنيسا على التراجع عن سياسته العدائية تجاه قرطاجة[1].

---

(1) -Polybius, XXX, 21.

(2) -Saumagne (Ch.), Les préstextes juridiques de la troisième guerre punique, Rev. Hist, T. CLXVII, 1931, p. 238.

(3) -Polybius, XXXI, 21;Mommsen (Th.), op.cit., TIII, p. 265.

(4) -Gsell (S.), H.A.A.N., T.III, pp. 315- 316.

(5) -Camps (G.), op.cit., p.193 .

(6) -De la malle (D.) et Yanoski (M.J.), op. cit., p. 100.

(7) -Camps(G.), op.cit., p. 193.

ورغم اعتقاد ج.كامبس أن تلك الأراضي التي استولى عليها ماسنيسا تقع داخل الحفر الفينيقية، كما أسلفنا ذكره إلا أنه لا يستبعد أن يكون الأمر متعلقا بأراضي ساحلية كانت فتحت شهية ماسنيسا[2] ،خاصة وأنه سيشرع في بناء قوة بحرية بداية من سنة 180 ق.م سيكون لها دورها في التجارة بالبحر المتوسط خاصة مع بلاد الإغريق[3].

لم يكتف ماسنيسا بما سبق ذكره بل واصل استغلاله للأوضاع التي كانت تعيشها قرطاجة ليصب جام حقده وكراهيته لها، غير مكترث بالأضرار التي يسببها لها، بل يلقي دائما باللوم عليها، بدعوى عدم التزامها ببنود معاهدة زاما لسنة 201 ق.م. لذلك نجده يكشف سر محادثات كانت قد تمت بين الملك المقدوني برسي (Persée) وقرطاجة استعدادا للحرب المقدونية الثالثة[4]، بل زاد على ذلك بالاستيلاء على سبعين مدينة وحصن وذلك في ما بين سنتي 174-172ق.م[5].

ومن ثمة، يكون ماسنيسا قد استولى على جزء كبير من شمال غربي تونس الحالية باعتبار أن تلك المدن والحصون تقع في هذه المنطقة[6].

يلاحظ أن عدد المدن التي استولى عليها ماسنيسا في هذه الفترة والمشار إليها مبالغ فيه، غير أنه يجب إبراز الحادثة وردود الأفعال سواء من قرطاجة المغلوبة على أمرها أو من روما التي توجه تلك الأحداث، إلى أن يحين الوقت الذي تراه مناسبا للانتقام من قرطاجة.

---

(1) 318-Gsell (S.), H.A.A.N., T.III, p. .

(2) -Camps (G.), op.cit., p. 193.

(3)- منصوري خديجة، ماسنيسا ودول المدن الإغريقية من خلال البقايا المادية التي وجدت بالخروب وضواحيها (حوليات المتحف الوطني للآثار)، ع 11، 2002، ص ص. 98-109.

(4)- شكلت المحادثات التي أجراها برسي (Persée) ملك مقدونيا فيما بين (179-168ق.م) مع قادة قرطاجة قبيل الحرب المقدونية الثالثة التي انتهت بهزيمة الملك المقدوني برسيه في مدينة بيدنة (Pydna) في سبتمبر سنة 168 ق.م. نشاطا سياسيا مكثفا، اندرج ضمن المساعي الدبلوماسية القرطاجية الرامية إلى تأجيج الصراع الروماني- الإغريقي. وقد نجح حنبعل في ذلك، بعد أن عرض على الملك المقدوني فيليب الخامس تقديم قرطاجة يد العون لمقدونيا في حربها ضد روما، فقبل هذا الأخير التحالف مع القرطاجيين، واستمر ذلك التحالف القرطاجي- المقدوني ضد الرومان أثناء حكم الملك برسيه، آخر ملوك مقدونيا، وهو ابن غير شرعي للملك فيليب الخامس. أنظر: بيار غريمال وآخرون، موسوعة تاريخ أوربا العام (جزآن)، ج1 ، أوربا من العصور القديمة وحتى بداية القرن الرابع عشر، ترجمة أنطوان أ. الهاشم، منشورات عويدات، ط1، بيروت- باريس، 1995، ص ص. 180-181.

(5) -Saumagne (Ch.), Les prétextes juridiques…, pp. 252-253.

(6)- إبراهيم رزق الله أيوب، التاريخ الروماني، ط1، الشركة العالمية للكتاب، لبنان، 1996، ص ص. 134-135.

حيث يبدو أن الفترة اللاحقة لمعركة زاما هي مرحلة إنهاك الدولة القرطاجية، باستغلال الأحقاد التي يكنها ماسنيسا للقرطاجيين. لذلك نجد أنه رغم احتجاج قرطاجة الشديد على تصرفات ماسنيسا فمجلس الشيوخ الروماني كان قد اكتفى مضطرا بمجاملة قرطاجة اتقاء لأي تقارب مقدوني– قرطاجي، خاصة بعد تحذير غولوسان (Gulussan) ابن ماسنيسا لمجلس الشيوخ من خطر القرطاجيين[1].

لم تكف قرطاجة عن مطالبة مجلس الشيوخ الروماني بوضع حد لتصرفات ماسنيسا أو السماح لها بالدفاع عن نفسها ضد اعتداءاته المتكررة وغير المبررة[2].

ولا يستبعد الأستاذ حارش م.هـ.[3] أن يكون ماسنيسا قد استغل الدعم الذي قدمه للرومان أثناء حربهم الثالثة ضد مقدونيا (171–168 ق.م) لإقناعهم بغض الطرف عن شكاوي قرطاجة ضده، لأنه سيقدم سنة 162 ق.م على إكمال سيطرته على إقليم أمبوريا.

تمكن ماسنيسا خلال السنوات القليلة الموالية من بسط نفوذه على مناطق: الخمير والأسواق ولبدة الكبرى (Leptis Magna) التي كانت من أكبر المراكز التجارية القرطاجية[4]، كما استولى أيضا خلال سنة 153 ق م على السهول الكبرى (Campi magni) التي لطالما أغرت الملك النوميدي بخيراتها الوافرة، مما أثار مخاوف الرومان من طموحات ماسنيسا. لذلك نجدهم يرسلون بلجنة لتقصي الحقائق بعد شكوى قرطاجة[5].

---

(1) -TITE-LIVE, XLIII, 3.

(2) -Gsell (S.), H.A.A.N., T. III, p. 324.

(3)- حارش محمد الهادي، التطور السياسي... ،ص ص. 27- 28.

(4) -Lacroix (M.L.), op.cit., pp. 22-23.

(5) -De la Malle (D.) et Yanoski (M.J.), op. cit., p. 102.

ورغم تباطؤ تلك اللجنة التي كان على رأسها كاتو (Cato)[1]، إلا أنـــها أخذت الموضوع محمل الجد خوفا من تكرار مأساة حنبعل لكن هذه المرة بإفريقيا[2].

لقد عاد كاتو إلى روما وقدم تقريره أمام مجلس الـــشيوخ وضـــمنه أفكـــاره التوســـعية الاستعمارية كما أنهاه بكلمة بقيت على مر السنين خالدة وتشهد على الغطرسة والهيمنـــة الرومانية وهي "**يجب أن تهدم قرطاجة**" **(delenda est cartago)**[3].

---

[1]- ماركوس بوركيوس كاتو (Marcus Porcius Cato) ولد سنة 234 ق.م بمدينة توسكولوم (Tusculum) التي تبعد عن العاصمة روما بحوالي عشرة أميال، ينتمي كاتو إلى طبقة العامة، شغل عدة وظائف إدارية وسياسية وعسكرية، منها منصب القنصل سنة 195 ق.م، ومنصب الكونسور (Censorius) سنة 174 ق.م.

- انضم كاتو إلى الجيش وهو لا يتجاوز 17 سنة فأصيب بجراح متفاوتة الخطورة في عدة معارك منها: المعارك التي خاضها أثناء تصدي الجيش الروماني لهجمات حنبعل على المدن الإيطالية، وكان يعتبر الآثار الكثيرة التي خلفتها الجراح المتكررة في المعارك على جسمه، أوسمة شرف، يفتخر بها أمام أعدائه، ويقدمها دليلا على حبه لوطنه ودفاعا عنه.

- حارب كاتو من رآهم فاسدين في مجلس الشيوخ وطبقة الفرسان. فأطلق عليه اسم كاتو الرقيب (Cato Censorius) كما عـــرف كخطيب مقنع وكاتب مبـــدع، ألقى حوالي 150 خطـــبة لم يـــبق منها إلا فقـــرات قليـــلة. ورأى في الهيليـــنية (Hillinisme) عامـــل هـــدم وانحطـــاط، يجـــب إبعـــاد تأثيـــراته عن المجتـــمع الرومـــاني، فكـــان بذلك من أشـــد أعـــداء الفـــكر اليونـــاني، رغـــم اهتمامـــه بدراســـة اللغـــة الإغـــريقيـــة فـــي أواخـــر سنـــيـــن حيـــاتـــه.

حاول كاتو إصلاح أوضاع المجتمع الروماني المتدهورة في عصره، بالدعوة إلى محاربة حياة الترف والبذخ في روما = = وكبح جماح الانتهازيين من ملاك الأراضي والتجار في الولايات الخاضعة لسلطة روما... لمزيد من المعلومات أنظر:

-Plutarque, Les vies des hommes illustrés, T.2, trad. Jacques Amyot, éd. Gallimard, Paris, 1985;Vie de Caton, I, II .

[2]- زبيب نجيب، الموسوعة العامة لتاريخ المغرب والأندلس، ج1، ط1، دار الأمير للثقافة والعلوم، بيروت، لبنان، 1994 ، ص ص. 179-180.

[3]- لاحظ كاتو عند وصوله إلى إفريقيا على رأس لجنة تقصي الحقائق حول الصراع الدائر بين قرطاجة والملك النوميدي جاهزية الجيش القرطاجي المشكل حديثا وتدريبه على أسلحة جديدة، كما أن الملك النوميدي يكون قد أبلغه بكل ما لديه من معلومات حول استعدادات القرطاجيين، وبذلك عاد كاتو إلى روما محملا بالحقد و الوعيد وهو يفكر في الانتقام، ذلك أنه عند تلاوته للتقرير الذي أعده حول الأحداث التي جرت بين قرطاجة وماسنيســا أبرز فيه أن معاهـدة السلم التي أبرمت مع قرطاجة لم تكن إلا مطية لتعليق الحرب مع روما، ريثما تتوفر الظروف الملائمة لخوض غمار الحرب مرة أخرى. في أثناء ذلك نفض كاتو عباءته بما يلفت الأنظار، فتناثرت حبات التين الليبي الكبيرة الحجم، الجميلة الشكل، والطيبة المذاق، فنالت إعجاب بل دهشة أعضاء مجلس الشيوخ الروماني من جودتها. فوجد كاتو الفرصة الملائمة لتمرير مكيدته ضد قرطاجة حيث قال أمام المجلس: " إن الأرض التي أنتجت هذه الثمار، لا تبعد عن روما إلا بثلاثة أيام من الإبحار". ثم صرخ بأعلى صوته "يجب أن تهدم قرطاجة". "Delenda est Cartago " . و رغم معارضة بعض أعضاء مجلس الشيوخ وعلى رأسهم بوبليوس سيبيون نسيكا (Publius Scipion Nasica) لفكرة تدمير قرطاجة، إلا أنه في نهاية الأمر

لم يكتف ماسنيسا بالعمل العسكري في علاقته مع قرطاجة بل تعداه إلى العمل السياسي فسلك مختلف الطرق والمراحل لإذلال القرطاجيين والفتك بهم. فقد استطاع أن يكون مناصرين له في قرطاجة[1].

كما عمل على بث العيون وتدعيم التنظيمات المعارضة لها داخل المدنية في حد ذاتها، لكنه يلاحظ أنه فيما بين سنتي 151-150 ق.م وذلك عندما وصل الديمقراطيون إلى السلطة في قرطاجة كانوا قد عملوا على طرد أنصار ماسنيسا مما دفع هذا الأخير إلى التدخل بإرسال ابنيه مسيبسا (Micipsa) وغولوسان (Gulussan) إلى قرطاجة بهدف التوسط لأنصار والدهما. لكن قرطاجة لم تسمح لهما بدخول المدينة[2] بل أكثر من ذلك فقد تعرضا لهجوم من قبل هملكار (Hamilcar) قتل أثناءه بعض جنودهما مما جعل ماسنيسا رغم تقدمه في السن يقدم على حصار مدينة أوروسكوبة (Oroscopa)[3].

فاندلعت الحرب من جديد بين الطرفين وقد تمكن قائد الجيش القرطاجي صدر-بعل أن يهزم جيش ماسنيسا في المناوشات الأولى للمعركة. تلك المناوشات التي أغرت القائد القرطاجي باللحاق بماسنيسا الذي كان يحاول جلب خصمه إلى مكان منبسط اختاره ميدانا للمعركة الحاسمة التي استمرت طوال النهار وجزء من الليل، وتكبد فيها الطرفان خسائر فادحة، إلا أن النصر النهائي كان إلى جانب ماسنيسا[4].

لقد كان سيبيون الإميلي يراقب عن قرب تلك المعركة المشار إليها آنفا، وبنهايتها لصالح الملك النوميدي اضطر القرطاجيون إلى طلب وساطة القائد الروماني لإنهاء

تمكن كاتو من إقناع أغلبية الأعضاء بضرورة شن حرب مدمرة على قرطاجة، رغم أن الموت أدركه ولم ير حلمه يتحقق في ربيع 146 ق.م. حول الموضوع أنظر:

-Plutarque, op.cit., Vie de Caton, XLI

(1) -Lancel (S.), Carthage…, p. 552.

(2) -Camps (G.), Massinissa…, p. 194.

(3)- يجهل موقع هذه المدينة رغم تخمينات ج. كامبس المستندة إلى الأصل الإغريقي لكلمة Oroscopa التي تعني منطقة جبلية، ومن ثمة يحددها ما بين السهول الكبرى وإقليم توسكا، أي في جبال الخمير. أنظر:

-Camps (G), Massinissa…, p. 194.

(4)- يشير س. جزيل إلى ضخامة الخسائر التي مني بها كل من صدر- بعل وماسينسا ويرجع ذلك إلى العدد الكبير الذي حشده كل طرف، فجيش صدر- بعل تجاوز ثمانية وخمسين ألف جندي، يماثله في ذلك عدد جند ماسنيسا الذي أحسن التخطيط بتسيير المعركة وفقا للخطة التي رسمها لها... لمزيد من المعلومات حول هذه المعركة أنظر:

-Gsell (S.), H.A.A.N., T.III, pp. 324-325.

الحرب،إلا أن شروط الملك النوميدي كانت قاسية،مما ترتب عنه رفض القرطاجيين في البداية، لكن تموقع جيش ماسنيسا على أماكن إستراتيجية منعت وصول المؤونة إلى الجيش القرطاجي مما جعل صدر–بعل يرضخ لشروط ماسنيسا المذلة لقرطاجة، والمتمثلة فيما يلي:

1. السماح للمطرودين من قرطاجة بالعودة إليها.
2. تدفع قرطاجة غرامة قدرها (5000) وزنة فضية بالتقسيط على مدى 50 سنة.
3. مرور الجنود القرطاجيين من موقع واحد تباعا أمام النوميديين، بحيث لا يلبس الواحد منهم أكثر من جلباب قصير[1].

رغم تلك الشروط القاسية، إلا أن غولوسان لم ينس ما فعله القرطاجيون به ففتك بمعظمهم، ولم يفلت من قبضته إلا عدد قليل، استطاع أن يدخل مع صدر–بعل مدينة قرطاجة[2].

نُذَكِّر أن السياسة الرومانية اتجاه ما كان يحدث حينذاك في الشمال الإفريقي شبيهة بما يعرف حاليا بـــ(سياسة الكيل بمكيالين التي تمارسها هيئة الأمم المتحدة في الصراع العربي الإسرائيلي).

فقد غض الرومان الطرف عن تجاوزات ماسنيسا لإضعاف قرطاجة فزادت طموحات الملك النوميدي التي يغذيها حقده الكبير على قرطاجة. فأصبح يأمل أن يضم أراضي قرطاجة إلى مملكته ويجد في الرومان سندا له في ذلك، جراء وفائه المتواصل لهم[3].

لكن ما كانت روما ذات المصالح والمطامع في إفريقيا أن تسمح بنمو قوة قد تهدد تلك المصالح. فقرر مجلس الشيوخ بناء على تقرير كاتو إزالة قرطاجة والوقوف في وجه طموحات الملك النوميدي متذرعة بخرق بنود المعاهدة التي تحظر عليها شن أي

(1) -De la malle (D.), Carthage…, p. 106.

(2) -Gsell (S.), H.A.A.N., T.III, p. 326.

(3) -Gaid (M.), Les Berbères dans l'histoire de la préhistoire à la Kahina, Tom.1, éd. Mimouni, Alger, 1990, p. 101.

حرب دون موافقة الرومان، فكان بذلك طموح ماسنيسا وحقده وراء تدمير قرطاجة وإزالتها نهائيا[1].

من خلال ما سبق، يمكن اعتبار حوادث 150 ق.م بمثابة الذريعة التي اتخذتها روما لإزالة قرطاجة وإعاقة ظهور قوة جديدة في الحوض الغربي للمتوسط قد تهدد سياستها الرامية إلى بسط نفوذها في المنطقة، خاصة وأن الأنتلجنسيا التي تسيطر على مجلس الشيوخ الروماني على حد تعبير الأستاذ غانم محمد الصغير[2] كانت تدرك

تماما مرامي الملك النوميدي خاصة وأن شعاره كان "**إفريقيا للأفارقة**".[3]

---

[1]- أندري إيمار، جانين أوبواية، تاريخ الحضارات العام (3 مجلدات)، ترجمة : فريد.م.داغر، يوسف أسعد داغر، منشورات عويدات، ط 2، بيروت – باريس، 1981، المجلد الثاني : روما وإمبراطوريتها، ص. 64.

[2]- غانم محمد الصغير، المملكة النوميدية...، ص. 85.

[3]- رفع الملك ماسنيسا شعار **"إفريقيا للأفارقة"** وحاول أن يجعل من نوميديا الموحدة نموذجا للدول التي احتك بها مثل قرطاجة، ودول المدن الإغريقية وروما.

وصفه مؤرخو عصره بالعظمة والشهرة، والقوة جسدا وعقلا، وأرجعوا فضل الانتقال من حياة البداوة إلى حياة التمدن والاستقرار في نوميديا إليه، فبوليبيوس الذي عاش في عصره واحتك به شخصيا يقول في هذا الصدد:

" قبل حكم ماسينسا لم تكن نوميديا إلا أرضا بورا، قاحلة... وبفضله وحده وبجهوده فقط أصبحت تلك الأرض منتجة لكل أنواع الثمار..."(Polybius, XXXI, 16-21 -)، رغم ذلك تبقى سياسة الملك ماسينسا خصوصا مع روما لا تعبر عن تبني الرجل للشعار المشار إليه، ذلك أن ارتمائه في أحضان الرومان مهد لهم الطريق لبسط نفوذهم على إفريقيا التي دعا ماسينسا لأن تكون للأفارقة.

وفي هذا الصدد، يطرح الأستاذ غانم محمد الصغير تساؤلا في غاية الأهمية: هل كان للثقافة العسكرية التي طغت على شخصية الملك أثر جعله لا يدرك الأبعاد المستقبلية للسياسة الرومانية وخطورتها على إفريقيا، ومملكته تحديدا؟.

إن إنصاف الرجل يكمن في عدم اتهامه أو تبرئته، ما دامت الظروف المحيطة بحكمه غير واضحة تماما، ذلك أن معظم المعلومات التي وصلتنا حوله مستقاة من مصادر لاتينية أو إغريقية، والأكيد أن الساسة الرومان كانوا يدركون أهدافه الحقيقية، لذلك عملوا على توجيه سياسته وفقا لمصالحهم.

ويبدو أن الملك ماسينسيا وجد نفسه مجبرا على أن يختار شرا كان قائما حين ذاك، وهو قرطاجة، وإما أن يختار شرا محتملا وهو روما، بينما كانت ظروف وخلفيات وراثة العرش النوميدي إثر وفاة والده جايا سببا في اختياره للشر الثاني، وهو ما لا ينفي سياسته الإفريقية من خلال استغلاله للاستقرار السياسي الذي عم البلاد في القيام بإصلاحات متعددة الجوانب في الدولة النوميدية. حول الموضوع أنظر:

باختلاق روما لذريعة التدخل، كانت الحرب البونية الثالثة (149-146 ق.م) التي أزالت قرطاجة من الوجود وفارق خلالها ماسنيسا الحياة بعدما قضى أزيد من نصف قرن من الكفاح والبناء واستطاع أن يغير الخريطة السياسية لنوميديا ويترك بصماته في الأحداث السياسية التي عرفها النصف الثاني من القرن الثاني قبل الميلاد[1].

- TITE-LIVE, VI; XXXV; Camps (G.), Massinissa…, pp.231-233;
- غانم محمد الصغير، المملكة النوميدية...، ص. 85.

(1) -Dahmani (S.), Les Royaumes Numides, (L'Algérie au temps des Royaumes Numides V^{e} siècle av. J-c – 1er siècle ap. J-c), Smogy éditions d' Art, Paris, 2003, pp. 81-94.

3- فترة حكم الملك مسيبسا:

بعد وفاة ماسنيسا في حوالي 148 ق.م، خلفه أبناؤه الثلاث مسيبسا (Micipsa) أو مكوسن (م.ك.و.س.ن)، كما ورد اسمه في بعض النقوش البونية وغولوسان (Gulussan) ومصطنبعل (Mastanbal)[1].

وقد قسم الحكم على الأمراء الثلاث بإشراف سيبيون إميليانوس[2] الذي ادعى أنه استند إلى تقاليد قديمة لدى النوميديين في كل من مدن دوقة (Dogga) وألثيبورا (Althiburas) ومكثر (Makthar) التي كانت تسير من قبل ثلاث أشفاط (Suffètes)[3]، وما لبث أن انفرد مسيبسا بالحكم بعد وفاة أخويه غولسان ومصطنبعل حوالي سنة 148 ق.م[4]. إذ لم يكن قد عهد له والده بالخاتم الذي يرمز إلى السيادة والقوة. وذلك ما يشير إلى الحكم باعتباره هو أكبر إخوته، طبقا لتقاليد القبائل النوميدية التي تولي السلطة للأكبر سنا، حسب ما يراه بعض المؤرخين[5].

وبعد انفراد مسيبسا بالحكم، ربما يكون قد أدرك النوايا التوسعية الرومانية ضد مملكته، لذلك واصل السير على نهج والده في موالاة الرومان، حتى لا يترك لهم ذريعة للتدخل في شؤون بلاده، فكان يزودهم بالحيوانات كالفيلة والخيول، إضافة إلى القمح والفيالق العسكرية[6].

---

(1) -Berthier(A.) et Charlier(L.R.),Le sanctuaire punique d'El-Hofra à Constantine,Paris,1955, p. 59, inscrip. 63;

- غانم محمد الصغير، نقيشة دوقة الأثرية "دراسة لغوية وتاريخية"، (مجلة العلوم الإنسانية)، ع 10، جامعة قسنطينة، 1998، ص ص. 101-112.

(2)- يبدو أن السياسة الرومانية المنتهجة مع نظام الحكم النوميدي بعد وفاة ماسينسا اعتمدت على مبدأ التقسيم للحفاظ على امتيازات الرومان التي أسس وخطط لها سيبيون إميليانوس ونفذها بإتقان الملك ماسينسا، كما أن سيبيون لم يكن واثقا من أن سياسة ماسنيسا تجاه روما ستستمر في حالة ما إذا انفرد أحد أبنائه بالحكم. غير أنه بعد إنفراد ميسيبسا بالحكم على إثر وفاة أخويه، وسيره على خطى أبيه، بدد مخاوف الرومان ولو إلى حين. أنظر:

-Lacroix (M.L.), op.cit., p. 25; Gaid (M.), op.cit., p. 102.

(3) -Camps (G.), Massinissa…, pp. 253-254.

(4)- غانم محمد الصغير، نقيشة مسيبسا الأثرية "دراسة مقارنة"، (مجلة سيرتا)، ع 4، ديسمبر 1980، ص ص. 02-14.

(5)- فنطر محمد حسين، يوغرطة من ملوك شمال إفريقيا وأبطالها، الدار التونسية للنشر، تونس، 1970، ص. 68.

(6) -Saumagne (Ch.), La Numidie et Rome, P. U. F., Paris, 1966, p. 100 .

ولا يمكن الحديث عن علاقة مسيبسا بقرطاجة أثناء توليه الحكم، لأن الرومان شرعوا في حصارها تمهيدا لتدميرها في بداية حكمه. وهذا لا يلغي طابع الحقد على قرطاجة والذي كان والده قد غرسه فيه منذ صباه، كما عرفنا ذلك فيما سبق. وعلى العموم يمكن القول بأن فترة حكم مسيبسا لنوميديا،كانت قد اتسمت بالسلم والتفرغ لبناء الدولة في مختلف أنشطتها الاقتصادية والعمرانية والعسكرية.

وفي هذا الصدد، يشير استرابون (Strabon) إلى الازدهار الذي عرفته التجارة في عهده، خاصة العاصمة سيرتا التي أصبحت مركزا تجاريا ضخما. كما أن اهتمامه بالمجال الاقتصادي لم يمنع من ازدهار الدولة في المجالين العسكري والعمراني، فزيادة على القصور والتحصينات التي بناها في العاصمة سيرتا كانت المدينة تستطيع تجنيد عشرة آلاف فارس و 20 ألف جندي من المشاة. [1]

دام حكم مسيبسا مدة 30 سنة (148-118 ق.م) وتميز بالاستقرار وانتشار السلم فاستغل ذلك في البناء الاقتصادي والحضاري[2].

رغم إشراف الرومان المباشر على توزيع تركة ماسنيسا بين أبنائه الثلاث ورغم سياسة التبعية للرومان التي انتهجها مسيبسا على غرار والده،وهذا يبرز مدى تحكم الرومان في تسيير شؤون المملكة النوميدية وتخطيط مستقبلها تماشيا مع استراتيجيتهم في المنطقة المغاربية[3].

رغم ذلك، فقد فرض السلم والأمن والعلم فكانت سيرتا عاصمته، كما ذكرنا سابقا مزدهرة، وأشار إلى ذلك الكثير من المؤرخين فتحدثوا عن التطور الفني والفكري والمعماري الذي اتسمت به، وقد أصبحت قبلة للأدباء والفلاسفة الوافدين من بلاد الإغريق وإيطاليا[4].

بعد وفاة مسيبسا حوالي سنة 118 ق.م دخلت المملكة النوميدية في مراحل جديدة من الانحطاط الفكري والصراعات المتتالية حول السلطة، وقد حاول بعض ملوكها أن

---

(1) -Strabon, XVII, 3, 13.

(2) -Gaid (M.), op.cit., p. 102

(3)- فنطر محمد حسين، المرجع السابق، ص. 120.

(4). Picard, 1981, p.-Berthier (A.), La Numidie, Rome et le Maghreb, éd 159.

يعيدوا لها مكانتها خاصة يوغرطة ويوبا الأول، إلا أنهما فشلا في ذلك مما فتح المجال واسعا للرومان للتدخل المباشر في الشؤون النوميدية[1].

وهكذا نرى، أنه تعددت العوامل التي ساهمت في تدمير قرطاجة، فزيادة على طموحات ماسنيسا التوسعية وتحرشات الرومان، لا سيما بعد استيلائهم على صقلية التي كانت تشكل حاجزا مانعا للتصادم بين القوتين الكبريين في البحر المتوسط[2].

كذلك لا نستبعد عامل السياسة القرطاجية في حد ذاتها، حيث تحولت من تركيز اقتصادها على التجارة إلى إمبراطورية استعمارية توسعية، ويبدو أن لكبار الأثرياء من التجار وأصحاب الضياع دور في ذلك التحول،حيث على الراجح أنهم هم الذين كانوا يقومون بتجهيز الجيش وبناء السفن، وبفضل تلك القوة أصبحت تعامل البلاد الخاضعة لها بدرجات مختلفة القسوة، وذلك بفرض الإتاوات وتجنيد شبابها في الجيش القرطاجي وتقييد تجارتها بأشد القيود[3]، مما يرجح حسب رأينا ألا يخرج كره النوميديين وحقدهم على قرطاجة لاسيما ماسنيسا عن هذا السياق.

ثانيا: الرومان يقررون تدمير قرطاجة:

نذكِّر أنه بدفع قرطاجة لإعلانها الحرب سنة 151 ق.م من قبل الرومان، كانت قد أخلت بشروط المعاهدة التي أنهت الحرب البونية الثانية من وجهة من كان يتربص بها ويتحين فرصة إيجاد ذريعة لإعلان الحرب. كما انه لا يستبعد أن يكون للجالية الإيطالية ضلع في حبك المؤامرة من خلال عمل الكثير منها عيونا لماسنيسا في المدينة، تعمل على إذكاء الصراع بينه وبين قرطاجة[4].

---

(1)- غانم محمد الصغير، المملكة النوميدية...، ص. 97.

(2)- أندري إيمار، جانين أوبواية، المرجع السابق، ص. 64.

(3) - ول ديورانت، قصة الحضارة، ج 1، المجلد3، قيصر والمسيح أو الحضارة الرومانية، ترجمة محمد بدران، جامعة الدول العربية، بلا تاريخ، ص ص. 85- 86.

(4).-Pareti (L.) , Histoire de l'humanité, Tom .II, (Antiquité), UNESCO, Paris, 1965, p 320.

تبعا لذلك أعلن مجلس الشيوخ الروماني الحرب على قرطاجة، فنزل سيبيون الإميلي (الابن) بالتبني على رأس الجيش الروماني في سواحل أوتيكا (Utique)[1] خلال ربيع سنة 147 ق.م. وبعد مدة قصيرة استطاع أن يصل إلى ضواحي مدينة ميقارا (Megara)[2] في حين تراجع القرطاجيون خلف أسوار مدينتهم وشرعوا في الاستعداد للحرب بعد إعلان مجلس شيوخ قرطاجة الحرب على الرومان[3].

يبدو أن مجلس الشيوخ في قرطاجة كان قد أعلن الحرب مضطرا، بعد أن تأكد أن الرومان عازمون على اقتحام المدينة، وأمام ما يمكن تسميته بالاستنزاف الذي عاشته قرطاجة منذ حرب 151 ق.م، وما ترتب عنه من ضعف في قدرات الجيش عددا وعدة واستعدادا واعتيادا على أساليب القتال، أهاب مجلس الشيوخ بكل الفئات الاجتماعية القرطاجية من النساء والرجال وحتى العبيد، بأن يسهموا في بناء جيش جديد ويصنعوا أسلحة جديدة يدافعون بها عن مدينتهم[4].

في حين تأكد الرومان بأن الانتصار يكمن في الاستمرار بحصار المدينة عبر البر والبحر. فأقاموا معسكرا بجوار المدينة المحاصرة. وأنشأوا جدارا أعلى من أسوار

---

[1]- يشير الأستاذ م. ص. غانم إلى أن أوتيكا قد أسست فوق مرتفع على مقربة من مصب نهر مجردة وتبعد عن البحر بحوالي 10كلم ويفصلها عن قرطاجة حوالي 15 ميلا، وقد كان تأسيسها سنة 1101 ق.م لأغراض اقتصادية تجارية محضة، لربط فينيقيا بالمغرب القديم، وتسهيل التبادل التجاري بينهما، ثم تحولت إلى مستوطنة فينيقية تنتج كميات كبيرة من القمح لتصديرها إلى المدن الفينيقية في شرق المتوسط، ويشير بعض المؤرخين إلى كون أوتيكا كانت مرتبطة بشكل مباشر بالسيطرة القرطاجية، ولم تنفصل عنها إلا بعد الحرب البونية الثالثة، عندما أحست بتراجع قوة قرطاجة، واستسلمت للجيش الروماني بقيادة سيبيون إميليانوس الذي أقام معسكره بها، وبعد تدمير قرطاجة سنة 146ق.م، أصبحت أوتيكا عاصمة إدارية وسياسية لإفريقيا الرومانية... لمزيد من المعلومات أنظر:

- غانم محمد الصغير، التوسع الفينيقي...، ص ص. 93-96.

[2]-يعتقد ديرو دولامال أن كلمة ميقارا مشتقة من الكلمة البونية ماقارا (Magara) التي تعني المدينة الجديدة.

تعتبر ميقارا امتدادا لمدينة قرطاجة من جهة الشمال حيث تقع ما بين هضبة بيرسا (Byrsa) جنوبا والمنحدرات السفلية لرأس كامارت (Qamart) المحاذي للبحر شمالا.

ومن ثمة فهي أحد الأحياء المنبثقة عن قرطاجة. إلا أن كثافتها السكانية كانت منخفضة، ذلك أنها كانت منطقة فلاحية تضم حدائق من مختلف أنواع الفواكه. لمزيد من المعلومات أنظر:

- De la Malle (D.), Carthage…, p. 143; Lancel(S.) , Carthage…, p. 557.

[3]- ول ديورانت، المرجع السابق، ص. 222.

[4]- نفسه.

قرطاجة وأقاموا فيه قلعة خشبية عالية، يمكن من خلالها مراقبة ما يحدث داخل قرطاجة المحاصرة[1].

في تلك الأثناء كان القرطاجيون يحاولون النهوض من جديد وتعويض ما فات. وكأنهم يسابقون الزمن، فقد هدموا المباني العامة لاستعمال أخشابها وحديدها، وصهروا تماثيل الآلهة لصناعة السيوف، وضربت نساء قرطاجة أمثالا في التضحية والصبر، حيث أنهن قصصن شعورهن لتصنع منها الحبال وتجدل بها الأقواس[2]، ففي خلال شهرين فقط استطاع القرطاجيون أن يصنعوا 8.000 درع، 18.000 سيف، 70.000 حربة، 60.000 قذيفة منجنيق، و 120 سفينة[3].

وخلال تلك المدة (شهرين) صمد القرطاجيون واستماتوا في الصبر وبذل الجهود المضنية، كما اهتدوا إلى حيلة تمكنوا من خلالها من تمرير السفن التي أنشأوها إلى الميناء المحاذي للمدينة، وهي فتح باب جديد يؤدي إلى الميناء القريب من السور المحاذي للبحر دون أن ينتبه الرومان لذلك. وتمكنت تلك السفن من مهاجمة الأسطول الروماني الذي كان يحاصر قرطاجة بحرا[4].

كان عدد سكان قرطاجة حينها لا يزيد قليلا عن 200.000 نسمة بما فيهم العبيد، ومع ذلك قاوموا الحصار والجوع والأمراض طوال مدة الحصار، ولم يفقدوا الأمل لا سيما أنه قبل اقتحام المدينة حاول هاسدر–بعل أن يناوش الجيش الروماني في نيفيريس (Nepheris) بضواحي قرطاجة من خلال جيش قوامه 80.000 جندي[5] تركه هاسدر–بعل تحت قيادة قائد إغريقي وآخر نوميدي يدعى بيثياس (Bithyas) والتحق بقرطاجة للإشراف على عملية التحصين والاستعداد للدفاع عنها، ولكن ذلك الجيش (أمل

---

(1) -Lapeyre (G.) et Pellegrin (A.), op.cit., p. 122.

(2)- زبيب نجيب، المرجع السابق، ص. 183.

(3)- ول ديورانت، المرجع السابق، ص .222.

(4).-Lapeyre (G.) et Pellegrin (A.) , op.cit., p 122.

(5) -Pellegrin (A.), Histoire de la Tunisie depuis les origines, éd. 4, Bouslama, Tunis, 1975, pp. 52 - 53.

قرطاجة) لم يستطع الصمود أمام الفرق العسكرية الرومانية بقيادة لايليوس (C.Laelius) خلال 22 يوما من الحصار [1].

لقد اختار القرطاجيون الموت على أنقاض مدينتهم ولم يقبل صدر-بعل بعرض أحد أبناء ماسنيسا[2] والمتضمن ضمان حياته وتسليم المدينة بمن فيها من السكان مقابل وقف الحرب على ما يفهم من جوليان[3].

وبذلك أمر سيبيون باقتحام المدينة فاندفع الجنود الرومان على ثلاث اتجاهات رئيسية مؤدية كلها إلى بيرسة (Byrsa) فاحتلوا المدينة السفلى واقتحموا المنازل واحدا تلو الآخر، وعسكر سيبيون في الساحة العامة (Agora)، فكان القرطاجيون يحتمون في الطوابق العلوية، ويطلقون صولات من النيران والحجارة على الجنود الرومان. وفي خلال ثلاثة أيام من الحرب والقتال داخل المدينة لم يستطع الرومان تحقيق الانتصار المنشود فاضطر سيبيون في اليوم الثالث إلى إدخال كتائب الفرسان[4].

ورغم ذلك استمر صمود القرطاجيين ، واشتدت مقاومتهم فزادت وحشية الرومان وحقدهم حيث كانوا يرمون بالنساء والأطفال من السطوح والشرفات. ولم يكتفوا بذلك بل أمر سيبيون بإحراق المدينة.

وفي اليوم السابع، استسلم جزء كبير من السكان لحماية أرواحهم[5] فوافق سيبيون على طلبهم وأصبح 55 ألف من الرجال والنساء والأطفال عبيدا لدى الجيش الروماني[6].

وبقي أحد جيوب المقاومة في قلب المدينة المحترقة عند معبد أشمون (Eshmoun) مع صدر-بعل وزوجته وأبناءه، إضافة إلى 900 من الجنود الرومان الفارين من المعركة[7].

---

(1).-Lapeyre (G.) et Pellegrin (A.), op.cit., p 122.

(2)- هو غولوسا على ما يبدو وحسب : G.Lapeyre, A.Pellegrin أنه كان رفقة سيبيون على رأس فرقة من الجيش النوميدي، Ibid .

(3)- شارل أندري جوليان، المرجع السابق، ص. 145.

(4)- زبيب نجيب، المرجع السابق، ص ص. 173- 174.

(5)- شارل أندري جوليان، المرجع السابق، ص. 145.

(6) -Pellegrin (A.) , op.cit., p. 53.

(7) -Lapeyre (G.) et Pellegrin (A.) , op.cit., p. 122.

وكانت زوجة صدر-بعل قد تزينت بأحلى ما لديها من ملابس وبقيت ماكثة مع أبنائها في معبد أشمون، بينما فضل صدر-بعل ملاقاة سيبيون سرا حاملا إليه غصن الزيتون، فأهانه القائد الروماني بأن طلب منه الركوع عند رجليه[1].

لقد فضل صدر-بعل الاستسلام ربما حفاظا على حياته أو حفاظا على من تبقى في المدينة من أحياء، ولكن زوجته فضلت الموت على أن تهان من قبل الرومان، فحسب بعض المؤرخين المعاصرين للحدث، ومنهم أبيانوس الذي يذكر أن زوجة صدر-بعل عندما شاهدت زوجها في تلك الوضعية المهينة مع سيبيون خاطبتهما معا واصفة ما أقدم عليه زوجها بالجبن والخيانة، مستهزئة بما قام به سيبيون من وحشية وتنكيل لسكان قرطاجة، ورمت بنفسها في نار معبد أشمون مفضلة الموت على أن تساق مع العبيد إلى روما وتراها النساء هناك في تلك الوضعية المهينة تمر أمام قوس النصر الذي أقيم لسيبيون خصيصا في روما[2].

(1) -Ibid, pp.123-125.

(2) - Gsell (S.), H.A.A.N.T.III, PP. 401-402.

ثالثا: انعكاسات تدمير قرطاجة على نوميديا :

لقد حاول الرومان بعد تهديمهم لقرطاجة سنة 146 ق.م تفادي أو تحييد النوميديين بل سلكوا سياسة التحالف معهم أو إثارة الفتن بينهم[1] وهدفهم في ذلك على ما يبدو هو توجيه الأوضاع الداخلية النوميدية حسب ما تقتضيه المصلحة الرومانية إلى غاية استقرار الأوضاع في قرطاجة المدمرة.

لأنه رغم انتصارهم على قرطاجة إلا أنهم تكبدوا خسائر كبيرة، وتدل على ذلك الاستماتة الكبيرة التي أبداها القرطاجيون في الدفاع عن مدينتهم وإصرارهم على البقاء وفي هذا الصدد، يعتقد المؤرخ الفرنسي: فيرناند برودال (F.Braudel)[2] أن تدمير قرطاجة يندرج ضمن سياق السيطرة على الحوض الغربي للبحر المتوسط الذي شكل رهانا بين قرطاجة وروما آل إلى صراع، سوف لن ينتهي إلا بزوال أحد طرفي ذلك الصراع.

وكان على القرطاجيين أن يستسلموا للحتمية التاريخية التي جعلت من انتصار الرومان قدرا مسطرا أملاه قانون الطبيعة. ذلك ما يفهم مما أورده المؤرخ الآنف الذكر حول تفسير بوليبيوس لظاهرة التوسع الروماني والانتصار على قرطاجة سنة 146ق.م[3].

لقد أشرنا سابقا إلى الظروف التي مرت بها قرطاجة والانعكاسات التي ترتبت عن معاهدة زاما (Zama) المبرمة سنة201 ق.م، حيث عرفت المدينة ما يشبه الحصار السياسي والاقتصادي والعسكري من قبل الرومان وماسنيسا، إذ لا يمكن تفسير ما حدث سنة 146 ق.م، دون العودة إلى مخلفات معركة زاما (Zama) سنة 202 ق.م ونتائجها على قرطاجة[4]، والتي على ما يبدو هي التي عجلت بالحرب بين المتنازعين.

بعد تدمير قرطاجة سنة 146 ق.م أنشأ الرومان مقاطعة إفريقيا التي شملت الأراضي التي كانت بحوزة قرطاجة عشية اندلاع الحرب البونية الثالثة[5].

---

(1)- غانم محمد الصغير، المملكة النوميدية...،ص .121.

(2) -Braudel (F.) , Les mémoires de la méditerranée, préhistoire et antiquité, éd. Fallois, 458..Paris, 2002, p 459.

(3).- Ibid, p 52.

(4).-Pellegrin (A.) , op.cit., p

(5) -Cagnat (R.), L'armée romaine d'Afrique et l'occupation militaire de l'Afrique sous les

ومن ثمة فمساحة تلك المقاطعة التي لم تكن واسعة ، حيث أنها لم تتجاوز غداة إنشائها 25.000 كم²، إذا أخذنا بعين الاعتبار المنطقة التي يحدها جنوبا الخندق الذي حفره سيبيون والذي يبدأ من مصب الوادي الكبير (Tusca) بجوار ميناء تبرقة (Thabraca)[1] ويتجه إلى الجنوب الشرقي بمحاذاة المدن النوميدية : باجة (Vaga) وتبرسق (Thubursicubure) ودوقة (Thugga). وبعد ذلك يميل نحو الشرق إلى أن يصل إلى جبل فكيرين (Fekerine) في الجنوب الغربي من جبل زغوان (Zeghouane). ومنه يمتد على خط مستقيم إلى هنشير طينة (Thenae) على بعد 12 كم جنوب مدينة سفاكس (Syfax). شاملا بذلك سبختي سيدي الهاني والقرة.

لقد استطاع الباحث شارل سومـــاني (Ch.Saumagne) أن يبين أن هذا الخندق حفر بالقرب من السلاسل الجبلية الموازية للساحل من جبل خشيم إلى جبل فكيرين وتنتهي هذه المقاطعة في السرت الصغرى (خليج قابس) [2].

ولإحكام السيطرة على المقاطعة الإفريقيـــة وربطها بالسلطـــة الرومانية عين على رأس المقاطعة شخصيات مقربة من محيط القناصل أو القضاة في رتبة مساعدي القناصل وأطلق على حاكم المقاطعة لقب بريطور (Preteur) [3] الذي استمر إلى غاية يعين لمدة

---

(1)- empereurs, imprimerie nationale, Paris, 1892, introd. p . VIII ; Babelon (E.), op.cit., p. 84. -Cagnat (R.), op.cit., introd. p. VIII.

(2)- شارل أندري جوليان، المرجع السابق، ص. 148.

(3)- كانت الإدارة الرومانية ترسل حكاما لتمثيلها في الأراضي الخاضعة لسلطتها في المقاطعة التي أطلق عليها اسم افريقيا القديمة (Africa Vetus)، يحملون لقب بريطور ، ومعناه الحاكم الشرعي ، يعينون لمدة سنة قابلة للتجديد ،وعند انشاء الولاية الرومانية الثانية التي أطلق عليها اسم افريقيا الجديدة (Africa Nova)، عين يوليوس قيصر على رأسها حاكما حمل لقب بريطور وخول له مهام القنصل أي كان له الحق في قيادة الجيش ومرافقته باثني عشر ضابطا بدلامن سنة ضباط كماجرت العادة لدى القناصل الرومان... لمزيد من المعلومات انظر:

-Fevrier (P-A.), Approches du Maghreb Romain(pouvoirs, différences et confins),(2vols.), T1, Aix en Provence, 1989, ,p.140

سنة إلى غاية بداية فترة حكم سيلا (Sylla) [1] سنة 81 ق.م أين أصبح حاكم المقاطعة الإفريقية يلقب بـــ : بروقنصل (Proconsul) دون شك نظرا للأهميـــة السياسية التي أصبحت تتمتع بها المقاطعـــة[2]،

وكان حاكم المقاطعة يقيم في أوتيكا (العاصمة الإدارية للمقاطعة) مع مساعديه، وخولت لهم مهام تسيير خزينة المقاطعة والمحافظة على الأمن الداخلي وصد هجمات النوميديين. وغالبا ما كان الحاكم يستعين بالملوك النوميديين المتحالفين مع الرومان[3].

لقد صادر الرومان معظم الممتلكات القرطاجية والنوميدية المتواجدة بقرطاجة وحولوها إلى أملاك عمومية. وما تبقى من ممتلكات بسيطة لمن بقي من الرعايا في قرطاجة أجبر أصحابها على دفع ضريبة ثابتة عرفت بضريبة المهزومين، أوكلت مهمة جمعها إلى المرتزقة[4].

ولم تهتم السلطة الرومانية بالأهالي الذين بقوا في قرطاجة حيث استمروا على التقاليد البونيقية من لغة وديانة وواصلوا استعمال الكتابة البونية، كما أقاموا تماثيل للإلهة تانيت (Tanit) والإله بعل حمون (Baal Hammon)، كما استمرت عادة تقديم الأضاحي البشرية (الأطفال الصغار) في المذبح المقدس[5].

---

(1)- لوكيوس كورنيليوس سيلا (Lucuis Cornelius sylla) :عاش فيما بين سنتي 138-78 ق.م، ينتمي إلى أسرة عميقة في روما تراجعت مكانتها بعد فقدانها لثروتها.

عين سيلا كيستورا (Questeur) ثم نائبا عسكريا، وارتقى بعد ذلك في مختلف الرتب والوظائف العسكرية، خاصة بعد انتقاله إلى إفريقيا رفقة ماريوس من أجل التصدي للمقاومة التي قادها الملك النوميدي يوغرطه، المتحالف مع بوكوس ملك موريطانيا، واستطاع سيلا بدهائه أن يقنع بـوكوس بالتخلي عن يـــوغرطـــه ، بل الغدر به وتسليمه أسيرا للرومـــان= = نال سيلا شرف ذلك الانتصار، مما أوغر صدر ماريوس عليه، فبدأ التنافس بينهما ، رغم استمرار سيلا في العمل تحت قيادة ماريوس.

- عند مقتل القنصلان سنة 82 ق.م عين سيلا من قبل الجمعية المئوية ديكتاتورا لمدة غير محددة وبدأ إصلاحاته وتشريعاته المنظمة للحياة السياسية الرومانية المرتكزة على إعادة الصلاحيات لمجلس الشيوخ وتوطيد سلطته، وبحلول عام 79 ق.م إعتزل الحكم ، وتنحى عن كل المسؤوليات السياسية والعسكرية، واعتكف في ضيعة بضواحي روما منشغلا بكتابة مذكراته أو الصيد واللهو... لمزيد من المعلومات أنظر:

-Plutarque, op.cit., Vie de Sylla, I; III; VII; Jean-Claud Fredouille, op.cit., pp. 152-153.

(2) -Babelon (E.), op.cit., p .85.

(3)- شارل أندري جوليان، المرجع السابق، ص . 149.

(4) - Pellegrin (A.) , op.cit., p . 63.

(5) - Eydoux (H.P.), A la recherche des mondes perdus, les grandes découvertes archéologiques, librairie Larousse, Paris, 1967 , pp .95-96.

ويبدو أن السلطة الرومانية المتمثلة في الحاكم المقيم مع الجالية الرومانية من تجار كبار وجباة للضرائب في أوتيكا تجاهلت الأهالي في قرطاجة (المقاطعة الإفريقية)، نظرا لاهتمامها بالدرجة الأولى بمستخلصي الضرائب والتجار الكبار ورجال الأعمال[1].

وبقيت المدينة (قرطاجة) في نظر الرومان مدينة ملعونة، وذلك ما يشير إليه صب الملح على الموقع عند إحراق المدينة حتى لا تثمر مرة أخرى، مما يؤكد حقد الرومان على كل ما هو بوني (Punique)، وبقيت مدينة قرطاجة أو بالأحرى موقعها ملعونا إلى غاية بروز الإخوة جراكوس (Gracchus) بإصلاحاتهما الزراعية والاجتماعية على مسرح الحياة السياسية الرومانية ، حيث تمكن الأخ الأكبر تيبريوس (S.G Tiberius)[2] من إقناع مجلس الشيوخ على المصادقة على برنامجه الإصلاحي. ومن ثمة،عرفت قرطاجة أولى محاولات التعمير، ولكن تيبريوس سيدفع حياته ثمن تلك الإصلاحات نظرا لوجود فئة أرستقراطية معارضة لتلك الإصلاحات[3].

وتبعا لذلك القانون جاء الأخ الأصغر كايوس (Caius) إلى إفريقيا سنة 122 ق.م وأحظر معه ستة آلاف من المعوزين الإيطاليين، ونظرا لكون موقع قرطاجة ظل ملعونا في نظر الرومان اختار مكانا خارج المنطقة التي استنزلت عليها اللعنة، وأقام عليها تلك المستعمرة بجوار قرطاجة المدمرة. وقسم الأراضي إلى مربعات بمساحة 50 هكتارا في المربع الواحد لتوزيعها على أولئك المعمرين ، المهاجرين والمهجرين من إيطاليا، ومنح

---

(1)- شارل أندري جوليان، المرجع السابق، ص . 150.

(2)- تيبيريوس سمبرونيوس جراكوس (162-133 ق.م) (Tiberius Sempronius Gracchus) شاب روماني ينتمي إلى عائلة نبيلة ،وهو حفيد سيبيون الإفريقي ،عرف مع أخيه كايوس.س.ج (Cauis Sempronius Gracchus) بإصلاحاتهما الزراعية في النصف الثاني من القرن الثاني ق.م، ولكنهما اصطدما بالأرستقراطية التي كانت تسيطر على مجلس الشيوخ في روما، فضل تيبيريوس يرتقي في سلم الوظائف ، حتى تقلد منصب نقيب العامة (محامي) في 10 ديسمبر 134 ق.م ،وفي ظرف قصير جدا أي بداية سنة 133 ق.م أعلن عن برنامجه الإصلاحي الذي صادق عليه مجلس الشيوخ في نفس السنة، ويحدد ذات البرنامج أقصى ما يمكن أن تحوزه العائلة الواحدة بـ 250 هكتار، كما ينص على توزيع الأراضي المصادرة على الفقراء ، بحصة سبعة هكتارات ونصف لكل عائلة فقيرة وتكلف لجان ثلاثية (Triumvir agris iudicandis adsignadis) بتوزيع تلك الأراضي ... لمزيد من المعلومات حول الموضوع أنظر :

-Fredouille (J.C.), Dictionnaire de la civilisation romaine, édit2, Larousse, Paris, France, 1999, p. 71.

وأيضا : عبد اللطيف أحمد علي، المرجع السابق ، ص 2 وما بعدها .

(3).-Pellegrin (A.), op.cit., pp 63- 64.

لتلك المستوطنة اسم مستعمرة قرطاجة المحمية من قبل جونون (Colonia Junonia Carthago)[1] أي وضعت تحت حماية الإلهة جونون التي ورثت الإلهة تانيت (Tanit).

وفي خلال 60 يوما قام كايوس بترتيب الأمور وتهيئة الظروف للمستوطنين الجدد في قرطاجة الجديدة ثم عاد إلى روما[2] ليجد خصومه في انتظاره بالتهم والافتراءات الكاذبة لإثارة البلبلة في صفوف أتباعه، فاتهموه بإثارة غضب الآلهة عندما سمح للمعمرين في قرطاجة بالإقامة في مدينة ملعونة، فنجحوا في الحيلولة دون انتخابه مرة ثانية كما نجح خصومه بإقامة محكمة تطالب بإلغاء أعماله في إفريقيا، فاضطر إلى الالتحاق بالثورة، ولكنه لم يستطع تغيير الأوضاع فمات منتحرا[3].

هكذا، إذن زالت قرطاجة من الوجود، ولكن ما ينبغي التأكيد عليه هو أنه رغم زوالها إلا أن حضارتها وثقافتها بقيت مستمرة في إفريقيا لعدة قرون. ويبدو أن الرومان لم تكن لديهم أدنى رغبة للاستفادة من الحضارة القرطاجية. فروما التي ورثت كل ما أنجزه القرطاجيون خلال قرون عدة، فقد أضاعت أسرار الصناعة القرطاجية وتقنيات زراعتها، ولم تكن لها سياسة اقتصادية محددة المعالم وكل ما كان يحرك الرومان هو الرغبة في السيطرة على الشعوب المهزومة واستغلالها[4].

وانطلاقا من ذلك، لم يقم الرومان بممارسة الزراعة في قرطاجة المستعمرة ولا في نوميديا فيما بعد ولكنهم استغلوا الأرض الإفريقية بطريقتهم الخاصة، كل ما ينتج في إفريقيا يحول إلى روما، فإفريقيا البونيقية ستصبح مستودعا لروما (إفريقيا تنتج وروما تستهلك)[5].

وذلك كان نتيجة آنية للسيطرة الرومانية على شمال افريقيا التي تكبد سكانها المحليين عبر المراحل المتعاقبة باستعمار واستغلال لثرواتهم الاقتصادية والبشرية.

---

(1) -Ibid.

(2)--Babelon (E.), op.cit., pp . 84 85.

(3)- شارل أندري جوليان، المرجع السابق، ص . 153.

(4) et -Hubac (P.), Carthage, éd. Marcel Daubin, Paris, 1946, p . 215 ; Lapeyre (G.), Pellegrin (A.), op.cit., p . 124.

(5) -Hubac (P.), op.cit., p .114.

إن النهاية التراجيدية لقرطاجة، وانعكاساتها الآنية والبعيدة على إفريقيا تدفعنا إلى التساؤل :

هل كان زوال قرطاجة التي كرست كل جهودها من أجل السلم في إفريقيا ، نعمة أم نقمة على النوميديين الذين حالفوا الرومان ضد القرطاجيين ، والذين أصبحوا فيما بعد عبيدا لدى الرومان؟

هل كان النوميديون محقين في اختيارهم للجانب الروماني ؟ نعني بذلك ماسنيسا الذي لطالما نادى بشعار:إفريقيا للأفارقة. إن كان صادقا في حمله لذلك الشعار؟

فكيف ينقاد النوميديون وراء الرومان الدخلاء على الأرض الإفريقية ؟ أكيد أن سنة 111 ق.م حملت إجابات لهذه التساؤلات.

الفصل الثاني :طبيعة الاحتلال الروماني في شمال إفريقيا ورد الفعل النوميدي.

أولا: مقاومة يوغرطه وانعكاساتها.

1. مقاومة يوغرطه :

أ. مولد يوغرطه ونشأته.

ب. خلفيات تبني مسيبسا لابن أخيه يوغرطه.

ج. الصراع حول العرش النوميدي.

د. يوغرطه يعيد توحيد نوميديا.

هـ. يوغرطه يهدد المصالح الرومانية.

و. يوغرطه يواجه الرومان.

ز. بوكوس و الرومان يتآمرون على يوغر طه.

2. انعكاسات حرب يوغرطه على المنطقة.

3. التطورات السياسية في نوميديا بعد هزيمة يوغرطه.

ثانيا: مقاومة يوبا الأول ونتائجها.

1. مقاومة يوبا الأول.

أ. نشأة يوبا الأول.

ب. مقاومته.

2. نتائج مقاومة يوبا الأول على نوميديا.

طبيعة الاحتلال الروماني في شمال إفريقيا ورد الفعل النوميدي.

أولا: مقاومة يوغرطه وانعكاساتها.

1. مقاومة يوغرطه :

حتى نتطرق إلى مضامين فترة حكم يوغرطه لنوميديا علينا أن نعود إلى إشكالية وراثة العرش النوميدي والحكم الثلاثي الذي دأب عليه الأمراء النوميد عند وفاة الأغاليد؟ غير بعيد عن أعين الرومان، فالعاهل النوميدي ماسنيسا (Massinissa) مثلا قد يكون بحكمته وبحكم ولائه للرومان قد أدرك تربصهم بالوضع الداخلي في المملكة، لذلك عند احتضاره سلم أمر خلافته للقائد الروماني سيبيون الإميلي (Scipion Emilien)[1].

وبذلك يكون العاهل النوميدي قد واضب على الوفاء للرومان وآثر أن يشركهم في تتويج الملك الذي سيخلفه مثلما توجوه هو ملكا بصفة رسمية في معسكرهم بعد إنهاء مقاومة سيفاكس (خصمه) سنة 203 ق.م، ولقد كانت هذه الطريقة في رأيه تضمن استقرار الأوضاع بمملكته من بعده وحسن علاقاتها مع الرومان[2].

وتبعا لذلك فقد أسند سيبيون الإميلي شؤون الإدارة لمسيبسا وهو المعروف بالثقافة الواسعة ورجاحة العقل، بينما أوكلت قيادة الجيش لغولوسا والذي كان أصلا على رأس الجيش النوميدي المتحالف مع الرومان، في حين اضطلع مستنبعل بالقضاء.غير أنه ما لبثت الأمور أن آلت كل المسؤوليات لمسيبسا على إثر وفاة أخويه بعد مدة قصيرة من توليهما الحكم[3].

---

[1]- يلام الملك ماسنيسا على أن حقده القديم لقرطاجة كان قد جعله يعتمد على الرومان وينقاد إليهم بصورة عمياء. بل ينصبهم أوصياء على عرشه بعد وفاته، ولم يهيئ أبناءه لتولي مسؤولية العرش النوميدي و الحفاظ على مملكته من بعده، ذلك ما سعى الرومان إلى تحقيقه بعد وفاة العاهل النوميدي. حول الموضوع أنظر:

- Gsell (S.) ,H.A.A.N.,T III ,P.354; Gsell (S.),H.A.A.N.,T.VI ,P.123.

[2]- شنيتي محمد البشير، سياسة الرومنة... ،ص ص.30-31.

[3] - أورد المؤرخ الروماني ساليسيتوس أن وفاة الأميرين مستنعبل و غولوسا بعد مدة قصيرة من توليهما الحكم رفقة أخيهما مسيبسا، كانت بسبب مرض أصابهما. رغم ذلك تبقى الأسباب الحقيقية لوفاتهما المفاجئة تثير التساؤلات، لاسيما وأن بعض المؤرخين المحدثين أشاروا إلى خلاف يكون قد نشب بينهما وبين آخيهما حول مواصلة السياسة التي رسمها وسلكها والدهما مع روما، وذلك ما يجعلنا لا نستبعد تورط الرومان في القضية، ولا نستثني فيها مسيبسا الذي نال على ما يبدو رضا الرومان، الذين إما أن يكون لهم ضلع في وفاة الأميرين أو تغاضوا عن كشف الحقيقة خدمة لمصالح حليفهم مسيبسا وسكوتهم عن انفراده بالحكم، وهم الذين حرصوا على تقسيم المملكة النوميدية، وذلك ما يعزز هذا الافتراض. حول الموضوع أنظر:

- Salluste, La guerre de Jugurtha, V; Gsell (S.), H.A.A.N.,T.VI ,P.123 ; Gaid (M.) ,op.cit.,p.93 ;

وقد أشرنا إلى الاستقرار السياسي الذي عرفته فترة حكم مسيبسا والتي دامت ثلاثين سنة (148-118 ق.م). كما أن مملكته كانت مترامية الأطراف، امتدت من حدود إفريقيا الرومانية شرقا إلى نهر الملوية غربا[1]، إلا أن ذلك الاستقرار لم يدم بعد وفاة العاهل مسيبسا سنة 118 ق.م، حيث استيقظت من جديد إشكالية وراثة العرش النوميدي وكان بطلها هذه المرة يوغرطه ابن مستنبعل ابن مسنيسا الذي لا يكن الولاء للرومان مثل بقية أفراد الأسرة الحاكمة. فكان بذلك الوقوف في وجه الرومان شبيها بالعاهل النوميدي الأسبق سيفاكس.

وقبل التطرق إلى مقاومة الملك النوميدي يوغرطه نود أن نشير إلى نشأة هذا الأمير والعوامل التي قد تكون أسهمت في صقل شخصيته الإقليمية.

أ. مولد يوغرطة ونشأته :

ولد يوغرطه في حوالي سنة 160 ق.م [2] . ولم يصلنا إلا الشيء القليل من المعلومات حول طفولة يوغرطه لعدم ورود ذلك في المصادر القديمة، عدا ما دونه المؤرخ الروماني سالوستيوس في مؤلفه حرب يوغرطه (La Guerre de Jugurtha)[3] . حيث يذكر ذات

- فنطر محمد حسين ، يوغرطة ...،ص. 102 ؛ غانم محمد الصغير ، المملكة النوميدية...،ص.94 ؛ ج. كامبس المرجع السابق، ص.24 .

(1)- غانم محمد الصغير، نقيشة مسيبسا ...، ص ص. 02-14 .

(2)- حارش محمد الهادي، ذاكرة الجزائر، صفحات من تاريخ المقاومة الشعبية عبر العصور (يوغرطه 160-104 ق.م)، إصدار المتحف المركزي للجيش، الجزائر، 1984، ص . 38.

(3)- لم يكن كايوس ساليستيوس (Caius Sallustius) يهدف من وراء كتابته لحرب يوغرطه، التأريخ لتلك الحرب ولا للأحداث التي عرفتها منطقة (شمال إفريقيا)، وإنما الرغبة في كشف المؤامرات التي كانت تحاك في مجلس الشيوخ وشيوع الرشوة والمحسوبية لدى الطبقة الارستوقراطية التي كانت تسيطر على قراراته، وكان ذات المؤرخ قد تدرج في العديد من المناصب السياسية منها تقلده منصب المحاماة (Tribunat) سنة 52 ق.م ثم عضوية مجلس الشيوخ الروماني فيما بين 51-46 ق.م (عضوية غير منتظمة)، وكان قد رافق يوليوس قيصر(Jules César) في الحملة الإفريقية، فأهله قربه منه لأن يكون له دور كبير في الحزب الذي يقوده قيصر، لذلك فإنه عند انتصار هذا الأخير كان قد أسند له مهام الحكم في ولاية إفريقية الجديدة غداة إنشائها سنة 46 ق.م. وقد اعتزل السياسة ساليستيوس عند عودته إلى روما متحججا بتغلب طبقة الأرستقراطيين الفاسدين وسيطرتهم على دواليب الحكم وقرارات مجلس الشيوخ، خاصة بعد اغتيال قيصر، كذلك تطرق ساليستيوس مجال الكتابة لعله يحصل على المجد الذي لم يستطع الوصول إليه عن طريق السياسة. فكتب مؤامرة كاتيلينا (La conjuration de Catilina) وبعدها حرب يوغرطه (La La guerre de Jugurtha) لكشف الأرستقراطيين

المؤرخ أن يوغرطه : **"في شبابه كان قويا، جميلا مثل النوميديين مولعا بركوب الخيل والرماية والتسابق مع أترابه، وكثيرا ما كان يقضي جل أوقاته في الصيد خاصة صيد الأسود الذين كان من أكفأ من يتصدى لهم"**[1].

كما يصف نفس المؤرخ يوغوطة: بالتواضع لبني قومه، وحبه الشديد للعمل مما أوجد لدى النوميديين حبا كبيرا لهذا الأمير الشاب، وأعطى له شعبية واسعة لدى أبناء شعبه[2].

ونظرا لما أظهره يوغرطه من القوة والذكاء والتعقل فإن ذلك جعل عمه مسيبسا يقدم على الإعجاب به وتقريبه منه ليكون حاميا عرش ولديه الصغيرين. إلا أن إعجابه به سرعان ما تحول إلى النقيض خوفا منه على ولديه. ولقد حاول مسيبسا أن يجد مخرجا لمخاوفه تلك وذلك من خلال عدة طرق أهمها تبنيه ليوغرطه حتى يصبح ابنا له على غرار ابنيه أذربعل وهيمبسال[3].

ب. خلفيات تبني مسيبسا لابن أخيه يوغرطه :

لقد أشرنا أعلاه إلى إعجاب مسيبسا بابن أخيه يوغرطه وذلك نظرا لخصاله الحميدة، عير أن تلك الخصال والإعجاب الكبير اللذين كان يحظى بهما الأمير الشاب لدى قومه ولدت الحقد والكراهية لدى الملك النوميدي لابن أخيه يوغرطه خوفا منه على مستقبل ولديه.

ولا شك أن مسيبسا فكر مليا في إيجاد مخرج لإنقاذ ولديه، واحتفاظهما بالملك من بعده، والأكيد أنه حاول إيجاد الحل في التخلص من يوغرطه! لكن كيف! هل عن طريق الاغتيال؟ من المؤكد أن ذلك سيؤلب النوميديين وذلك نظرا للشعبية الواسعة التي كان يتمتع بها يوغرطه لدى قومه. إذن فلم يبق للملك سوى التخلص من ابن أخيه بطريقة ذكية تبعد كل

وإظهارهم بمظهر الخيانة للوطن من خلال تواطؤهم وارتشائهم على حساب مصالح الشعب الروماني بهدف تأليب الرأي العام الروماني ضدهم... حول الموضوع أنظر :

-Gsell (S.), H.A.A.N.,T .V, p . 123.

(1) -Ibid.

(2) -Ibid.

(3)- قداش محفوظ، الجزائر في العصور القديمة، ترجمة عباد صالح، المؤسسة الوطنية للكتاب، الجزائر، 1993، ص. 91.

الشكوك من حوله وترضي حلفاؤه الرومان، وهي إرساله على رأس الجيش النوميدي لمساندة الرومان في حربهم ضد الإيبيريين[1].

بناء على ما أشرت إليه آنفا وأثناء الحرب التي كان الرومان يخوضونها ضد الإيبيريين في مدينة نومانس باسبانيا سنة 134ق.م، لقد نفذ مسيبسا خطته المشار إليها آنفا وذلك بإرسال يوغرطه على رأس جيش من النوميديين لمآزرة سيبيون الإميلي[2] .

وكان الملك النوميدي مسيبسا يهدف من وراء ما أقدم عليه تعريض حياة يوغرطه لخطر الحرب المهلك قصد التخلص منه هذا من جهة ومن جهة أخرى استرضاء لحلفائه الرومان ومساندتهم، وبذلك يكون قد حقق هدفين ضروريين بالنسبة له[3].

غير أنه على عكس ما كان يأمل الملك مسيبسا، فقد عاد الأمير الشاب يوغرطه من أسبانيا مبليا بلاءً حسنا في الحرب التي خاضها هناك إلى جانب الرومان، فنال إعجابهم وودهم لا سيما أبناء الطبقة الأرستقراطية الذين احتك بهم في تلك الحرب، فلم يتحقق أي من هدفي مسيبسا. وهكذا تجري الرياح بما لا تشتهيه السفن على حد تعبير الأستاذ غانم محمد الصغير[4].

لقد عاد يوغرطه من إسبانيا منتصرا ونال إعجاب الكثير من الجنود الرومان زيادة على كسبه لود وثقة سيبيون الإميلي (Scipion Emilien) بعد أن كلفه بمهمات صعبة وخطيرة أنجزها بدقة واقتدار، فحمَّله رسالة عرفان وتقدير يبدو أنها تنبيه لمسيبسا!؟.

أورد ساليسيوس تلك الرسالة التي جاء فيها: **"لقد أظهر ولدك يوغرطه في حرب نومانس (Numance) فضائل حسنة وشجاعة فائقة، بدون أدنى شك ستسعدك، كما أسعدتني ونالت إعجابي، سأبذل ما في وسعي من أجل أن ينال هذا الفذ تقدير ورضا مجلس**

(1) - Sahli (M.Ch.), Le message de Yougourtha, éd. En-Nahda, Alger, 1947, p .43.

(2) - Saumagne (Ch.), La Numidie et Rome, Massinissa et Jugurtha, éd. presses universitaires de France, Paris, 1966, P.03.

(3) - Berthier (A.) et autres, "Le bellum Jugurthinum de Salluste et le problème de Cirta, R.N.M.S.A.C., T.LXVII, 1950-1951, PP .03-144.

(4)- غانم محمد الصغير، مقالات وآراء في تاريخ الجزائر القديم، دار الهدى، عين مليلة، الجزائر، 2005، ص ص. 165-166.

الشيوخ والشعب الروماني، فباسم صداقتنا المتينة أهنئك بابنك الشجاع فهو جدير بك وبجده ماسنيسا"[1].

ما يفهم من تأويل المؤرخين المحدثين لهذه الرسالة هو تلميح من سيبيون للملك مسيبسا إلى ضرورة تسليم الملك ليوغرطه من بعده. أو على الأقل إشراكه فيه من جهة أخرى يريد سيبيون أن يبين للملك النوميدي أن للرومان يد في تتويج ملك نوميديا وأن يوغرطه نال ثقة الرومان[2].

يبدو أن الملك مسيبسا استوعب مضمون رسالة التزكية التي زود بها سيبيون يوغرطه لدى عودته من أسبانيا، والمتمثلة في رغبة الرومان استخلاف يوغرطه لعمه، لذلك لجأ إلى أسلوب الاستعطاف والحنان، لعل ذلك يؤثر في قلب يوغرطه فيكون رؤوفا بابني عمه، كما ارتأى أن ينفذ رغبة الرومان ويشركه في الملك مع ولديه أذربعل وهيمبصال فتبناه سنة 121 ق.م[3].

---

(1) - Salluste, La guerre de Jugurtha, IX

(2)- إضافة إلى تأكيد سيبيون للملك مسيبسا على أحقية الرومان في تعيين ملك نوميديا من خلال تزكية الأمير يوغرطة، أشار بعض المؤرخين إلى المخاوف التي كانت تنتاب الرومان من جراء قوة مسيبسا المتزايدة، مرتكزة على الناحيتين الاقتصادية و الثقافية. لم يمنعه من الاهتمام بالمجالين العسكري و العمراني، فقد حصن عاصمة مملكته" سيرتا"بالأسوار المنيعة، وزينها بالقصور الفاخرة،و أمنها حسب ما أورد ه سترابون بجيش قوامه عشرة آلاف فارس، وعشرين ألف جندي من المشاة.وذلك ما جعل الرومان يدركون خطورة تلك القوة النامية على مصالحهم الإستراتجية في إفريقيا، فاتخذوا على ما يبدو من سياسة فرق تسد آلية لكبح تلك القوة من خلال الإعداد لتقسيم المملكة بعد مسيبسا، على غرار ما فعلوه بعد وفاة ماسنيسا ... حول الموضوع أنظر:

- Strabon, XVII, 3,13 ; Berthier (A.), Le bellum Jugurthinum…,p.25 ;

- الصفدي هشام ، تاريخ الرومان في العصور الملكية، الجمهورية ، الإمبراطورية ،ج.1 ،ط1 ،دار الفكر الحديث، لبنان،1967،ص.227.

(3)- يأتي بني الملك ميسبسا لابن اخيه يوغرطه بعد الرسالة التي تلقاها الملك من القائد الروماني سيبيون الإميلي والتضمنة التلميح إلى ضرورة منح الشرعية للامير النوميدي الذي كسب ثقة القادة الرومان بعد أن أبهرهم بقدراته الحربية وذكائه الحاد في شبه جزيرة إيبيريا، فلم يتردد الملك ميسيبسا في تلبية رغبة الرومان حفاظا على العرض النوميدي من جهة، ومن جهة أخرى حماية لولديه ... لمزيد من المعلومات أنظر:

- Kadra –Hadjadji (H.), Jugurtha un Berbère contre Rome , Casbah éditions, Alger, 2007, pp. 67-68.

لقد توفي مسيبسا حسب سالوستيوس في سن متقدمة بعد أن أعيته السنين والمرض[1].
وعند شعوره بقرب وفاته جمع ابنيه والمقربين منه، وخاطب يوغرطه عبر وصية أورد المؤرخ سالوستيوس ما جاء فيها: **"كنت طفلا صغيرا عندما فقدت أباك الذي تركك بلا أمل ولا مال، فاحتضنتك وقربتك مني آملا أن تحبني مثلما يحبني أبنائي ولا أضنني أخطأت... لقد عدت من نومانس غامرا أياي ومملكتي بالأمجاد، إنجازك هناك دعم صداقتنا بالرومان، هناك في أسبانيا رأينا اسمنا يسطع ثانية... اليوم أشرف على مفارقة الحياة، فباسم هذه اليد التي أشدها - وكان يمسك بيد يوغرطه -. وباسم الوفاء الذي تكنه لملكك، أرجوك أن تعطف على هذين الصغيرين، أبناء جلدتك ،الذين جعلتهما رعايتي لك أخواك... إن الملك لا يصان بالجند والمال وإنما بالمحبة والإخلاص، وهل هناك من هو أحق بالصداقة من أخ لأخيه ؟... إن المملكة التي أتركها بين أيديكم ستكون قوية إذا حسنت سياستكم، وضعيفة إن ساء تصرفكم، فبالوحدة والوفاق تقوى أضعف الدول وبالشقاق تنهار أقوى الدول... أما أنتما يا أذربعل وهيمبصال فيجب عليكما احترام وتبجيل رجل مثل يوغرطه وعليكما أن تتخذاه قدوة لما تفعلون ، ذلك حتى لا يقال ابني بالتبني أفضل من ولداي الشرعيين"**[2].

ج. الصراع حول العرش النوميدي :

مثلما كان يتوقع ويتخوف الملك مسيبسا - إن ثبت ما أورده سالوستيوس في روايته- فقد نشب الصراع على وراثة العرش النوميدي بين الأمراء الثلاث أذربعل وهيمبصال من جهة، ثم يوغرطه من جهة أخرى بعد وفاة الملك مسيبسا سنة 118 ق.م[3]، ولم ينتظر الورثة وقتا طويلا لإبداء التعارض في الرؤى والأفكار، بل بمجرد الانتهاء من تشييع الملك إلى مثواه الأخير، والانتهاء من مراسيم الدفن.

(1) - Salluste, La guerre de Jugurtha, XI.

(2). - Salluste, La guerre de Jugurtha, X

(3) 139.- Gsell (S.) , H.A.A.N., T. VII, p

لقد اجتمع الأمراء الثلاث للنظر في شؤون المملكة، فصادفهم أول مشكل تمثل في امتناع هيمبصال (الابن الأصغر لمسيبسا) الجلوس إلى جانب يوغرطه تماشيا مع العادة والتقاليد النوميدية التي تقضي بتوسط كبير القوم في أي مجمع يعقد، ذلك لأن هيمبصال كان يحقد على يوغرطه، ويرى فيه غير مؤهل للانتماء إلى الأسرة المالكة، فارتأى أن يجلس إلى جانب أخيه، وبذلك يتوسط أذربعل الجلسة فينال شرف رئاستها[1].

إلا أن أذربعل يكون قد أدرك خطأ أخيه الأصغر في حق يوغرطه الذي كظم غيضه ، فأنَّب أخاه على ذلك السلوك وأمره بالجلوس إلى جانب يوغرطه حتى يتوسط هذا الأخير الجلسة، ففعل مكرها[2].

كانت وجهة نظر يوغرطه أثناء الاجتماع تحوم حول طرح مشاكل المملكة وفقا للمصالح الأساسية للدولة، فرأى أن الحل ليس في تقسيمها وإنما يكمن في تحريرها من أساليب التسيير السيئة، والتي أضرت بمصالحها، فاقترح إلغاء الأوامر التي أصدرها الملك الراحل (مسيبسا) خلال الخمس سنوات الأخيرة من حكمه نظرا لوهن الشيخوخة الذي كان فيه (Sénilité) إضافة إلى تعفن محيطه المشكل من الفنانين والمستشارين والتجار الإيطاليين الذين كانوا يوجهون قرارات الملك وفق مصالحهم[3].

يلاحظ على طريقة طرح يوغرطه لمشاكل المملكة إدراكه للمسؤولية التي يضطلع بها كرجل دولة، إضافة إلى عدم رضاه على السياسة المنتهجة أثناء فترة حكم عمه مسيبسا الذي سلك نهج أبيه الملك ماسنيسا، لاسيما في الولاء للرومان وإطلاقه يد التجار الإيطاليين وتدخل المستشارين الأجانب وتأثيرهم في توجيه سياسة الدولة النوميدية وفقا لمصالحهم، وهذا يؤكد ما أشرنا إليه آنفا في كون يوغرطه رغم أنه ورث صفات قوة البنية الجسدية

---

(1)- التصرف غير المسؤول الذي قام به هيمبصال بالتأكيد سينزل وقعة كطعنة سهم على يوغرطة، الذي سيترك الرد عليه في الوقت والمكان المناسبين أنظر: - Lacroix (M.L.), op .cit.,p.27.

(2)- غانم محمد الصغير، مقالات وآراء...، ص .168.

(3) 45..- Sahli (M.Ch.), op.cit., p

والجمال والفروسية عن جده الملك ماسنيسا ، إلا أنه في معاداته للرومان يكون أقرب إلى الملك سيفاكس من جده.

بإثارة يوغرطه لمسألة إلغاء أوامر الملك مسيبسا المشار إليها آنفا، يكون قد فتح المجال لتلقى طعنة أخرى من هيمبصال ،حيث وافقه على إلغاء تلك الأوامر و المراسيم على أن يشمل ذلك المرسوم الذي تبناه فيه كولد شرعي له. كون ذلك الإجراء قد صدر خلال الثلاث سنوات الأخيرة من حكم الملك، فزاد ذلك في إصرار يوغرطه على الرد بالطريقة المناسبة وضرورة إسكات هيمبصال إلى الأبد[1].

وبعد الاجتماع الأول والأخير ، افترق الأمراء الثلاث على وقع التذمر مما حدث لا سيما تصرفات هيمبصال غير المسؤولة ولم يتفقوا إلا على تقسيم المملكة والأموال التي تركها لهم أبوهم الملك مسيبسا[2].

وذلك ما كان يوغرطه يعارضه، فدبر مكيدة اغتيال هيمبصال في السنة الموالية لوفاة والده أي سنة 117 ق.م[3].

بعد أن استقر كل أمير في إقليمه يبدو أن يوغرطه كان يتحين الفرصة السانحة للانتقام من هيمبصال لما بدر منه في الاجتماع السالف الذكر، فحسب ما أورده سالوستيوس، فقد صادف وجود هيمبصال في قلعة تيرميدة (Thirmida)[4] التي تمكن يوغرطه من إغراء أحد حراسها لتسهيل مهمة القضاء على هيمبصال، حيث تمكن أحد الموالين ليوغرطه من دخول القلعة بعد أن تمكن من صناعة مفاتيح مماثلة لمفاتيح تلك القلعة، وفي جنح الظلام اقتحم الجنود الموالون ليوغرطه القلعة وعبثوا بالحراس الذين كان بعضهم نائما، والبعض الآخر فر للبحث عن مخبأ له، وفي النهاية تمكن الجنود من العثور على هيمبصال لاجئا في أحد أكواخ العبيد، أين كان يختبئ لتضليل جنود

---

(1)- غانم محمد الصغير، مقالات وآراء...، ص. 168.

(2)- Salluste, La guerre de Jugurtha, XII ; Gsell (S.), H.A.A.N., T.VII,p.139 ;Sahli (M.Ch.),op.cit.,p. 45.

(3)- Florus (L.A.) , Abrégé de l'histoire romaine, trad. P.Hainslin et H.Watelet, éd, Garnier. Paris, 1932, LIV, III, I.

(4)- قلعة تيرميدة قريبة من مدينة دوقة النوميدية حسب ما أشار إليه فنطر، أنظر : فنطر محمد حسين، المرجع السابق، ص. 128.

يوغرطه المنفذين للمكيدة الذين قطعوا رأسه بعد العثور عليه مثلما أمرهم قائدهم وأخذوها إلى يوغرطه[1].

لم تثر تلك الحادثة التي أودت بحياة هيمبصال ثائرة أخيه أذربعل، فحسب بل أغضبت معظم النوميديين، وأججت مشاعرهم الساخطة على ذلك الموقف فانقسموا إلى قسمين : قسم شكل الأغلبية يؤازر أذربعل، بينما جزء من النوميديين ومعظم الفرسان الذين يتقنون فنون الحرب انظموا إلى جانب يوغرطه[2].

كادت أن تندلع الحرب بين الطرفين لكن أذربعل لم يستطع مواجهة يوغرطه الذي استطاع أن يخضع عددا من المدن النوميدية إما بالقوة أو بالتراضي، فالتبعية. حتى أوشك أن يبسط نفوذه على كامل تراب المملكة النوميدية[3]. عندئذ أرسل أذربعل وفدا إلى روما يشكو من أعمال يوغرطه بنوميديا مهيئا جيشه لحرب تكون حتمية لا سيما وأنه يعرف جيدا طموح وأفكار يوغرطه التحررية[4] وفي سنة 116 ق.م حدثت أولى المواجهات بين جيش يوغرطه وجيش أذربعل، انهزم فيها جيش هذا الأخير الذي لجأ إلى الولاية الإفريقية الرومانية، للاستنجاد بواليها ومنها انتقل إلى روما لشرح موقفه أمام مجلس الشيوخ مثنيا ومادحا للرومان كعادة أسلافه[5] . وبدوره أرسل يوغرطه هو الآخر وفدا إلى مجلس الشيوخ الروماني لتوضيح موقفه من أحداث إفريقيا بعد أن أصبح سيد نوميديا[6].

عند تدخله في مجلس الشيوخ حاول أذربعل تأليب الرومان ضد يوغرطه وإبراز خطورة نواياه تجاه المصالح الرومانية مستعطفا أعضاء مجلس الشيوخ الروماني ومؤكدا لهم ولاءه لروما وتبعيته المطلقة لها.

---

(1) - Salluste, La guerre de Jugurtha, XII.

(2) 139..- Salluste, La guerre de Jugurtha, XIII ; Gsell (S.), H.A.A.N., T.VII, p

(3) - Salluste, La guerre de Jugurtha, XIII.

(4) - Lacroix (M..L.), op.cit.,p.28.

(5) - Carcopino (J.), La république romaine (133-44 Av. J.C), presses universitaires de France, Paris, 1935-1950, p. 284.

(6) .- Florus (L.A.), III, I ; Gsell (S.), H.A.A.N., T.VII, p 174.

لقد نقل لنا سالوستيوس خطاب الاستعطاف ذاك الذي ورد فيه ما يلي : **"لقد أوصاني أبي وهو على فراش الموت أن أرى نفسي بكل بساطة كممثل لكم في المملكة النوميدية التي لكم فيها كل الحقوق والسلطات، وأن أبذل كل جهودي لأجل أن أكون في السلم كما في الحرب الأكثر وفاءً وإخلاصا للشعب الروماني، أعتبركم آبائي وحلفائي وأرجو أن أجد في صداقتكم القوة العسكرية والمادية والدعم الكافي لحماية عرشي المهدد من قبل ذلك الحقير والشرير يوغرطه، الذي استخف بسلطتكم واحتقرها في مملكة حفيد ماسنيسا الحليف والصديق الدائم للشعب الروماني...** [1]".

لقد أشار بعض المؤرخين المحدثين إلى كون هذا الخطاب الاستعطافي من وضع المؤرخ سالوستيوس على لسان أذربعل ولكن ذلك لا ينفي احتواءه على بعض الحقائق التاريخية، مثل وضعية العرش النوميدي وعلاقته بالرومان المتسمة بالولاء والتبعية في فترات عدة.

وفي هذا السياق جاء هذا الخطاب على نهج انهزامي يكرس الهيمنة الرومانية على السلطة النوميدية[2].

حاول على العكس يوغرطه التخلص من تلك الهيمنة بتبنيه للرؤية التحررية قولا وعملا، ذلك ما نستشفه من خلال مرافعة ممثليه أمام مجلس الشيوخ الروماني. فلم يكثروا الكلام، وذكَّروا أن هيمبصال مات نتيجة لأفعاله القاسية ضد النوميديين. وفيما يتعلق بأذربعل فذكَّر موفدو يوغرطه أنه هو من بدأ العدوان، لأسباب واهية وطالب الوفد بعدم الإصغاء لما يقوله عدو يوغرطه، بل الحكم على هذا الأخير بما قدمه في نومانس[3].

بعد الاستماع إلى الطرفين المتخاصمين، وبعد المداولات قرر مجلس الشيوخ الروماني إرسال لجنة تحقيق تتكون من 10 (عشرة) أعضاء برئاسة لوكيوس أوبيميوس (Lucchius Opimius) للإشراف على التقسيم الذي أقره مجلس الشيوخ أي تقسيم المملكة

(1) - Salluste, La guerre de Jugurtha, XIV.

(2).- Sahli (M.Ch.), op.cit., p 46.

(3) - Salluste, La guerre de Jugurtha, XV.

بين يوغرطه وأذربعل، وقد أنجزت اللجنة عملها في أواخر سنة 116 ق.م، حيث منحت الجهة الغربية من المملكة النوميدية ليوغرطه في حين تحصل أذربعل على القسم الشرقي[1].

وبخصوص خلفيات هذا التقسيم يحاول سالوستيوس أن يبين أثر الأموال والهدايا التي قدمها يوغرطه لأعضاء اللجنة، ويدعي أن القسم الذي منح ليوغرطه أكثر ثراء وخصوبة وأوفر سكانا من الجزء الذي حصل عليه أذربعل رغم احتوائه على عدد لا يستهان به من المرافئ[2].

ولكن ما أبرزه المؤرخ الروماني أدحضه الواقع التاريخي لمنطقة الشمال الإفريقي عموما ونوميديا خصوصا حيث أنه على عكس ما ذهب إليه سالوستيوس فالمنطقة الشرقية النوميدية كانت أكثر ازدهارا وتعميرا من المنطقة الغربية[3]. قد يكون ذلك بسبب قربها من قرطاج واستفادتها بالتالي من وسائل الاستغلال ونقل الخبرة القرطاجية الواسعة في الزراعة والتجارة.

هل يمكن أن نتساءل عن الأسباب التي دفعت سالوستيوس إلى إخفاء الحقيقة ؟ وما هي أهداف روما من وراء ذلك التقسيم ؟

هل حاول سالوستيوس إبراز مبادئ الطبقة الأرستقراطية في المجتمع الروماني وفي مقدمتها ظاهرة الرشوة المستشرية في أوساط طبقة النبلاء التي وقفت عائقا أمام طموحاته السياسية في كثير من المناسبات؟[4].

والحقيقة التي لا مناص منها هي أن القادة الرومان أدركوا قوة يوغرطة وطموحاته، خلال تلك الأحداث لذلك رأوا أن يتجنبوا الاحتكاك به من خلال إبعاده عن حدود إفريقيا الرومانية، وفي نفس الوقت محاولة استمالته واستدراجه لضمان نفوذ روما في المنطقة الغربية، وبالتالي تفادي المواجهة المسلحة لصالح أذربعل الذي يتضح من خلال رد فعل الرومان بعد تدخله في مجلس الشيوخ أنهم أصبحوا لا يراهنون عليه كثيرا للتحكم في كامل

(1) - Carcopino (J.), op.cit., p. 285.

(2) - Salluste, La guerre de Jugurtha, XV.

(3) - Saumagne (Ch.), La Numidie et Rome…, P. 147.

(4) - Lacroix (M.L.), op.cit.,p.29.

تراب المملكة النوميدية، ذلك لأنه زيادة على صغر سنه لم تكن لديه قوة الشخصية والكفاءة العالية السياسية والعسكرية التي تميز بها خصمه يوغرطه.

د. يوغرطه يعيد توحيد نوميديا:

لقد أشار سالوستيوس إلى أن يوغرطه لم يكن راضيا على تقسيم المملكة، وإنما تظاهر بذلك كي يتجنب المواجهة المسلحة مع الرومان. إلا أنه بدأ التفكير في غزو مملكة أذربعل من أجل الاستيلاء عليها، وذاك ما قام به فعلا حيث بعد مدة قصيرة قام يوغرطه بغارة خاطفة تمكن خلالها من الظفر بغنائم وافرة، وعدد كبير من الأسرى، ثم كرر العملية مرة أخرى، لاستدراج جيش أذربعل[1]. الذي لم يسقط في فخ يوغرطه، بل فضل الانسحاب إلى سيرتا (العاصمة) سنة 113 ق.م، وكان أذربعل قد أرسل وفدا إلى روما يشتكي من تجاوزات يوغرطه المتكررة[2].

ولم تتمكن لجنة التحقيق التي أرسلها مجلس الشيوخ من إيجاد حل للمشكل، حيث لم يسمح لها يوغرطه بدخول العاصمة سيرتا التي بقيت تحت الحصار لمدة 05 أشهر. مما جعل أذربعل يستنجد بروما، فأرسلت لجنة أخرى ولم تنجح في مهمتها هذه المرة[3].

اضطر أذربعل بعد ذلك إلى التخلي عن سيرتا أمام ضغط الجالية الإيطالية التي كانت تطالبه بالاستسلام[4].

---

(1) - Salluste, La guerre de Jugurtha, XX.

(2) - De la malle (D.) , l'Algérie, éd. Firmin Didot, Paris,1852,p.38.

(3) - Gsell (S.) , H.A.A.N., T.VII, p.149.

(4)- عمل الرومان على مراقبة الأوضاع الداخلية في المملكة النوميدية وتوجيه سياسات ملوكها للحيلولة دون ظهور أية قوة من شأنها أن تهدد مصالحهم في إفريقيا، فتخذوا من الجالية الايطالية أداة لذلك، فتوافد بتشجيع منهم على العاصمة النوميدية سرتا عدد كبير من الايطاليين ، وأصبح لهم نفوذ واسع في بلاط الملوك النوميديين خاصة الشخصيات البارزة منهم كالفلاسفة و الأدباء و الفنانين والتجار. واتخذ منهم الرومان عيونا و جواسيس يستعملونهم عند الحاجة. و لا يستبعد بعض المؤرخين المحدثين أن يكون لتلك الجالية دور في اغتيال هيمبصال لإثارة الفتنة و تؤجيج الصراع بين أفراد الأسرة الحاكمة، لا سيما وأن هؤلاء الايطاليين أدركوا أن يوغرطة مصمم على إلغاء المراسيم التي أصدرها الملك مسيبسا في الخمس سنوات الأخيرة من عمرة، والتي يمنح بعضها لهم امتيازات واسعة في العاصمة سيرتا، ذلك ما حمله على ما يبدو على التنكيل بهم عند استيلائه على سيرتا. حول الموضوع أنظر :

; Lacroix (M.L.) ,op.cit.,pp.29-30;Camps (G.),Massinissa…,p.240; - Salluste, La guerre de Jugurtha, XXI
شارل أندري جوليان، المرجع السابق ، ص ص. 155- 157؛ محمد الصغير غانم ، المملكة النوميدية...، ص. 103؛ شنيتي محمد البشير ،سياسة الرومنة، ... ، ص.57.

كان يوغرطه يطمح إلى الاستيلاء التام على سيرتا قبل المثول أمام البعثة الرومانية التي هددته باستعمال روما القوة ضده، إن لم يمثل أمامها. فاضطر يوغرطه إلى المثول أمام تلك اللجنة. إلا أنه لم يتوصل إلى حل معها بسبب استماتته في الدفاع عن نفسه من خلال تحميل مسؤولية الحرب لأذربعل[1].

بعد الفشل الثاني الذي منيت به اللجنة الثانية التي أرسلها مجلس الشيوخ إلى نوميديا أعاد يوغرطه حصار سيرتا وتمكن من اقتحامها والاستيلاء عليها سنة 112 ق.م، حيث تمكن من إلقاء القبض على ابن عمه أذربعل وأمر بتعذيبه حتى الموت[2].

كما أن يوغرطه لم يتوان في الفتك بالجالية الإيطالية التي كانت تقيم في سيرتا وكل من كان حليفا لأذربعل[3].

وقد عرفت تلك الجالية بنشاطها السياسي إلى جانب نشاطها الاقتصادي والثقافي، زيادة على عملها على إذكاء الفتن، ويتضح ذلك من خلال عملها على تصعيد الخلاف بين ورثة العرش النوميدي، ودفع الرومان إلى التدخل العسكري[4] .

هـ. يوغرطه يهدد المصالح الرومانية :

بعد استيلائه على سيرتا يصبح يوغرطه بلا منازع سيد نوميديا كلها وموحدها من جديد. كما أن مملكته أصبحت متاخمة لإفريقيا الرومانية وباتت روما متأكدة أن يوغرطه الذي فتك بجاليتها المقيمة في سيرتا لن يثنيه أي مانع ولن تنقصه الجرأة على أن يهاجم الرومان في الولاية الإفريقية (الرومانية) والهدف لن يحيد عن السياسة الوطنية التي ما فتئت تبرز لدى هذا الملك الشاب، وهو تحرير كل المنطقة المغاربية وتوحيدها تحت رايته.

بعد أحداث سيرتا الأخيرة، ثارت ثائرة طبقة العامة في روما كما طغى ذلك الغضب الشعبي المطالب بإعلان الحرب لتأديب النوميدي الذي أهان شرف الرومان على جلسات مجلس الشيوخ على حد تعبير سالوستيوس[5].

---

(1) - Lacroix (M.L.), op.cit.,p.31.

(2) - Camps (G.), Jugurtha, ency.ber., T.XXVI, 2004, pp.3975-3978.

(3) - Salluste, La guerre de Jugurtha, XXVII

(4) - شنيتي محمد البشير ، سياسة الرومنة ...، ص57.

(5) - Salluste, La guerre de Jugurtha, XXVII.

يبدو أن يوغرطه بات متأكدا من الرد العنيف الذي ستقدم عليه روما، لذلك نجده يعمل كل ما في وسعه من أجل تفادي ذلك، مستعملا شتى الطرق بما في ذلك التظاهر بموالاة الرومان والانصياع لهم.

وما الأحداث الأخيرة إلا ردود أفعال على سياسة ابن عمه أذربعل ولا تعني الرومان. والواضح أن هدف يوغرطه من كل ذلك هو الحفاظ على وحدة نوميديا.

وحتى يثبت حسن نواياه لروما (يوغرطه) أرسل إلى روما وفدا برئاسة ابنه، وضم ذلك الوفد زيادة على ابن يوغرطه اثنين من النوميديين المقربين من الملك لشرح الموقف النوميدي والتفاوض مع أعضاء مجلس الشيوخ[1].

وقبل وصولهما إلى روما طلب القنصل بستيا (Bestia) من مجلس الشيوخ إن كان بالإمكان استقبال مبعوثي يوغرطه، فجاء الرد بالرفض القاطع. إذا لم يكن المجيء من أجل تسليم المملكة والملك للرومان، مع إلزامية الامتثال التام للقوانين الرومانية[2].

لقد عاد الوفد النوميدي دون أن يتمكن من دخول مدينة روما. كان ذلك بقرار من مجلس الشيوخ ذلك القرار الذي شكل إعلانا للحرب، حيث غادر بستيا إلى ولاية إفريقيا الرومانية أواخر ربيع 111 ق.م. وهو يقود جيشا قوامه 40.000 جندي وبعد مدة قصيرة توغل في الأراضي النوميدية، فاحتل بعض المواقع كما أسر بعض النوميديين، لكنه سرعان ما توقف إثر عقده للصلح مع يوغرطه، اعترف له فيه بالسيادة على كامل نوميديا باستثناء لبدة الكبرى (Léptis Magna) مقابل أن يدفع يوغرطه مبلغا زهيدا من المال وبعض المواشي والخيول والفيلة[3].

وبخصوص هذا الاتفاق يحاول سالوستيوس أن يسوق لنا سقوط بستيا ضحية إغراءات يوغرطه متهما إياه بالخيانة وتعاطي الرشوة على حساب الشرف الروماني[4].

ومهما يكن فإن يوغرطه كسب المعركة الأولى في أقصر وقت وبأقل ثمن[1] ذلك ما حمل مجلس الشيوخ على مسايرة الرأي القائل باستدعاء القنصل بستيا وإقصائه من

(1) - Camps (G.), Jugurtha…, ency.ber., T.XXVI, 2004, pp. 3975-3978.

(2) - Salluste, La guerre de Jugurtha, XXVIII.

(3) - Oussedik (T.), La Berberie, T.I, ENAP/ENAL, Alger, 1989, pp .71- 72.

(4) - Salluste, La guerre de Jugurtha, XXIX .

منصبه[2] كما دعي يوغرطه لحضور جلسة المجلس كشاهد. إلا أنه بذكائه ومعرفته بواقع تركيبة مجلس الشيوخ الروماني، كان قد اتفق مع كايوس بيبيوس (C.Bébius) وبعض مناصريه على أن يلتزم (يوغرطه) الصمت لإفشال الجلسة عند مثوله أمام مجلس الشيوخ وذلك ما تم بحسب ما أورده سالوستيوس متهما كايوس بيبيوس بأنه باع ذمته ليوغرطه[3].

وفي أثناء إقامته في مدينة روما قام العاهل النوميدي يوغرطه بتدبير عملية اغتيال ماسيفا (Massiva)[4]، وهو أحد أبناء غولوسه عم يوغرطه، كان أحد المساندين لأذربعل في صراعه مع يوغرطه، وقد تمكن من الفرار من سيرتا بعد سقوطها في يد يوغرطه، فالتحق بروما التي رأت فيه الأنسب لحماية مصالحها في نوميديا، كما أنه سعى هو أيضا لينال رضا مجلس الشيوخ وتأييده في تولي عرش نوميديا بعد يوغرطه[5].

إثر هذه الأحداث التي أثارت ضجة كبرى في مجلس الشيوخ جاءت ردود الأفعال سريعة في روما مطالبة يوغرطه بمغادرة المدينة. وأخذ الرومان يجهزون لإعداد الحرب ثانية. وعين القنصل سوبرينوس ألبينوس (Sp.Postitumius Albinus) قائدا للقوات الرومانية ولعمليات الحرب في شمال إفريقيا[6].

و. يوغرطه يواجه الرومان :

بعد تعيينه على رأس الجيش الروماني نزل ألبينوس بإفريقيا سنة 110 ق.م على رأس 40 ألفا من الجنود وهو عازم على القضاء على يوغرطه والانتقام للرومان قبل إجراء انتخابات مجلس الشيوخ الروماني، لكن مع دخوله العمليات العسكرية لم يستطع مواصلة الحرب بسبب الإرهاق الذي نال منه وجنوده من جراء إتباع يوغرطه لأسلوب الكر والفر (حرب العصابات) فاضطر القائد الروماني ألبينوس إلى العودة إلى روما وهو يجر أذيال

(1) - Sahli (M.Ch.), op.cit., p .50.

(2) - Lacroix (M.L.), op.cit.,p.31.

(3) - Salluste, La guerre de Jugurtha, XXXIV.

(4) -Salluste, La guerre de Jugurtha, XXXV.

(3) -Gsell (S.) , H.A.A.N., T.7, p .169 ; Sahli (M.Ch.), op.cit., p. 51.

(6) -Camps (G.),Jugurtha...,ency.ber., pp.3975 -3978.

الهزيمة[1]، ذلك ما جعل الرومان يغيرون قيادة الجيش حيث تولاها شقيق ألبينوس القنصل أوليوس ألبينوس (Aulus Albinus) الذي قاد حملة على نوميديا، فاستدرجه يوغرطه إلى موقع رآه مناسبا له، يقع قرب سوتول (Suthul)[2] في شهر جانفي 109 ق.م، حيث حاصر جنود يوغرطه الجيش الروماني من كل الجهات، فساد الذعر والهلع والخوف صفوفهم، فألحق بهم يوغرطه هزيمة نكراء[3].

فاضطر سوبروليوس ألبينوس إلى العودة عله ينقذ ما يمكن انقاذه. لكنه فوجئ بالوضعية المزرية التي كان عليها الجيش الروماني، حيث وجده يعاني من الفوضى وعدم التنظيم وانهيار معنوياته. ثم عاد إلى روما، التي بلغتها أخبار الهزائم التي مني بها جيشها. فأحدثت وقعا سيئا على نفوس سكانها وشوهت صورة القائد أوليوس (Aulius)[4].

---

(1) - Parterculus(V.), Histoire Romaine,trad.P.Hainselin et H.watelet ,éd,Carnier,Paris,1932,LIV.II,12.

(2)- لم يعرف موقع مدينة سوثول (suthul) رغم اعتقاد بعض المؤرخين أنها تقع على وادي ميلاق غير بعيد عن موضع التقائه بوادي مجردة، معتمدين في ذلك على ما أشار إليه ساليستوس حول الخصائص الجغرافية للمنطقة التي وقعت بها المعركة، حيث عمل يوغرطة على الإيقاع بالجيش الروماني في منطقة صعبة المسالك، للإجهاز عليهم بسهولة ،مستغلا حماس القائد الروماني أولوس ، الذي أغرته الغنائم التي كان يطمح إلى الظفر بها، فقرر الإغارة على الجيش النوميدي = =في سوتول ، إلا أنه قفل عائدا يجر أذيال الهزيمة، وفر جيشه إلى ما وراء الخندق الملكي (Fossa regia) ، وبذلك يكون يوغرطة أحرز نصرا هاما ودخل منعرجا حاسما في مقاومته للاحتلال الروماني. حول الموضوع أنظر :

; Lacroix (M.L.), op.cit.,pp.32-33; - Salluste, La guerre de Jugurtha, XXXVII

- العربي عقون، المؤرخون القدامى، غايوس كريسبوس سالوستيوس (86-53 ق .م.) و كتابه حرب يوغرطة ، دار الهدى، عين مليلة، الجزائر ، 2006، ص .54.

(3)- فنطر محمد حسين، المرجع السابق...،ص .170.

(4)- كان من أثار هزيمة الجيش الروماني توقف مداولات جمعيات الشعب الناخبة (وهي هيئات شعبية وجدت في روما خلال العهد الجمهوري، من مهامها انتخاب القضاة، ومناقشة القضايا العامة) و دام توقفها طوال سنة 110 ق.م، وبدا القائد ألبينوس و كأنه المسؤول عن تراجع مكان الجيش الروماني، فقرر العودة إلى إفريقيا للانتقام و لكنه لم ينجح في ذلك .
يرجع المؤرخون الرومان أسباب هزائم الجيش الروماني في بداية حربهم ضد يوغرطة إلى عدم معرفتهم للطبيعة الجغرافية للمناطق التي جرت بها المعارك. و يبدو ذلك استعلاء منهم على كفاءة يوغرطة و قدرته على تسيير زمام الحرب بإتباعه إستراتجية جديدة لم يعهدها الجيش الروماني من ذي قبل، لأن جل المناطق التي جرت بها معارك الحملتين الأولى

لقد بينت هزيمة الجيش الروماني في ستول سنة 110 ق.م مدى استعداد يوغرطه وكفاءته في قيادة حرب العصابات التي أذعرت الرومان مما جعلهم يختارون قيادة جديدة للجيش حيث اختير هذه المرة القنصل ميتيلوس (Metellus)[1] الذي أحسن اختيار مساعديه. حيث نزل بإفريقيا سنة 109 ق.م ومعه ضابطين عرف عنهما الدهاء السياسي والعسكري وهما ريتيلوس (P.Rutilus) وماريوس (Marius) [2].

عند مجيء ميتيلوس على رأس الجيش الروماني عزم على تنظيم الجيش ووضع حد للرشوة والفساد في صفوفه من خلال إصداره عدة تعليمات للجيش تخص تسيير المعسكرات وتحد من الفساد والارتشاء وعمل يوغرطه كل ما في وسعه من أجل إغراء القائد الجديد بالمال إلا أنه لم يستطع على حد قول ساليستوس[3].

إن هذا الأسلوب الذي انتهجه ميتيلوس في تسيير الجيش الروماني لم يعهده يوغرطه لدى السابقين من قادة الجيش الروماني، لذلك نراه يترك الجيوش الرومانية تتقدم نحو الغرب متتبعا لخطواتها وتحركاتها عن كثب[4].

يبدو أن العاهل النوميدي كان يحاول دراسة تحركات الجيش الروماني ويختبر قدراته وأساليبه في ظل القيادة الجديدة. لذلك نراه يترك ميتيلوس يتحرك نحو الغرب دون مقاومة. وقد استغل القائد ميتيلوس حلول موسم الحصاد للقيام بحملته تلك نحو الغرب لكي يتيح الفرصة للرومان لجمع المؤونة والذخيرة حيث احتل مدينة باجة (Vaga) دون مقاومة تذكر.

والثانية تقع شرق باجة(Vaga) ودوقة (Thugga) و تمتد إلى أوتيكا وهي مناطق معروفة لدى الرومان منذ سقوط قرطاجة سنة 146 ق م . أنظر : العربي عقون، المؤرخون القدامى...، ص. 55.

(1) - كايكيليوس ميتيلوس (Q.caecilius Metellus) انتخب قنصلا في بداية سنة 109 ق م ، و تولى قيادة الجيش الروماني بإفريقيا و تنظيمه بعد وصوله إلى أرض إفريقيا في ربيع نفس السنة ، التي أنهاها في إعادة تنظيم وحدات الجيش الروماني الذي انهارت معنوياته من جراء هزائمه المتكررة على يد يوغرطة، فأقام ميتيلوس معسكره في موقع قريب من مدينة باجة (Vaga) وباشر الحرب في ربيع سنة 108 ق م. حول الموضوع أنظر :

- Mommsen (TH.), op.cit.,T.5, pp.10-11.

(2) -Saumagne (Ch.),"Le champ de bataille du Muthul, "revue tunisienne.1,1930,pp.3-17.

(3) - Salluste, La guerre de Jugurtha, XLV.

(4)- غانم محمد الصغير، مقالات وآراء...، ص. 176.

رغم كون المدينة تمتاز بأسواق الحبوب وتوافد الإيطاليين الذين يتاجرون في هذه المادة[1] ومن باجة اتجه نحو الجنوب الغربي لغاية وصوله وادي المثول (O.Elmuthul)[2] أين انقض عليه يوغرطه مع جيشه الذي كان متخفيا في التلال والغابات المجاورة، فألحق بميتيلوس وجيشه هزيمة ساحقة. وقد استفاد الجيش النوميدي من طبيعة التضاريس المختلفة والغابات والأشجار الكثيفة التي كانت تغطي المنطقة، زيادة على معنويات الجيش المرتفعة على ما يذكر سالوستيوس[3].

بعد ذلك اعتمد ميتيلوس على أسلوب مستهجن كعادة العسكرية الرومانية تمثل في تخريب المزروعات ونهبها وتحطيم أسوار القرى وإضرام النيران في كل ما تطأه أقدام جيشه. في حين أثبت يوغرطه ذكاءه وحنكته[4]، إذ لم يرضخ لتلك الأساليب الإرهابية وواصل الكفاح. فكان ينقض على الجيش الروماني ليلا فيقتل ويأسر كلما سمحت الفرصة بذلك. كما لجأ إلى تسميم الأعشاب والعيون حتى لا يستغلها الرومان[5] مما أربك ميتيلوس وجيشه من جراء حرب الاستنزاف

التي طبقها يوغرطه، فلجأ ميتيلوس إلى خطة لاستدراج يوغرطه، حيث هاجم مدينة زاما[6] وانتظر قدوم الملك النوميدي وجيشه لنجدتها، إلا أن يوغرطه اكتشف خطة ميتيلوس من خلال بعض الجنود الفارين من الجيش الروماني، وقدِموا إلى زاما فدعا حينها يوغرطه السكان للصمود في وجه العدو ووعدهم بنجدتهم في الوقت المناسب[7].

---

(1) - Salluste, La guerre de Jugurtha, XLVII.

(2)- وادي المثول، يعتقد س.جزال أنه وادي ملاق حاليا (تونس) أنظر :

- Gsell (S.), H.A.A.N., T.VI, p.190.

(3) - Salluste, La guerre de Jugurtha, XLIX .

(4) - Mommsen (Th.) , op.cit., T.5,p.46.

(5) - Salluste, La guerre de Jugurtha, LVI.

(6)- مدينة محصنة بالأسوار وتقع وسط سهل كبير، واحتوت عند مهاجمتها من قبل ميتيلوس على كل ما تتطلبه الحرب من المعدات والأسلحة والجنود، مما يوحي على أنها ليست زاما التي عرفت المعركة الشهيرة بين حنبعل وسيبيون. أنظر :

- Salluste, La guerre de Jugurtha, LVII.

(7) - Salluste, La guerre de Jugurtha, LVI.

لقد بدأ ميتيلوس بتنفيذ خطته بالسير نحو زاما فباغته يوغرطه بالهجوم على معسكر جيشه، وقتل الكثير من حراسه وفي اليوم الموالي لذلك الهجوم أمر ميتيلوس كل فرسانه بالبقاء بالمعسكر لحراسة كل أبوابه قبل مواصلة المسير إلى زاما، وعندما أشرف الجيش الروماني على المدينة. وفي غياب الفرسان أمر ميتيلوس بالهجوم. وفي أثناء ذلك ظهر يوغرطه قادما لنجدة المدينة، وجرت معركة ضارية بين الطرفين أبلى فيها الفرسان النوميديون البلاء الحسن، مستغلين غياب الفرسان الرومان. مما انعكس سلبا على أداء المشاة في الجيش الروماني[1].

عاد ميتيلوس إلى إفريقيا الرومانية بعد هزيمته في زاما وفي جعبته خيبة أمل في الإيقاع بالملك النوميدي. وكان عليه انتظار انقضاء الشتاء لمعاودة الحرب. في حين استغل يوغرطه تلك الفترة لاسترجاع المناطق التي وقعت تحت السيطرة الرومانية، وتمكن من استرجاع باجة التي قضى على الحامية الإيطالية بها، ولم يسلم إلا قائدها توربيليوس سيلانوس (T.Turpiluis Silanus) الذي تمكن من الفرار من تلك المجزرة حسب ما أورده سالوستيوس[2].

لقد استطاع ميتيلوس أن يهزم يوغرطه في ربيع سنة 108 ق.م ويسترجع باجة، فاضطر يوغرطه إلى اللجوء إلى مدينة تالة (Thala) وهي مدينة كبيرة وغنية يتواجد بها أبناء يوغرطه ومعظم كنوزه على ما يذكر سالوستيوس[3].

أدرك ميتيلوس معاناة يوغرطه وتأثره بهزيمة باجة، فأراد أن يفتك به. لكن يوغرطه تمكن من مغادرة تالة نحو قفصة (Capsa) ومنها سار إلى الغرب سالكا الصحاري، حاثا قبائل الجيتول على مساندته في التصدي للاحتلال الأجنبي[4].

---

(1)- فنطر محمد حسين، المرجع السابق، ص ص .190-191.

(2) - Salluste, La guerre de Jugurtha, LXVI-LXVII.

(3) - Salluste, La guerre de Jugurtha, LXXV.

(4) - Rinn(L.),« Les premiers royaumes berbères et la guerre de Jugurtha»,R.Afr.,T.29,1885,pp.180-81.

(*) -بوكوس : يعرف ببوكوس الأول ملك المورو أو موريطانيا التي تشمل المغرب الأقصى حاليا، وكانت مملكته تظم القبائل الموريـة، التي استقرت غرب المملكـة المازيسيلية من نهر الملويـة شرقا إلـى المحيط الأطلسي غربـا و تمتد جنوبـا إلـى أراضـي الإثيوبيين، حسب ما أورده ج .ديزونج (J.Desange).

استطاع يوغرطة بواسطة القبائل الجيتولية الوصول إلى الملك الموري بوكوس (Bucchus) (*)وإقناعه بالوقوف معه ضد الخطر الداهم. ويشير سالوستيوس إلى أن **"الجيتول قوم متوحشون و برابر يجهلون اسم روما، استطاع يوغرطه أن يلقن من تحالف معه منهم الانقياد وحمل السلاح من أجل القتال"**[1].

نلاحظ من خلال نص سالوستيوس هذا استعلائه الكبير واستخفافه بل استهزائه بالشعوب المغاربية منطلقا من انتمائه إلى الحضارة اللاتينية، ورغم ذلك يبقى المصدر الوحيد حول مقاومة يوغرطه. كما انه لا يخلو من بعض الحقائق التاريخية الهامة. فهذا النص أبرز لنا تلاحم القبائل المغاربية وتحالفها ضد الغزو الأجنبي على الرغم من العوائق الجغرافية العديدة.

في أثناء سير يوغرطه إلى قبائل الجيتول كان ميتيلوس قد بلغ تالة. وكعادتهم قام الرومان بالانتقام من سكانها الذين دافعوا عن مدينتهم ببطولة قل نظيرها، حيث فظلوا الهلاك جميعا على الاستسلام للرومان[2].

بعد إقناع يوغرطه لبوكوس على ضرورة دعم قضية الدفاع عن نوميديا ضد الاحتلال الروماني، تدعمت علاقة العاهلين بالمصاهرة حيث تزوج يوغرطه من إحدى بنات الملك بوكوس ويعتبر ذلك نجحا كبيرا أحرزه يوغرطه قد ينسيه هزيمة باجة وقرر العاهلان بعد توحيد رؤاهما حول القضايا المصيرية التي تربط بين مملكتيهما الهجوم على سيرتا التي كان ميتيلوس يعسكر بإحدى ضواحيها[3] وفي تلك الأثناء حدث تغيير في قيادة الجيش

منح الرومان لبوكوس الأول الجزء الغربي من المملكة النوميدية بعد المؤامرة التي حبكها مع القائد الروماني سيلا للقبض على يوغرطة أنظر:

- Desange (J.),op.cit., p.35 ;

- محمد شفيق ، لمحة عن ثلاثة وثلاثين قرنا من تاريخ الأمازيغيين، دار الكلام للنشر و التوزيع، الرباط، 1989، ص.38.

(1) - Salluste, La guerre de Jugurtha, LXXX.

(2) - Salluste, La guerre de Jugurtha, LXXVI.

(3) - Salluste, La guerre de Jugurtha, LXXX-XXXI.

(*)- ماريوس (Marius) : عاش فيما بين سنين (158- 86 ق.م)، أحد القادة العسكريين الرومان و أبرزهم ، ولد بمدينة أبينوم (Apinum) في جنوب روما، ينتمي إلى عائلة اتروسكية عريقة ، انظم مبكرا إلى الجيش الروماني و أظهر كفاءة عالية تحت إشراف سيبون الإيميلي في إيبيريا، و برز كقائد كفأ أثناء حصار نومانس (Numance) فيما بين 134-133 ق. م، و تولى العديد

الروماني بإفريقيا حيث عين ماريوس (Marius) (*) على رأس الجيش خلفا لميتيلوس[1] وأحدث ماريوس غداة توليه قيادة الجيش الروماني بإفريقيا تغيرات كبيرة حيث جلب جنودا من طبقة العامة كما رفع عدد جنود الفرقة الواحدة إلى 6200 جندي، بعد أن كانت لا تتعدى 5000 جندي[2].

كما طلب الفرق المساعدة من الملوك حلفاء الرومان، ولم يجد مجلس الشيوخ بدا من الموافقة على طلبه[3].

بعد استرجاع سيرتا من قبل يوغرطه وبوكوس تفرقا بعد علمهما بقدوم ماريوس وتحصن كل منهما في المناطق ذات المسالك الصعبة لاستدراج ماريوس ومن ثمة تشتيت جيشه بعد مباغتته مثلما أراد يوغرطه بحسب ما أورده سالوستيوس[4].

لقد تأكد ماريوس بعد المواجهات الأولى بضواحي سيرتا من صعوبة تحقيق النصر بهذا الأسلوب. لذلك قرر القنصل الروماني وقائد جيشه مهاجمة المدن واحتلالها لاستدراج يوغرطه وبوكوس لنجدتها، فهاجم قفصة (Capsa) باعتبارها حسب سالوستيوس مركزا هاما رأى فيها ماريوس مدينة قد تمده بالشهرة مثلما أمدت تالة ميتيلوس بشهرة كبيرة في روما[5].

من الوظائف العسكرية منها كيستور سنة 121 ق م ، ثم تريبون (Tribun) سنة 119 ق م ثم بريتور (Préteur) ، وفاز بمنصب بروبريتور (Propréteur) على مقاطعة اسبانيا في السنة الموالية. وعين قنصلا سنة 107ق.م ليقود الحرب في نوميديا ضد الملك يوغرطة، و سيحسمها لصالحه سنة 104 ق م بمساعدة سيلا، الذي سيتحول إلى أكبر عدو له في الحزب الأرستوقراطي، توفي ماريوس سنة 86 ق م أنظر :

- Fredouille (J.C.),op.cit.,pp.100-101.

(1) - Salluste, La guerre de Jugurtha, LXXXII ; Rinn (L.), op.cit., pp.180-181.

(2) - Gsell (S.) , H.A.A.N., T.7, pp. 227- 228.

(3) - Salluste, La guerre de Jugurtha, LXXXIV.

(4) - Salluste, La guerre de Jugurtha, LXXXVII.

(5) - كان على ماريوس أن يحقق نصرا بأي ثمن لرفع معنويات جيشه. وعلى هذا الأساس اتجهت أنظاره نحو قفصة وهي مدينة نائية تقع في الصحراء، أرضها غير قابلة للزراعة لافتقارها للمياه، وقد بلغها ماريوس خلال عشرة أيام من السير فأجهز على أهلها و أباد كل من فيها من الذين بلغوا سن القتال، ونهب ممتلكاتهم و وزعها على جنده، و لتبرير هذا

باحتلال ماريوس لقفصة سنة 107 ق.م يكون قد حقق شعبية كبيرة ورفع معنويات جيشه، إضافة إلى قطع التموين المادي والمعنوي عن يوغرطه وبوكوس[1] ويبدو أن ذلك ما شجع ماريوس على الاستمرار في مواجهة الجيشين النوميديين وينتصر في جل المعارك التي خاضها حسب المؤرخ الروماني سالوستيوس حتى بلغ نهر الملوية (Mulusha) [2].

على الرغم من تقدم الجيش الروماني في ملاحقته يوغرطه بعد هزيمته في قفصة إلا أنه لم يستطع تحقيق نصر ساحق ينهي المقاومة خصوصا بعد التحالف بين يوغرطه وبوكوس، ذلك التحالف الذي طالما أقلق الرومان وعملوا كل ما في وسعهم من أجل تفكيكه، وفي هذا الصدد يشير بعض المؤرخين إلى أن ملاحقة ماريوس ليوغرطه غربا إلى قلعة تاوريرت (Taourirt) على إحدى ضفاف نهر الملوية وحصارها لعدة أيام، كان الهدف منه هو الضغط على بوكوس وتخويفه حتى يتخلى عن يوغرطه[3]، وقد استغل الملك النوميدي ابتعاد ماريوس عن سيرتا في استعادتها مع بعض المناطق المجاورة لها. كان ذلك في صيف 106 ق.م[4] إلا أنه لم يستطع البقاء بسيرتا طويلا، حيث تمكن ماريوس من استعادتها في نهاية 106 وبداية 105 ق.م حيث أقام معسكره بها في خلال هذه الفترة[5] بعد أن أجبره يوغرطه وبوكوس على خوض عدة معارك في ضواحي سيرتا، لكنه انتصر فيها بحسب ما أورده سالوستيوس الذي

الأسلوب الوحشي و الجريمة الشنعاء أشار ساليستوس كعادته متحاملا على النوميديين إلى أن المدينة تمثل حصنا ليوغرطة و أن أهلها خونة و غادرين أنظر :

- Salluste, La guerre de Jugurtha, LXXXIX ;

- العربي عقون، المؤرخون القدامى ....،ص. 65.

(1) - Ousseddik (T.), op.cit., p .87.

(2) - Salluste, La guerre de Jugurtha, XCII.

(3) - Gsell (S.), H.A.A.N., T.7, p.237 ; De la malle (D.) ,op.cit.,p.146.

(4) - Gsell (S.), H.A.A.N., T.7, pp. 242- 243.

(5) - Mommsen (Th.) , op.cit., T.5, pp .144-146.

أشاد بالنقيب سيلا (Sylla)[1] في تلك المعارك وكان هذا الأخير قد عين مساعدا لماريوس في تلك الفترة[2].

وفي مقر إقامته بمعسكره بسيرتا استقبل ماريوس مبعوثين عن الملك بوكوس الذي أراد الدخول في هدنة مع الرومان بعد أن بدأ في التردد في مواصلة الحرب مع يوغرطه على ما يذكر سالوستيوس[3].

ز. بوكوس و الرومان يتآمرون على يوغرطه:

عند استقبال ماريوس لمبعوثي الملك بوكوس أبلغوه عن رغبة الملك في التفاوض من أجل إنهاء الحرب وفقا لمصالحه ومصالح الشعب الروماني وأنه يطلب إرسال اثنين ممن يثق فيهما لمقابلة الملك. وعلى الفور أوفد له ماريوس كل من : ل.سولا ومانليوس (A.Manlius) [4].

وفي أثناء اللقاء مع الملك بوكوس استطاع سولا بذكائه ودهائه أن يقنعه بالتخلي عن مساندة يوغرطه ويصبح عنصرا أساسيا في مؤامرة إلقاء القبض على يوغرطه[5].

وقد وصف المؤرخ سالوستيوس ذلك اللقاء حيث أشار إلى تناول سولا الكلمة أولا بعد أن تنازل له عنها مانليوس الذي يكبره سنا. وقد أثنى سولا على موقف الملك وأشاد بحكمته من خلال موقفه هذا كما وصف يوغرطه بالمجرم[6].

كما أورد ذات المؤرخ رد الملك بوكوس الذي كان هادئا ولطيفا في كلمته محاولا توضيح موقفه من خلال التظاهر بالدفاع عن موقف يوغرطه، فيشير إلى أنه وإذ حمل

---

(1) - Salluste, La guerre de Jugurtha, XCV .

(2) - Salluste, La guerre de Jugurtha, XCVII-CI.

(3) - Salluste, La guerre de Jugurtha, CII.

(4)- بإرسال ماريوس كل من سيلا و ما نليوس و هما قائدين عرف عنهما الدهاء السياسي أكثر من التكتيك العسكري، تبدأ مرحلة جديدة في حرب ماريوس على نوميديا . فقد تقلص دور العمل العسكري ليبدأ العمل السياسي الذي يلعب فيه الدهاء دورا أساسيا، ومن ثمة فالمفاوضات ستكون لها الكلمة الفصل في إنهاء الحرب لصالح ماريوس حول الموضوع أنظر : قنطر محمد حسين، يوغرطة ...، ص.269.

(5)- غانم محمد الصغير، مقالات و آراء...، ص. 178.

(6) - Salluste, La guerre de Jugurtha, CII.

السلاح إنما حاول الدفاع عن مملكته بعد رفض روما التحالف معه، وأعرب بعد ذلك عن أمله في التفكير في المستقبل دون العودة إلى أحقاد الماضي[1] ولم يكتف بوكوس بالتفاوض مع ماريوس بل أرسل بوفد إلى مجلس الشيوخ الروماني يطلب التحالف. فنال بوكوس عفو وثيقة الرومان لأنه نادم عما فعل في حق روما[2]، ولكن رفضت إبرام معاهدة تحالف معه لأسباب مجهولة[3] .

وفي أثناء تلك الفترة كانت لقاءات عديدة قد تمت بين سولا وبوكوس بحضور أحد الأمراء النوميديين المقربين من يوغرطه وهو (Aspar)[4] الذي يبدو أنه شعر بمكيدة الرومان لذلك حاول أن يقنع الملك بوكوس بضرورة إلقاء القبض على سولا وأخذه كرهينة إلى يوغرطه ولكنه فشل في مهمته أمام إصرار بوكوس بعد أن أدرك تحول ميزان القوة لصالح الرومان على التخلي عن يوغرطه[5]، بل المساهمة الكبيرة في حبك مؤامرة إلقاء القبض عليه وتسليمه لسولا في نهاية صيف سنة 105 ق.م[6].

اتفق سيلا مع بوكوس على إبلاغ يوغرطه عن طريق أسبار عن استعداد الرومان للتفاوض معه، فقدم يوغرطه إلى بوكوس مع الوفد المرافق له بدون سلاح ولكنه وقع في كمين نصبه بوكوس[7].

وقد ألقي عليه القبض بعد أن قتل كل من كان معه وهم عزل من أسلحتهم وسلم يوغرطه مكبلا بالأغلال إلى سولا الذي نقله إلى ماريوس في نهاية صيف سنة 105 ق.م[8].

---

(1)- Ibid.

(2) -kadra-Hadjadji (H.), op.cit., p. 199.

(3)- فنطر محمد حسين، يوغرطه...، ص. 279.

(4) - Salluste, La guerre de Jugurtha, CVIII

(5)- غانم محمد الصغير، مقالات وآراء...، ص ص . 178- 179.

(6). 259.- Gsell (S.), H.A.A.N., T.7, p

(7) - Salluste, La guerre de Jugurtha, CXIII.

(8) 59. 2 - 258.- Gsell (S.), H.A.A.N., T.7, pp

وفي أواخر سنة 105 ق.م نقل يوغرطه إلى روما واحتفل ماريوس والشعب الروماني بالقضاء على يوغرطه، رغم أنه تم عبر خيانة بوكوس وليس انتصارا في المعارك الحربية. إلا أن ذلك لم يمنع ماريوس من السير في روما بعربته التي تجر يوغرطه وولدين له، وبعد الاحتفال أخذ الملك النوميدي أسيرا ووضع في التوليانوم [1] بسجن روما إلى أن توفي بعد أن قضى 6 أيام بدون طعام في 104/01/07 ق.م[2] .

ورغم إلقاء القبض على يوغرطه لم تمت المقاومة النوميدية بدليل أن ماريوس لم يغادر إفريقيا بعد المكيدة واستمر إلى نهاية السنة. مما يؤكد حسب بعض المؤرخين استمرار المقاومة في مناطق مختلفة من التراب النوميدي[3].

2. انعكاسات حرب يوغرطه على المنطقة :

لقد كان يوغرطه مخيرا بين أن ينال شرف لقب حليف الرومان وصديقهم ويُبقي على الجزء الذي منح له من المملكة النوميدية بعد وفاة الملك مسيبسا ويساهم بذلك في تجزئة نوميديا مثلما أرادها الرومان. وبين أن يسعى لتوحيدها ومواجهة الرومان، فينال شرف مقاومة الأجنبي عن الأرض الإفريقية، ويخلد اسمه في التاريخ الإقليمي أو النوميدي.

فاختار الأمر الثاني ودفع حياته ثمنا لحبه للحرية، فأصبح فيما بعد رمزا للوطنية الصادقة. وكان بوكوس على غرار يوغرطه مخيرا بين أن يبقى حليفا ليوغرطه، وفقا لما تقتضيه تقاليد الانتماء العرقي والمصاهرة والقرابة الجغرافية والحضارية، فينال ما نال يوغرطه من شرف خالد. وبين ما عرضه عليه سيلا من مكاسب إقليمية لمملكته على حساب المملكة النوميدية، ومكاسب معنوية مثل حليف الرومان وصديقهم، ومختلف الأوصاف التشريفية الزائفة، فاختار الأمر الثاني.

لكن ما بين ما اختاره يوغرطه وما اختاره بوكوس فرق شاسع كالفرق بين الوفاء للوطن وخيانته. أو الفرق ما بين البطل الشجاع والخائن الجبان.

---

[1]- التوليانوم (Tullianum): زنزانة تحت أرضية سجن روما بعمق اثنا عشرة قدما، يصفها سالوستيوس بأنها محاطة بجدران ضخمة وسقفها عبارة عن قبة بنيت بحجارة ضخمة، مصقولة بشكل جيد ، و بأنها (الزنزانة) وسخة و مظلمة ، تنبعث منها رائحة كريهة ، و منظرها رهيب و مرعب حول التوليانوم أنظر:
- Salluste ,Conjuration de Catilina,LV.

[2]- Richard (J.C.), La victoire de Marius, M.A.H., vol.77, N°.01,1965,pp.69-86.

[3]- فنطر محمد حسين، المرجع السابق... ،ص ص . 298- 299.

بعد تلك النهاية المأساوية للملحمة الخالدة من البطولة والاستماتة في الدفاع عن الوطن عبث الرومان بالمملكة النوميدية وعرشها من خلال مجموعة من الإجراءات والترتيبات التي رأوا فيها ضمانا لمصالحهم منها :

1. لقد منح ماريوس الثلث الغربي من المملكة النوميدية للملك بوكوس جزاء عمالته لهم ومساهمته الفعالة في حبك مؤامرة إلقاء القبض على يوغرطه[1] وتخليص الرومان من خطره المهدد للوجود الروماني ليس فقط في نوميديا بل في كامل إفريقيا (المغرب القديم) كما تكرموا عليه بمنحه لقب حليف روما وصديقها.

2. تتويج الأمير غودا (Gauda) ابن مصتنبعل ابن ماسنيسا أي شقيق يوغرطه ملكا على الجزء الشرقي من نوميديا والمتاخم للولاية الرومانية، غير أن هذا الأمير كان يلازمه المرض وضعف الشخصية حسب ما أورده المؤرخ الروماني سالوستيوس[2].

يبدو من خلال تنصيب غودا على عرش نوميديا أن الرومان كانوا يسعون إقناع النوميديين بأنهم يحترمون تقاليدهم في تولي الحكم من خلال إيلاء العرش لغودا لأنه الأكبر سنا فيمن تبقى من العائلة المالكة، ومن جهة أخرى تعيين هذا الملك يجعل ماريوس مطمئنا على المصالح الرومانية لأن ضعف شخصيته ستجعله يخشى قوة الرومان وسطوتهم. ومن ثمة سيبقى خاضعا ومخلصا لهم[3].

وقد كان ماريوس محقا في ذلك حيث أصبحت نوميديا في عهد غودا سوقا لرجال الأعمال والتجار والجواسيس الذين يستغلون الثروات النوميدية لخدمة المصالح الرومانية.

---

(1)- تجهل الحدود الشرقية التي توقفت عندها المملكة الموريطانية (أي مملكة بوكوس) بعد هبة ماريوس لملكها .إلا أن س.جزال يضعها عند وادي الشلف فيكون حينئذ الثلث الذي منح لبوكوس هو الحيز الجغرافي الواقع بين وادي الشلف وملوية. أنظر :

- Gsell (S.), H.A.A.N., T.7, p . 264.

(2)

- Salluste, La guerre de Jugurtha, LXV.

(3)- أصبحت المملكة النوميدية في عهد الملك غودا سوقا مربحة لرجال الأعمال و التجار و الجواسيس الإيطاليين، الذين يستغلون و ينهبون الثروات النوميدية و يعملون من أجل المصالح الرومانية في المملكة أنظر :

- Lacroix (M.L.) , op .cit.,p.44.

3. خلق مملكة في القسم الأوسط من نوميديا أي في وادي الشلف غربا إلى الحدود الغربية لمملكة غودا تمتد حتى صلداي (بجاية)[1].

أطلق عليها اسم الماستانزوسوس (Mastanesosus)، وقد وصفها الأستاذ قداش محفوظ بالوقائية وأن ماستانزوسوس هو ملكها[2] .

في حين يعتقد الأستاذ شنيتي م.ب أنها كانت منطقة حرة جعلها الرومان فاصلة بين موريطانيا الموسعة ونوميديا المصغرة خشية وقوع نزاع بين المملكتين[3].

4. دون شك فإن استغلال الثروات المختلفة في كل نوميديا المقسمة وفي موريطانيا الموسعة حيث استمر بوكوس إلى آخر أيام حكمه الممون الأساسي لروما سواءً بالمساعدات العسكرية أو المواد الغذائية كالقمح أو الحيوانات، خاصة ما تحتاج إليه سواءً في الحروب أو الاستعراضات[4].

5. كان لاستصدار الرومان للعديد من القوانين الخاصة انعكاساتها الهامة لاسيما قانون سارتورنوس لعام 103 ق.م والذي حصل بموجبه قدماء الجيش الروماني المحاربين ضد يوغرطه على أراضي زراعية تصل مساحة القطعة الواحدة إلى 25 هكتار خاصة الأراضي الإستبسية المتواجدة عند حدود الليمس إضافة إلى اعتبار مجلس الشيوخ الروماني للأراضي النوميدية ملكية للشعب الروماني باعتبارها أراضي الشعب المهزوم[5].

لقد تحكمت في هذه الترتيبات والإجراءات الرومانية بنوميديا عوامل عدة منها الأوضاع الداخلية المتمثلة في الصراع السياسي والاجتماعي في روما، فثورة يوغرطه أحدثت آثارًا بعيدة المدى في روما كما أفقدت مجلس الشيوخ الروماني هيبته خاصة بعد

---

(1) - Mommsen (Th.), op.cit., T. 5, p.117.

(2)- قداش محفوظ، المرجع السابق، ص . 107.

(3)- شنيتي محمد البشير ، سياسة الرومنة... ،ص ص. 40-41.

(4) - Sahli (M.Ch.), op.cit., p .66

(5)- غانم محمد الصغير، مقالات وآراء...،ص ص . 179-180.

أن أتضح تفشي الرشوة في أوساطه[1] زيادة على الحروب الخارجية وبعد الانتهاء من حرب نوميديا أجبرت روما على خوض حرب غالــة[2].

وبعد كل هذه الترتيبات وما سينجر عنها على المغرب القديم سكانا وأرضا اعتقد الرومان أنهم قد أنهوا الخطر الداهم على تواجدهم الاستيطاني بالمنطقة والمتمثل في تماسك النوميديين ووحدتهم. وباطمئنان الرومان على مصالحهم في الشمال الإفريقي تدخل المنطقة فترة من الصمت والغموض تجهل أحداثها بشكل كبير امتدت تلك الفترة من نهاية يوغرطه إلى حملة قيصر على إفريقيا[3].

3. التطورات السياسية بعد هزيمة يوغرطه :

بعد وفاة غودا[4] شقيق يوغرطه سنة 88 ق.م خلفه ابنه هيمبصال الثاني[5]على عرش نوميديا والذي لم يحد عن سياسة والده تجاه الرومان .وتبعا لذلك انضم إلى مناصري سيلا في صراعه ضد ماريوس الذي فر إلى إفريقيا بعد سيطرة خصمه على روما في نفس السنة أي سنة 88 ق.م، وقد استغل هيرباس (Herbaces)[6] ذلك الصراع في مساندة ماريوس، مما مكنه من انتزاع السلطة من هيمبصال الثاني وضم إليه مملكة الأمير ماستانيزوس

---

(1)- عبد اللطيف أحمد علي، المرجع السابق، ص . 51.

(2) - Salluste, La guerre de Jugurtha, CXIV.

(3)- شنيتي محمد البشير ، سياسة الرومنة... ،ص . 41 ؛ حارش محمد الهادي، التطور السياسي... ،ص.69.

(4)- يشير ساليستيوس إلى أن غودا ابن مستنعل ابن ماسنيسا كان حليفا للرومان أثناء الحرب اليوغرطية ، و أن الملك مسيبسا قبل وفاته قد أوصى له بالعرش بعد أبنائه (وريثا ثانيا). ذلك ما جعله على ما يبدو يطلب التقرب من القائد ميتيلوس و ملازمته، لكن القائد الروماني رفض ، مبررا ذلك بأن شرف الجلوس بجوار القنصل الروماني يناله الذين يحضون لدى الشعب الروماني بلقب ملك دون غيرهم.

لكن القنصل ماريوس أدرك بدهائه أهمية وجود أمير نوميدي حليفا للرومان،مثل غودا(الذي أرهقته الأمراض) لتولي العرش النوميدي إذا تم القضاء على يوغرطة. لذلك قربه منه تحضيرا له لحماية المصالح الرومانية على رأس المملكة النوميدية .حول الموضوع أنظر:

- Salluste, La guerre de Jugurtha, LXV.

(5)- يرى بعض المؤرخين أن هيميصال الثاني قد حكم في أقصى الشرق النوميدي، في المنطقة التي عرفت باسم بمملكة المزاق (Byzacene) ، التي ارتبط اسمها بمجريات الصراع بين ماريوس و سيلا . و بعد إزاحته عن العرش من قبل هيرباص ، عاد إليه هيمبصال الثاني سنة 80 ق م أي عند انتهاء الصراع بانتصار بومبيوس على أتباع ماريوس ...لمزيد من المعلومات أنظر:

- La croix (M.L.), op.cit., p.46.

(6)- هيرباص: أمير نوميدي حكم في منطقة تقع غرب سيرتا عاصمتها بولا-ريجيا (Bulla-Regia)... لمزيد من المعلومات حول هذا الأمير النوميدي أنظر :

- Gsell (S.) , H.A.A.N., T.7, p . 281.

(Mastanesosus) أو ماستينيسا (Mastenissa) الذي كان يحكم المنطقة الواقعة بين طبرقة إلى صلداي[1].

لقد أصبح هيرباص يهدد مصالح روما في إفريقيا وأعاد إلى الأذهان ما أحدثه يوغرطه من خسائر لروما، لذلك كان لا بد لها أن تنهي حركة هذا الأمير بأقصى سرعة، حيث وبعد عودته من المشرق وإعلانه ديكتاتورا في أواخر سنة 82 ق.م، بعث سولا بأحد قادته الأكفاء الشباب وهو بومبيوس (C.N.Pompeuis)[2] الذي استولى على صقيلية فعبر إلى إفريقيا وكلفه بمهمة القضاء على ماريوس ومناصريه هيرباس ودوميتيوس (N.Domitius Aenobarbus)[3].

وقد تمكن أتباع سولا من الانتصار في إفريقيا حيث قتل دوميتيوس وخلع هيرباس من العرش النوميدي الذي أعيد إليه هيمبصال الثاني، وأضيفت له مملكة هيرباس مع بعض من أراضي القبائل الجيتولية* كما أعيد ماستينيسا إلى الحكم أيضا[4].

لقد استقرت الأوضاع السياسية في المملكة النوميدية بعد إعادة هيمبصالII للحكم والذي يصفه بعض المؤرخين بكونه لا يميل إلى الحرب إذ كان يتذوق الآداب والفنون مثل حفيده يوبا الثاني فيما بعد وذلك ما يفسر استمرار الارتباط الوثيق بالرومان وعلاقته الحسنة معهم طيلة العشرين سنة (20 سنة) التي قضاها في الحكم[5].

---

(1)- حارش محمد الهادي، التطور السياسي...،ص. 72.

(2)- بومبيوس الكبير: هو أحد القادة العسكريين و السياسيين الرومان البارزين، عاش فيما بين(106-48 ق م)، برز أثناء الصراع الدائر بين ماريوس و سيلا ، ناصر في بداية مشواره القائد ماريوس، و تراجع لصالح سيلا بعد عودة هذا الأخير إلى روما قادما من إفريقيا سنة 83 ق م، عين قنصلا سنة 70 ق م ، بعد سيطرته على صقلية وانتزاعها من أنصار ماريوس. لكنه دخل في صراع مع يوليوس قيصر و كان النصر حليف هذا الأخير بعد مقتل بومبيوس سنة48 ق م ...لمزيد من المعلومات حول بومبيوس أنظر :
- Plutarque, Vie de Pompée, IX-XX ;
- مصطفى العيادي، الإمبراطورية الرومانية، النظام الإمبراطوري و مصر الرومانية، دار النهضة العربية للطباعة والنشر، بيروت، لبنان، بدون تاريخ ،ص ص. 47-50.

(3)- شارل أندري جوليان، المرجع السابق، ص . 163.

* رغم أن ساليستيوس لم يقدم لنا معلومات وافية حول بلاد الجيتول ، إذ لم يتعد ذكره بأنها تقع وراء جبال الأطلس وأن القبائل الجيتولية تنقسم إلى قسمين: فمنهم المستقرون والمرتحلون .إلا أن الباحث "العربي عقون" في كتابه المؤرخون القدامى يحدد موقع القبائل الجيتولية وذلك اعتمادا على قائمة بوتنجر (Peutinger) في الجنوب النوميدي الذي يظم مناطق وادي ميزاب، وادي ريغ، وادي سوف، الأوراس، الجريد والحظنة.أنظر :
- Salluste, La guerre de Jugurtha ,XVIII, XIX;
- العربي عقون ، المؤرخون القدامى ...، ص ص.44-45 .

(4)- Mommsen (Th.) , op.cit., T.5, p . 342 ; Gsell (S.), H.A.A.N., T.7, p .281.

(5)- Gsell (S.) , H.A.A.N., T.7, pp . 292.

ثانيا: مقاومة يوبا الأول ونتائجها :

1. مقاومة يوبا الأول :

أ. نشأة يوبا الأول :

لم يصلنا الكثير من المعلومات حول حياة الملك يوبا الأول[1] قبل حربه ضد بوليوس قيصر، ولا الظروف التي تولى فيها السلطة في نوميديا.

غير أنه يعتبر الابن البكر لهيمبصال الثاني، نشأ في القصر الملكي في أحضان والده. كان الأمير يوبا الأول منذ صغره ميالا إلى الظهور بالمظهر الفاخر في شخصيته وفي هندامه، محاولا الحفاظ على عادات وتقاليد وطنه. وكثيرا ما كان ينبذ تقليد الرومان والإغريق، كما كان شغوفا إلى العمل العسكري خلافا لوالده هيمبصال الثاني[2] .

شارك يوبا الأول في الحياة السياسية للمملكة النوميدية بصفته أميرا، حيث كلفه والده بمهمات دبلوماسية عديدة، فلفت انتباه الخطيب الروماني الشهير شيشرون(*) وهو يقوم بإحدى مهماته الدبلوماسية في روما فيما بين سنتي 64 إلى 36 ق.م[3] . وعندما تولى الأمير يوبا الأول العرش سنة 50 ق.م كان قد تمرس وتدرب على العمل السياسي، بل أصبح يتطلع

---

(1) - أورد المؤرخ إرنست ميرسيي بعض الصفات التي ميزت يوبا الأول عن غيره من الأمراء النوميد، فيذكر بأنه كان متسما بالشجاعة ، والإقدام والنشاط والحيوية وحب البروز بالزي العسكري... لمزيد من المعلومات أنظر:

- Mercier (E.) , Histoire de l'Afrique septentrionale (Berberie) depuis les temps les plus reculés jusqu'à la conquête Française, 1830,(03vol),T.1, éd. Ernest Leroux, Paris,1888, p.74.

(2) - Gsell (S.) , H.A.A.N., T.7, pp. 292- 293.

(*) ماركوس توليوس شيشرون (Marcus Tullius Ciceron) : كاتب وسياسي روماني، يعتبر خطيب روما المميز، ولد سنة 106ق.م بمدينة أربينوم (Arpinum)، حوالي 10 كم جنوب شرق روما. صاحب إنتاج فكري ضخم ويعتبر نموذجا للتعبير اللاتيني الكلاسيكي.

لقد أثارت شخصيته الكثير من الجدل و التقويم المتضارب وخاصة في الجانب السياسي من حياته . فهو تارة مثقف في وسط سيء ،وتارة أخرى ثري إيطالي يبحث عن مكانة ضمن أثرياء روما، و تارة أخرى انتهازي متقلب وأداة طيعة في يد الملكية، فهو متملق لبومبيي ثم لقيصر. توفي شيشرون حوالي سنة 43 ق م. حول الموضوع أنظر:

- Fredouille (J.C.),op.cit., pp.32-33.

(3)- حارش محمد الهادي، دراسات ونصوص...، ص. 255.

لأن يكون ملكا حقيقيا، على غرار الملوك الإغريق، فجعل حرسه من الفرسان الأجانب[1] خاصة الإسبان والغاليين[2].

ب. مقاومة يوبا الأول :

منذ توليه العرش حاول يوبا الأول فرض سيطرته المطلقة على مملكته، حيث قام بالعديد من الحملات العسكرية ضد القبائل التي كانت ترفض سلطته وأخضعها بالقوة كما كان على خلاف مستمر مع جيرانه الموريطانيين[3]. لم يكتف يوبا الأول بتزيين عاصمة مملكته زاما بالقصور الفاخرة، بل حصنها بأسوار ثلاثية للدفاع عندما يقتضي الأمر ذلك[4].

وفي أثناء الصراع بين قيصر (Cesar) وبومبيوس انحاز يوبا الأول إلى الثاني، ففي 11 جانفي 49 ق.م أخذ صراع قيصر مع خصومه أبعادا أخرى حيث خرجوا من إيطاليا لتنظيم صفوفهم في البلقان وأسبانيا وإفريقيا. قاد قيصر بنفسه الحملة ضد أسبانيا في حين كلف قائده كوريون (Curion)[5] بالذهاب إلى إفريقيا لمحاربة حاكم أوتيكا آتيوس فاروس (P.Attius Varus) [6] الموالي لبومبيوس الذي تحالف مع يوبا الأول بعد انتصاره على

---

(1)- قداش محفوظ، المرجع السابق، ص.108.

(2)- الغاليون (les gaulois) هم سكان منطقة غالة (Gallia) التي تضم المناطق الواقعة إلى الغرب من ايطاليا (فرنسا وبلجيكا) ،وقد صنف الرومان هذه المنطقة إلى إقليمين: إقليم غالية ما وراء جبال الألب (Gallia transalpine)، و تقطنها مجموعات سكانية متعددة، أهمها الكلت (les celtes)، وكان غاليو هذا الإقليم قد ساندوا حنبعل أثناء حملته الثانية ضد روما خلال الحرب البونية الثانية. حول الرومان هذا الإقليم رسميا إلى مقاطعة رومانية بعد الحرب التي قادها يوليوس قيصر ضده سنة 51ق. م، وأنشأ به العديد من المدن أهمها ليون (Lyon).

أما الإقليم الثاني فيشمل غالة القريبة (Gallia cisalpine) والواقعة ما بين الألب و الأبينين (Les Apenins)، أخضعها الرومان إلى سلطتهم بداية من القرن الثالث قبل الميلاد، وكان اندماجها في ايطاليا سريعا، تحولت إلى مقاطعة رومانية سنة 81 ق. م لتدمج في ايطاليا بشكل نهائي بداية من سنة 42 ق. م حول الموضوع أنظر:

-Fredouille (J.C.),op.cit., pp.69-70.

(3)- يبدو أن السياسة الإفريقية التي انتهجها الملك يوبا الأول كانت وراء اختلافه مع الحكام الموريطانيين الذين لم يكن لديهم نفس الطموح الذي راود يوبا الأول لبناء مملكة قوية مستقلة عن الهيمنة الرومانية ، أنظر: قداش محفوظ، المرجع السابق، ص. 108.

(4) - Gsell (S.) ,H.A.A.N.,T.VII,293.

(5)- يعتبر كوريون(curion)أحد القادة الأوفياء ليوليوس قيصر ، حيث كان إلى جانبه في حرب غاليا واسبانيا، عرف كوريون على غرار كل الرومان بحقده الدفين على نوميديا، فقد اقترح على مجلس الشيوخ مشروع قانون يتضمن إلحاق نوميديا إلى الأراضي الرومانية ، قبل الصراع بين قيصر وبومبيوس. و يبدو و أن ذلك ما جعل قيصر يكلف بقيادة العمليات العسكرية باسمه في افريقيا، قبل انتقاله إليها شخصيا. رغم أن كوريون لم يكن ذو كفاءة عسكرية فائقة مثل كفاءته السياسية. أنظر:

- Gsell (S.),H.A.A.N.,T.VII,295;

- ابراهيم نصحي تاريخ الرومان من أقدم العصور حتى 133 ق.م، ج2 ، مكتبة الأنجلو- مصرية، القاهرة، 1983، ص.629.

(6)- أتيوس فاروس (Attius Varus) :أحد القادة العسكريين الرومان ، تحالف مع بمبيوس ضد قيصر أثناء الحرب الأهلية

كاتو[1] بصيقلية نزل كوريون برأس بون (شمال شرق تونس) وحاصر أوتيكا، وحينها تنقل يوبا الأول بنفسه لنجدة فاريوس حاكم أوتيكا والانتقام من كوريون الذي طالب في إحدى جلسات مجلس الشيوخ ضم نوميديا إلى الأراضي الرومانية[2].

وفي أثناء المعركة حقق جيش كوريون انتصارا جزئيا استدرجه يوبا وجيشه حيث الموقع الملائم له، وكاد أن يبيده عن آخره، وحينها طلب يوبا الأول برأس كوريون نفسه، وعند مقتله جيء برأسه إلى الملك يوبا الأول الذي دخل أوتيكا منتصرا[3] وعندما بلغت أخبار تلك المعركة بومبيوس منح مجلس الشيوخ الموالي له لقب حليف الشعب الروماني للملك النوميدي، في حين قرر مجلس الشيوخ الموالي لقيصر أن يوبا الأول وبومبيوس ألد أعداء الشعب الروماني[4].

بعد مقتل كوريون وهزيمة أنصار قيصر في إفريقيا تعاظم شأن الملك النوميدي في أعين النوميديين والرومان على حد سواء، والظاهر أن الرومان (البومبيين) عندما شاهدوا كفاءة الجيش النوميدي أصبحوا يراهنون عليه لقهر أنصار قيصر فأطلقوا وعودا لتحفيز الملك النوميدي على الوقوف إلى جانبهم في المعارك المقبلة من ذلك :

1- فتح المقاطعة الرومانية بإفريقيا للنوميديين في حال انتصارهم على عدوهم اللدود قيصر.

2- تقديم يد العون للملك يوبا الأول لأجل أن يصك عملة خاصة به سنة 49 ق.م[5].

الإيطالية ، فر فاروس إلى المقاطعة الإفريقية واستطاع الإطاحة بحاكمها توبيرون (Tubéron) المقيم في أوتيكا و الذي كان واليا لقيصر. باستلائه على أوتيكا جعل فاروس من إفريقيا مقاطعة مستقلة عن سلطة مجلس الشيوخ الروماني، فانظم إليه يوبا الأول كحليف إلى جانب بومبيوس ضد قيصر أنظر:
- Lacroix (M.L.), op.cit.,p.47- 48.

(2)- كاتو حفيد كاتو الأكبر الذي ارتبط اسمه بتدمير قرطاجة سنة 146 ق.م، عين حاكما على صقلية وساند بومبيوس ضد قيصر وقد أسندت له مهمة الدفاع عن مدينة أوتيكا، ضد قيصر. ومات منتحرا بعد هزيمته اتباع بومبيوس أمام قيصر ولقب بكاتو الأوتيكي تمييزا له عن جده كاتو الأكبر أو الرقيب. انظر: عبد اللطيف احمد علي، التاريخ الروماني ،عصر الثورة من تيبيريوس جراكوس إلى أكتافيوس أغسطس، دار النهضة العربية للطباعة و النشر ، بيروت،لبنان ،بدون تاريخ، ص 278.

(3) - Gsell (S.) ,H.A.A.N.,T.VII,P.295 .

(4)- شارل آندري جوليان، المرجع السابق، ص. 164.

(5) - Berthier (A.), La Numidie,Rome et le Maghreb,…, p. 83; Decret (F.) et Fantar (M.), op.cit., p. 152.

(5)- غانم محمد الصغير، مقالات وآراء...، ص. 192.

ومما حفز الملك يوبا الأول للاستمرار في مناصرة حزب البومبيين كون قيصر يتزعم حزب العامة ذو التوجهات التوسعية، من ثمة مناصرة النوميديين لأنصار بومبيوس يكونون قد اختاروا أهون الشرين[1].

لقد انتقل معظم أنصار بومبيوس إلى شمال إفريقيا بعد مقتل زعيمهم في معركة فارسالوس في جوان 48 ق.م[2]، وبدأوا يحضرون أنفسهم لخوض معارك أخرى أكثر ضراوة، فتمكنوا في فترة قصيرة من جمع 40.000 جندي من المشاة و 15.000 فارس إضافة إلى قوات يوبا الأول المعتبرة وتمركزوا جميعا حول أوتيكا[3].

وأمام التطورات الخطيرة في الجبهة الإفريقية قرر قيصر الذهاب بنفسه إلى إفريقيا لإخماد الحرب هناك والقضاء على معارضيه البومبيين، فبعد إقامته في مصر مدة 09 أشهر انتقل إلى روما لإخماد نار الاضطرابات الاجتماعية ثم أبحر باتجاه إفريقيا حيث نزل بالقرب من حادرومات (Hadrumète)[*] يوم 28 ديسمبر 47 ق.م بجيش قوامه 10 كتائب تظم 60.000 جندي و 15.000 فارس[4].

بعد وصوله إلى السواحل الإفريقية حاول قيصر السيطرة على حادرومات (سوسة) لكنه لم يتمكن من دخولها نظرا لمناعة حصونها، فتراجع إلى بروسبينا (Pruspina)[5]

أين تعرض لهجمات عديدة من قبل البومبيين خاصة من قبل لابينوس (Labienus)[**] الذي كان يقود 10 آلاف جندي معظمهم من النوميديين[1] وقد حوصر

---

(1)- شنيتي محمد البشير، سياسة الرومنة...، ص . 62.

(2)- حارش محمد الهادي، التطور السياسي...، ص . 76.

(3) - Gsell (S.),H.A.A.N.,T.VII, pp.39-40

(*) - حادرومات أو حادروماتوم (Hadrumatum): هي مدينة سوسة الحالية، و التي تقع على الساحل الشرقي التونسي ، تعتبر من أهم و أقدم المستوطنات الفينقية في غربي المتوسط وازدهرت بفعل التجارة بعد القرن السادس قبل الميلاد ، ورغم الصلات التجارية و لاقتصادية التي كانت تربطها بقرطاجة، إلا أنها كانت تتمتع باستقلالية كيانها ولو بصورة غير تامة ...أنظر : محمد أبو المحاسن عصفور ، المرجع السابق، ص. 68.

(4) - Decret (F.) et Fantar (M.), op.cit., p .151.

(5) - بروسبينا : هي حسب اعتقاد ش.أ.جوليان هنشير تنير قرب مدينة المونيستير بتونس الحالية... أنظر : شارل آندري جوليان،المرجع السابق، ص.166.

قيصر في موقعه بعد وصول ميتيلوس سيبيون بثمانية كتائب و 3.000 فارس ويوبا الأول مع جيشه النوميدي[2] إلا أن تحالف سيتيوس (Sittius)[3] مع بوكوس الثاني واستيلائه على سيرتا جعل يوبا الأول يتراجع لحماية مملكته من بطش المغامر الإيطالي سيتيوس الذي كان يقود عصابة المرتزقة القراصنة في البحر المتوسط وكان قيصر قد أغراه مع بوكوس الثاني واستيلائه عل سيرتا جعل يوبا الأول لحماية مملكته من المغامر الإيطالي سيتيوس الذي كان يقود عصابة من المرتزقة القراصنة في البحر المتوسط[4]. وكان قيصر قد أعراه مع بوكوس الثاني بأن يكون لهما نصيب بعد القضاء على خصومه البومبيين غير أن موقف بوكوس الثاني من يوبا الأول جاء مخيبا لأمل الطامحين إلى التحرر من النوميديين، بل ساهم بشكل كبير في إنهاء الكيان النوميدي، وبذلك سار بوكوس الثاني على نهج بوكوس الأول مفضلا استمرار العلاقة الحسنة مع الرومان على مناصرة بني جلدته النوميديين[5].

لقد انتهج قيصر سياسة محكمة مكنته من تحقيق أهدافه فسعى إلى تشتيت صفوف خصومه، كما أوجد لنفسه حلفاء يستخدمهم عند الحاجة، فعندما حوصر في روسبينا انتظر وصول الإمدادات لينتقل إلى موقع يشرف على أوزيتة (Uzitta) التي كانت تعسكر فيها فرقة من مناصري بومبيوس يقودها سيبيون[6]. وكان قيصر يأمل في

(**) - لابينوس تيتوس(Labienus Tittus): أحد القادة العسكريين الرومان، شارك بصورة فعالة إلى جانب قيصر أثناء حربه على غالة قبل أن يتخلى عنه و يساند بومبيوس عندما قدم قيصر إلى إفريقيا... أنظر : حارش محمد الهادي، التطور السياسي...، ص.89 .

(1) - Cesar (J.), La guerre d'Afrique, trad.A.Bouvet, éd.les belles-lettres, coll.P.U.F, Paris,1949.LIV.VII.

(2) - Cesar (J.), La guerre d'Afrique, XX.

(3)- سيتيوس (P.Sittius) مغامر إيطالي وزعيم عصابة من المرتزقة كانت تمارس القرصنة في الحوض الغربي للبحر المتوسط ، بعد تراجع مكانته رأى أنه من الأجدر به أن يذهب إلى أفريقيا محاولة منه لانقاذ نفسه من فضيحة الافلاس . وهناك خاض الحرب مناصر ليبوليوس قيصر الذي وعده بأن يكون نصيبه وافر بعد تحقيق النصر على بومبيوس و يوبا الأول... حول الموضوع أنظر:
- Decret (F.) et Fantar (M.) ,op.cit.,p.157.

(4)- غانم محمد الصغير، مقالات وآراء...، ص ص . 193- 194.

(5)- شنيتي محمد البشير ، سياسة الرومنة...، ص ص . 62- 63.

(6)- سيبيون ميتيلوس حفيد سيبون نازيكا جاء إلى إفريقيا مناصرا لبومبيوس، و ساهم في جمع الجند والذخيرة لحليفه رغم كثرة أخطائه و تقديراته لجيش خصمه ...أنظر:

خروج قوات سيبيون من موقعها المحصن ومواجهته، إلا أنه فشل في الإيقاع بسبيون الذي تدعمه قوات لابينوس فاضطر قيصر إلى الانسحاب إلى منطقة آغار (Aggar)[*] في فيفري 46 ق.م[1].

لم يستطع قيصر أن يستدرج سيبيون خلال 04 أشهر التي قضاها في ضواحي آغار فرحل فجأة في بداية أفريل 46 ق.م إلى رأس ديماس (Ras Dimas) قرب تابسوس (Thapsus)[2].

وفي 06 أفريل 46 ق.م قام قيصر بهجوميين كاسحين، حيث هزم في الأول جيش سيبيون وشتته، أما الثاني فكان على البرزخ الشمالي الذي كان يعسكر فيه العاهل النوميدي والقنصل الروماني أفرانيوس (L.Afranius) قاده قيصر بنفسه وسحق خلال هذا الهجوم خصومه حيث تجاوز عدد قتلاهم 10 آلاف[3].

استطاع في نفس الوقت سيتيوس أن يهزم الجيش النوميدي المكلف بحماية سيرتا وكاد أن يبيده[4].

بانتصار قيصر في تابسوس تشتت من بقي من خصومه البومبيين أما العاهل النوميدي يوبا الأول فقد استطاع الفرار والوصول إلى عاصمته زاما حيث كان يسير ليلا ويتخفى نهارًا، لكن الفاجعة كانت كبيرة والمصاب جلل عندما رفضت المدينة أن تفتح أبوابها

- Lacroix (M.L.), op.cit.,p.50.

[*]- آغار تقع قرب قصور الساف على بعد 10 كم جنوب غرب المهدية (تونس)، أنظر : شارل آندري جوليان، نفسه.

(1) - Carthy (M.), Etudes critiques sur la géographie comparée et la géographie positive de la guerre d'Afrique de Jules César, R. Afr., T.9, 1865, pp . 430-458.

(2)- تابسوس (THAPSUS) مدينة محصنة طبيعيا تقع حسب ف. دوكري و م. فنطر في شمال شرق الساحل التونسي ، تتصل ببرزخين (Deux Ishmes) يؤديان إليها وتتوسطها سبخة يطلق عليها اسم مكنين (Moknine) . وتتمثل حصانتها الطبيعية في كونها لا يمكن الوصول إليها برا إلا عبر البرزخين المشار إليهما. إذ يقع أحدهما شرق سبخة مكنين و الثاني شمالها، و يبدو أن قيصر تمكن من التسلل أثناء الليل إلى البرزخ الشرقي و أقام التحصينات التي رآها كفيلة بإعاقة هجمات خصمه...لمزيد من المعلومات انظر : ابراهيم ،نصحي المرجع السابق ، ص. 660؛
- Decret (F.) et Fantar (M.) ,op.cit., p.154.

(3) - César (J.), La guerre d'Afrique, LXXXV.

(4) - Decret (F.) et Fantar (M.), op.cit., p.156.

للملك المنهزم[1]. في حين استقبل سكان زاما الإمبراطور المنتصر استقبالا باهرا[2] وما كان على يوبا الأول الذي فقد مملكته ورفضت عاصمته أن تفتح أبوابها له، كما رفضت أن تسلمه أفراد عائلته وهو الذي كان يحلم بأن يجعل من نوميديا مملكة مستقلة تمتد من خليج سرت إلى نهر الملوية، اختار أن يموت على أن يكون أسيرا لدى قيصر. فانتحر مسموما رفقة رفيقه بيتريوس (M.Petreius) وهو أحد البومبيين[3].

2. نتائج مقاومة يوبا الأول على نوميديا :

بعد انتصاره في حرب إفريقيا سنة 46 ق.م قام يوليوس قيصر بإجراءات عديدة كانت لها انعكاسات خطيرة ليس على نوميديا فحسب بل على كامل التراب المغاربي القديم، ويمكن تحديد تلك الانعكاسات في التغييرات التالية :

1- قام الإمبراطور يوليوس قيصر بإزالة المملكة النوميدية وجعل منها مقاطعة رومانية باسم إفريقيا الجديدة (Africa Nova) للتمييز بينها وبين ولاية إفريقيا الرومانية التي أصبحت تدعى إفريقيا القديمة (Africa vetus)، وقد عين على رأس الولاية الجديدة سالوستيوس ليكون أول حاكم لإفريقيا الجديدة برتبة بروقنصل (Proconsul) ويفصل بين الإفريقيتين الخندق الذي وضعه سيبيون الإميلي غداة تدمير قرطاج سنة 146 ق.م والمعروف باسم الحفر الملكية (fossa regia)[4]. أما من جهة الغرب فنجد حدود الولاية الجديدة تمتد عبر الخط المار بين هيبوريجيوس (عنابة) وروسيكادا (سكيكدة) وينحدر نحو الجنوب غربي كالاما (قالمة) ثم باتجاه الجنوب الشرقي ليصل إلى كابسا (قفصة) [5].

---

(1) - César (J.), La guerre d'Afrique, XLVI

(2) .- Berthier (A.), La Numidie…, pp 87- 88.

(3) - Decret (F.) et Fantar (M.), op.cit., p .156.

(4) – الحفر الملكية (Fossa Regia) : قام القائد الروماني سيبيون الإيميلي رفقة الموظفين العشرة الذين أوفدهم مجلس الشيوخ الروماني إلى إفريقيا بوضع الحدود الخاصة بالولاية الرومانية المنشأة في الأراضي الإفريقية بعد تدمير قرطاجة سنة 146 ق.م وذلك بحفر خندق يمتد من طبرقة على الساحل المتوسطي إلى خليج قابس وذلك لعزل الولاية الرومانية عن باقي إفريقيا ... ولمزيد من المعلومات أنظر :

- Chaligne (C.), «Occupation romaine de l'Afrique », R.S.A.C., (1921-1922), pp.13-19.

(5)- شارل آندري جوليان، المرجع السابق، ص .168.

2- منح قيصر الإقليم الشمالي الغربي من المملكة النوميدية إلى سيتيوس ومرتزقته، يمتد شمالا من مصب وادي لمساقة (L'Ampsaga) الوادي الكبير حاليا إلى الحدود الغربية للولاية الرومانية (إفريقيا الجديدة)، ويمتد في الأراضي الداخلية التي تشمل سيرتا، سكيكدة (Russikade)، القل(Chullu)، وميلة (Milev). إلا أن هذه المدن التي شكل فيها سيتيوس ما يعرف بالإتحاد السيرتي ألحقت بإفريقيا الجديدة بعد مقتله سنة 44 ق.م[1].

3- بالإضافة إلى ما انتزعه قيصر لصالح سيتيوس، منح بوكوس الثاني هو الآخر حقه جراء مساندته لقيصر ووقوفه ضد يوبا الأول حيث منحه قيصر الجزء الغربي من نوميديا، فأصبحت مملكته تمتتد إلى غاية مصب وادي لمساقة شرقا وبالتالي يكون بوكوس الثاني وسيتيوس قد اقتسما ما تبقى من نوميديا[2].

4- استغلال الجالية الرومانية لثروات البلاد لاسيما المرتزقة الذين استقدمهم سيتيوس في المدن التي منحها له قيصر وتوطينهم هناك، مما مهد لمرحلة الاستيطان الواسعة التي ستشهدها فترة حكم كل الإمبراطور أوكتافيوس (أغسطس)[3].

5- بعد انتصار يوليوس قيصر في حرب إفريقيا (Bellum Africum)، قضى على الدولة الإقليمية في المملكة النوميدية التي كان آخر ملوكها يوبا الأول، حيث ضم قيصر مملكة نوميديا إلى الممتلكات الرومانية ومنح سيتيوس وأتباعه الإقليم المشار إليه آنفا، أما الباقي فكون منه الولاية الرومانية الجديدة التي أطلق عليها اسم إفريقيا الجديدة (Africa Nova) وكانت عاصمتها سيكا فينيريا (Sicca Veneria) (الكاف) حاليا[4]

ورغم النتائج الوخيمة التي حملتها حرب قيصر الإفريقية والتي أدت إلى مزيد من التفكك في المغرب القديم، إلا أن روح المقاومة لم تمت، فقد استغل السكان أول فرصة متاحة للثورة ضد الواقع الذي فرضته ترتيبات قيصر، فاستغلوا الأحداث التي تلت

(1) - Decret (F.) et Fantar (M.), op.cit., p .157.

(2) - Ibid, p .158.

(3)- غانم محمد الصغير، مقالات وآراء...، ص . 195.

(4) - Chaligne (C.),op.cit., p. 19.

اغتيال قيصر سنة 44 ق.م لتدعيم العمل الثوري الذي قاده أرابيون (Arabion)[1] ابن ماسنيسا الثاني ضد الاحتلال الروماني، حيث استغل هذا الأخير الصراع القائم بين حاكمي الولايتين الإفريقيتين القديمة والجديدة كل من ك.كورنيفيسيوس (Q.Cornificuis) حاكم إفريقيا القديمة و ت.سيكتيوس (T.Cextius) الذي خلف سالوستيوس على رأس إفريقيا الجديدة ليلبي طلب سيكتيوس بتقديم المساعدة لاستعادة منصبه الذي جرده منه مجلس الشيوخ بعد إعلانه الاعتراف بالحكم الثلاثي (Triumvirat) [*] الثاني، المعادي لمجلس الشيوخ حيث حاول حاكم إفريقيا القديمة توحيد الولايتين بطلب من مجلس الشيوخ، وانتهز أرابيون تلك الفرصة لبدأ الحرب مدعما بفرسان نوميديا، حيث قام بقتل سيتيوس سنة 44 ق.م وإبعاد المستوطنين من سيرتا كما استطاع أرابيون طرد جيش بوكوس الثاني من نوميديا الغربية[2].

إن السرعة التي تحرك بها أرابيون والكفاءة العالية التي أظهرها مع أعدائه جعلت سيتيوس يتخوف من أن ينقلب عليه بعد توطيد دعائم دولته بدوافع إقليمية. مما جعل الحاكم الروماني حليف أرابيون يقرر وضع حد لحياة الأمير النوميدي من خلال تدبير مكيدة مفادها تعاون أرابيون مع حاكم إفريقيا الجديدة المعين من قبل مجلس الشيوخ[3]. ذلك ما دفع ببعض المؤرخين ألا يبرؤوا يد بوكوس الثاني من دم أرابيون ، ثم إن ولائه لقيصر استمر مع زعيم القيصريين الجديد أوكتافيوس[4] الذي انتقل إليه الحكم سنة 36 ق.م، ومنحه مجلس الشيوخ

---

(1)- يبدو وأن الأمير أرابيون الذي انتقل إلى اسبانيا مع البومبيين بعد انهزامهم أمام قيصر، قد استفاد من خبرته العسكرية والسياسية حيث تفطن إلى أهداف السياسية الرومانية في المنطقة المغاربية ، فأصبح يترقب الأحداث الجارية و يتحين الفرصة الموالية للانقضاض على الرومان، واسترجاع مملكة آبائه، فحاول بعد الصراع الذي نشب في صفوف الرومان الاستفادة منه. ذلك أنه رجح الكفة لصالح حاكم إفريقيا الجديدة بعد أن أوشك هذا الأخير على الهزيمة سيما أن مجلس الشيوخ قد جرده من مهامه .على اثر مساندته للحكم الثلاثي ... حول الموضوع أنظر:

- Gsell (S.),H.A.A.N.,T.VIII,P.185.

(*) - تشكل الحكم الثلاثي (Triumvirat) الأول سنة 60 ق.م وضم كل من بومبيوس، قيصر، وكراسوس، أما الثاني فقد تشكل سنة 43 ق.م وضم كل من : أوكتافيوس (Octave) وأنطونيوس (Antoine) ولبيديوس (Lépide) وكلفوا بمهمة الحكم لمدة خمسة سنوات، ولكنهم دخلوا في صراع انتهى بسيطرة أكتافيوس على الحكم وتنصيبه إمبراطورا سنة 29 ق.م باسم أغسطس (Auguste)، أنظر :

- Fredouille (J.C.), op.cit., pp .161, 162.

(2) - Gsell (S.), H.A.A.N., T.VIII, p.185.

(3) - Gsell (S.) , H.A.A.N., T.VIII, p . 196.

(4) -شنيتي محمد البشير ، سياسة الرومنة...، ص ص . 70- 71.

الروماني لقب أغسطس سنة 27 ق.م، فوحد المقاطعتين الإفريقيتين في ولاية واحدة أطلق عليها اسم إفريقيا البروقنصلية (Africa Proconsularia). [1]

(1) - Gsell (S.) , H.A.A.N., T.VIII, p . 196

الفصل الثالث : مقاومة الأوراس والتخوم الصحراوية.

1. النظام الإداري الروماني في نوميديا.
2. النظام العسكري الروماني في نوميديا.
3. انتفاضة القبائل الجيتولية في الجنوب النوميدي.
4. انتفاضة الأوراس بقيادة تاكفاريناس 17-24 م.

أ- المجال الجغرافي للانتفاضة.

ب- استراتيجية الانتفاضة.

ج- أسباب الانتفاضة.

د- مراحل الانتفاضة.

1- مرحلة جس النبض.

2- مرحلة التوازن (الند للند).

3- مرحلة التراجع.

4- نتائج فشل تاكفاريناس.

مقاومـــة الأوراس والتخـــــوم الصحـــراوية.

1. النظام الإداري الروماني في نوميديا :

بعد انفراده بالحكم كما أسلفنا الذكر سنة 29 ق.م أصبح أكتافيوس سيد الإمبراطورية الرومانية. وفيما يتعلق بسياسته الإفريقية فقد ضم أراضي إفريقيا الجديدة (Africa Nova) سنة 27 ق.م إلى أراضي إفريقيا القديمة (Africa vetus) ليشكل منهما مقاطعة واحدة والتي ستحمل فيما بعد اسم المقاطعة البروقنصلية (Provincia proconsulairis)[1].

لقد أسند الحكم في تلك المقاطعة إلى أحد القناصل السابقين، الذي كان برتبة بروقنصل (Proconsule) وقد خول له الإمبراطور المهام المدنية والعسكرية في المقاطعة التي يتواجد بها جيش الفيلق الأغسطي الثالث (La legion III Augusta)[2].

واستمر البروقنصل مضطلعا بالمهام المدنية والعسكرية خلال فترة حكم الإمبراطورين أغسطس وتيبيريوس (Tebirius)[*]. وبتولى كايوس قيصر (المعروف بكاليجولا)[**] الحكم سنة 37 م حول السلطة العسكرية لحاكم عسكري برتبة لقاتوس

---

(1)- يأتي إنشاء مقاطعة إفريقيا البروقنصلية في إطار عملية إعادة تقسيم وهيكلة المقاطعات الرومانية، التي باشرها الإمبراطور أكتافيوس، غداة بسط سلطته على كامل الإمبراطورية، وقد أسند أمر الإشراف عليها إلى مجلس الشيوخ، نظرا للطابع المدني الذي ميز نظام حكمها. وشملت هذه المقاطعة مساحة معتبرة من الأراضي، حيث امتدت من خليج السرت شرقا إلى الحدود الغربية لإفريقيا الجديدة Africa) (Nova ، التي اقتطعها يوليوس قيصر من مملكة يوبا الأول، ومنحها للمغامر الإيطالي سيتيوس ومرتزقته، وبذلك تكون قد ضمت شمال غربي ليبيا الحالية، وكل الأراضي التونسية، زيادة على المناطق الشرقية للجزائر... لمزيد من المعلومات أنظر:

- Decret (F.) et Fantar (M.), op.cit., pp. 188-189; Arthur Pellegrin, op.cit., p. 73.

(2)- يبدو من خلال اسناد الرومان الحكم في المقاطعة البروقنصلية إلى القناصل السابقين، الطابع المدني لنظام الحكم في المقاطعة رغم تولي البروقنصل المهام العسكرية، إلى جانب المهام المدنية، وذلك يعود إلى خضوع المقاطعة لإشراف مجلس الشيوخ، بدلا عن الإمبراطور، إلى جانب إنضواء بعض المدن التابعة لها تحت لواء الرومان، مما أتاح فرصة استقرار الأوضاع السياسية والأمنية بها، وبالتالي توجيه نشاط المؤسسة العسكرية إلى مناطق الجنوب الغربي في المملكة النوميدية... حول الموضوع أنظر:

- Lacroix (M.L.), op.cit., p. 74.

(*) - تيبيريوس كلوديوس نيرو (Tib. Claudius Niro) ، عاش في الفترة ما بين 42 ق.م إلى 37 بعد الميلاد، بدأ تيبريوس حياته السياسية والعسكرية وهو صغيرا حيث أسند له حكم مقاطعة إسبانيا سنة 26 ق.م، وأسند له الإمبراطور أغسطس مهام سياسية وعسكرية في مختلف مناطق الإمبراطورية، كالألب (Les Alpes)، غالة (La Gaule)، آرمينيا (Arménie)، وهناك لمعت قدراته في إدارة تلك المهام ، فنال ثقة الإمبراطور الذي زوجه في سنة 12 ق.م ابنته جوليا (Julie)، أرملة أجريبا (Agrippa)، وهو أحد القادة العسكريين الأوفياء لأغسطس، وفي سنة 7 ق.م أنتخب قنصلا للمرة الثانية، غير أنه اختار المنفى الإرادي في رودس (Rhodes) بسبب خلافاته العائلية. وعند عودته من المنفى تبناه أغسطس وذلك سنة 4 بعد الميلاد. وبعد وفاة هذا الأخير سنة 14 للميلاد خول مجلس الشيوخ تيبريوس الصلاحيات التي استجمعها الإمبراطور أغسطس، وبذلك يخلفه على عرش الإمبراطورية الرومانية... لمزيد من المعلومات أنظر:

- Piganiol (A.), Histoire de Rome, presses universitaires de France, Paris, 1962,pp.243-247.

(**)- كاليجولا: هو كايوس قيصر، أحد أشهر الأباطرة الرومان، ولد في مدينة أنتوم(Antum) ، وتربى في بيت ملكي باعتباره نجل الإمبراطور نيرو كلوديوس جيرمانيكوس (Nero. C. Germanicus)، إبن الإمبراطور تيبريوس بالتبني، تربى كاليجولا بين افراد الجيش إعدادا له لتولي الحكم. وأطلق عليه الجنود هذا الإسم منذ صباه ومعناه " الحـــذاء"
سخرية منه، وظل يحمل هذا الإسم إلى غاية إغتياله من قبل أحد حراسه سنة 41 للميلاد. وكان كاليجولا قد تولى عرش الإمبراطورية الرومانية سنة 37 للميلاد، وتميز حكمه بالقسوة والإستبداد، فتصور نفسه إله، متأثرا على ما يذكر بعض المؤرخين بملوك مصر الفرعونية... لمزيد من المعلومات أنظر:

- Guey (J.), Les bains d'or de Caligula, M.E.F.R.A., N°2,Vol.89, (1977), pp.443-446.

(Legatus) استحدث منصبه الإمبراطور نفسه وقد أشار إلى ذلك تاكيتوس (Tacite) من خلال النص التالي : **" كانت الكتيبة المرابطة ومعها الفرق المساعدة من الجيش مكلفة بمهمة حراسة الحدود، هناك ووضعت في عهد الإمبراطور أغسطس والإمبراطور تيبيريوس تحت سلطة البروقنصل. وبوصول كايوس قيصر (Caius Cesar) المعروف بكاليجولا، أعفى البروقنصل من قيادة الكتيبة وأخضعها لسلطة الحاكم (Legatus) الذي استحدث منصبه لهذا الغرض، وقد قام الإمبراطور بهذا الإجراء تخوفا من البروقنصل المعين لإدارة شؤون البروقنصلية وهو ماركوس سيلانوس (Marcus Silanus) كما قسم المهام بين البروقنصل والحاكم (Legatus) بالتساوي ولكن تلك المهام لم تحدد بدقة فهي متداخلة في بعض الأحيان، وذلك ما كان سببا لخلافات متكررة بين الحاكمين..."**[1].

نستنتج من خلال نص تاكيتيوس[*] أن البروقنصل انفرد بالسلطتين المدنية والعسكرية قبل مجيء الإمبراطور كاليجولا إلى الحكم سنة 37 م. وبعد ذلك انتزعت المهام العسكرية منه ويمكن أن نتفهم الأسباب التي جعلت كاليجولا يقدم على قراره ذاك بالنظر إلى سلطة البروقنصل التي تبدو مطلقة وإشرافه على الجيش قد يولد تخوف الإمبراطور من أن ينفرد البروقنصل بحكم إفريقيا ثائرا ضد سلطة الإمبراطورية فيستقل بولاية غنية اقتصاديا ويحرم بذلك روما من أهم مصدر للقمح[2].

وبذلك، لا نستبعد أن يكون من أسباب الخلافات التي تحدث عنها تاكيتوس بين الحاكمين : التنافس حول السلطة في المقاطعة بينهما لا سيما أن هناك صلاحيات متداخلة لم

---

(1) - Tacite, Histoires, T.2, Trad. Henri Goelzer, Paris, 1956, LIV.IV, 48, 3-6.

(*) تاكيتوس: ب. كورنيليوس تاكيتوس (P. Cornelius Tacitus) كاتب ومؤرخ لا تيني، ولد ما بين سنتي 55و 57 بعد الميلاد في غالة، ويظهر أنه ينتمي إلى عائلة رومانية مهاجرة إلى مقاطعة غالة، أبوه ينتمي إلى طبقة الفرسان. درس تاكيتوس القانون، فاشتغل في القضاء والمحماة، ومكنه زواجه من ابنة أجريكولا (Agricola)، حاكم بريطانيا من تولي مختلف المناصب السياسية والإدارية. انتخب سنة 97 م قنصلا، فاتجه نحو الكتابة والتأليف حيث ألف في بداية الأمر بيوغرافيا عن صهره: حياة أجريكولا (La vie d'Agricola) ، ثم ألف كتابا حول شعوب وجغرافية منطقة الراين تحت عنوان جيرمانيا (Germanie) ، أما أشهر مؤلفاته فهي كتاباه: الحوليات والتاريخ. ففي كتاب الحوليات (Les Annales) الذي ألفه سنة 110 يروي فيه تاكيتوس الأحداث التي عرفتها الإمبراطورية الرومانية من وفاة أغسطس إلى اعتلاء نيرون عرش الإمبراطورية الرومانية، أما كتاب التاريخ (Histoires) فتناول فيه أحداث الفترة من وفاة نيرون إلى وصول دوميسيان (Domitien) إلى الحكم. وتوفي تاكيتوس حوالي سنة 120 للميلاد... لمزيد من المعلومات أنظر:

- Chevallier (R.) ,Dictionnaire de la littérature latine, éd. Larousse, France, 1968, pp.231-233

(2) - بوعيزم عبد القادر، المرجع السابق، ص ص . 86- 76.

تحدد بدقة، كما لا نستبعد دور الإمبراطور في إذكاء الصراع والخلاف بين الحاكمين حتى يكون أحدهما مراقب للآخر ويضمن بذلك عدم الاستقرار الذي يهيئ ظروف التفكير في الانفصال لأحد الحاكمين.

هذا إلى جانب استعداد الإمبراطور لمرحلة تعد هامة في السياسة الرومانية، حيث سيحاول بسط نفوذه على كامل الشمال الإفريقي بعد اغتياله بطليموس (Ptolémée)[*] ملك موريطانيا القيصرية سنة 40 م وإلحاق مملكته بالإمبراطورية الرومانية. بذلك يضع حدا للحماية المفروضة على مملكة موريطانيا[1].

لذلك كان لا بد على الإمبراطور اختيار قائد عسكري خبير بالشؤون الحربية وله قدرة على التحكم في الجيش على رأس القوات الرومانية المتواجدة في إفريقيا سنة 39 م.

وفيما يتعلق بإدارة المناطق الداخلية بالولاية البروقنصلية بما فيها نوميديا السابقة (إفريقيا الجديدة) فيبدو أن الإدارة الرومانية حاولت تطوير المدن والبلدات الداخلية بشكل موجه نحو توطين العناصر الرومانية من أجل تكريس رومنة المدن الإفريقية بحيث تساير تطور المدن مع وضعية الاندماج التدريجي لمجموع السكان القاطنين في البلدات الخاضعة للسلطة الرومانية عبر مراحل ثلاث تمر بها. بدءًا بالبلدة الأجنبية (Piregeini) وصولا إلى البلدة الرومانية (Romani) مرورا بالبلدة اللاتينية (Latine)[2].

---

[*] - ولد بطليموس ابن الملك الموريطاني يوبا الثاني سنة 5 ق.م بعاصمة موريطانيا القيصرية شرشال (قيصرية)، وهو الابن الوحيد ليوبا الثاني وكليوباترا سيليني، شارك أباه في الحكم منذ صغره، فحمل لقب "ملك"، وتولى عرش موريطانيا القيصرية في نهاية سنة 23 م إثر وفاة والده، وحكم ما يربو عن 17 سنة، غير أنه لم يرث صفات والده، حيث كان ميالا للكسل، والخمول، واللهو، والتفاخر، فترك شؤون المملكة لحاشيته وعبيده، ورغم ذلك بقي وفيا للرومان، ذلك على ما يبدو ما جعل الرعية تثور ضده ، وتلتف حول الزعيم الموزيلامي تاكفاريناس. قتل الملك بطليموس سنة 40 م أثناء حضوره لحفل بمقاطعة غالة الرومانية، بأمر من الإمبراطور كاليجولا، الذي كان يحقد ويغار منه، حسب بعض المؤرخين، غير أن ذلك لا يمكن أن يخفي عزم الرومان إنهاء الكيان المغاربي، وذلك بضم موريطانيا وأملاك بطليموس إلى الأراضي الخاضعة للسلطة الرومانية المباشرة، وإيجاد الظروف الملائمة لإقامة استيطان دائم للعنصر الروماني ببلاد المغرب القديم، لحماية المصالح الرومانية في المنطقة، خاصة بعد اعتلاء كاليجولا عرش الإمبراطورية الرومانية... حول الموضوع أنظر:

- Rachet (M.), Rome et les Berbères…, pp. 126-127;

- شنيتي محمد البشير، الجزائر في ظل الاحتلال الروماني...، ج 1، ص. 61؛ محفوظ قداش، المرجع السابق، ص. 188.

(1) - Cagnat (R.), op.cit., p .25.

(2)- يحافظ السكان في البلدة الأجنبية على نمط حياتهم، وقوانينهم وتشريعاتهم المحلية، رغم خضوعهم لسلطة الرومان، ولا يتمتعون بحق المواطنة الرومانية إلا بعد الإندماج التدريجي لهم في الثقافة الرومانية، وذلك ماكنت المدن المستعمرة تصل=

ونلاحظ هذه السياسة في إدارة مختلف المدن النوميدية الخاصة بالاحتلال الروماني، فمدينة تيفست (Theveste) الرومانية تبسة الحالية عرفت تطورها الكبير تماشيا مع استغلال إمكانيات المدينة الزراعية بالخصوص.

حيث كانت تزود روما ومختلف المدن الرومانية بإفريقيا بمحاصيل القمح والشعير والكروم المستخدمة في صناعة الخمور، إضافة إلى الزيتون وزيت الزيتون، ومن ثمة شجعت السلطات الرومانية حركة تعمير المدينة فأنجزت مختلف المرافق المعروفة في المدن الرومانية[1].

هذا ما يعني أن تيفست وصلت إلى المرحلة الأخيرة التي يجبر فيها السكان على التخلي عن تشريعاتهم الخاصة والإندماج بالتالي في القانون الروماني[2].

خاصة بعد إصدار الإمبراطور كاركلا[*] (212-217 م) لمرسوم يمنح حق المواطنة لجميع أحرار الإمبراطورية سنة 212 م، أي أن جميع السكان الأحرار لهم نفس الواجـــبات

= إليه بعد توافد العناصر الرومانية، من فلاحين وتجار وعساكر وغيرهم إلى تلك المدن، ويعملون على دمج العناصر المحلية في ثقافتهم، فتتحول تلك المدن الأجنبية إلى مدن لاتينية، ثم رومانية، إي تتم رومنتها بشكل كلى... لمزيد من المعلومات انظر:

122..- Lepelley (C.), Les cités de l'Afrique romaine au Bas-empire, T.2, Paris, 1978, p

(1) - De Roch (S.) , Tebessa antique Theveste, Les presses de l'imprimerie officielle, Alger, 1952, p. 12.

(2) - Lepelley (C.), op.cit., p . 123.

(*) - كاركلا: ولد كاركلا ابن سيبتيموس سيفيروس يوم 4 أفريل سنة 186 للميلاد بمدينة لوج دونوم (Lugdunum) ليون الحالية، عندما كان والده حاكما في غالة، اسمه الحقيقي سيبتيموس باسانيوس (SEPTIMIUS BASSANIUS)، وفي صغره عمد باسم لوكيوس سيبتيموس باسينيوس (Lucuis. Sept. Bassanuis). لقب بكركلا نسبة إلى نوع من اللباس الغالي (Gaulois) ، كان يلبسه منذ صباه. تولى عرش الإمبراطورية الرومانية سنة 212 للميلاد واشتهر بتشريعاته وقوانينه التي جاءت استكمالا لتشريعات والده، في إطار ما يعرف بالإصلاحات السيفيرية، وقد أصدر كركلا في سياق تلك الإصلاحات قرارا يمنح بموجبه حق المواطنة الرومانية لكل الأحرار في الإمبراطورية الرومانية، وذلك لتدعيم تحصيلاته في الجباية والضرائب، خاصة وأن جزءا هاما منها كان يخص المتمتعين بحق المواطنة ، إضافة إلى رغبته من خلال ذلك القرار، كسر شوكة كبار الأرستوقراطيين والأثرياء، وإضعاف سلطة الشيوخ في روما. ورغم انتمائه العرقي إلى إفريقيا إلا أن ثقافته وفكره لم يحد عن النطاق العام للسياسة الاستعمارية الرومانية. توفي كركلا مقتولا من قبل أحد القناصل ويدعى مارسياليس يوم 8 أفريل سنة 217 للميلاد... لمزيد من المعلومات أنظر:

- Albertini (E.), L'Afrique Romaine, Notes prises aux conférences, imprimerie orientale, Alger, 1922, pp. 56-58;

- مصطفى العبادي، المرجع السابق، ص ص. 149-151؛ غانم محمد الصغير، الإصلاحات السيفيرية " مدلولاتها وأهدافها"، (مجلة التراث)، ع.6، جمعية التاريخ والتراث الأثري، باتنة، الجزائر، سبتمبر 1993، ص ص. 8-17.

والحقوق التي يتمتع بها المواطن الروماني[1].

وقد ضمت المدن المرومنة هيئات تشرف على تسيير المدينة، أهمها مجلس البلدية والشيوخ. فالمجلس البلدي كان يشرف على مختلف النشاطات السياسية والاقتصادية والثقافية في المجال الجغرافي الذي تشرف عليه المدينة. كما يعد ميزانية المصاريف الخارجية بتلك النشاطات، في حين يتشكل مجلس الشيوخ من ممثلي الشعب، وقراراته نافذة. وتتفرع عن الهيئتين المشار إليهما عدة لجان فرعية مثلما هو معمول به في روما التي تحاول كل مدينة أن تكون صورة من روما[2].

2. النظام العسكري الروماني في نوميديا:

لقد قسم الرومان جيشهم في شمال إفريقيا إلى ثلاثة أقسام رئيسية[3] :

1- جيش إفريقيا ونوميديا Exercitus Africae

2- جيش موريطانيا القيصرية Exercitus Mauritanicus

3- جيش موريطانيا الطنجية Exercitus Tangis

تشرف على كل جيش قيادة عسكرية مستقلة في قراراتها التي تتخذها تبعا لوضعية الأمن في مقاطعتها، ما عدا الحالات الاستثنائية، حيث تدمج أكثر من قيادة واحدة تحت إشراف قائد واحد، إذا دعت الضرورة العسكرية لضمان وحدة الجيش وتفعيل أدائه العسكري في الميدان[4].

يشكل الفيلق الثالث الأغسطي عصب جيش إفريقيا ونوميديا[5]. وهو جيش نظامي على عكس جيوش المقاطعتين الموريطانيتين المكونة أساسا من الفرق المساعدة

---

(1) - De Roch (S.) , op.cit., p. 12.

(2) - Lepelley (C.) , op.cit., pp. 129-199.

(3) - Cagnat (R.) , op.cit., p. 93.

(4) - Albertini (E.) , L' Afrique Romaine…, p. 15.

(5) - استقر الفيلق الثالث الأغسطي كما هو معلوم في حيدرة (Ammaedara) شمال شرقي تبسة. عند تشكيله، وذلك للتصدي للهجمات التي كانت تطال المدن الداخلية والمستوطنات الرومانية من قبل القبائل الموزيلامية، المستقرة في الأوراس. واستغل الأباطرة السيفيريون إلى أبعد الحدود تواجد هذا الفيلق لإخضاع القبائل التي استعصت رومنتها، حيث

(Auxilia). حيث ضم هذا الفيلق إضافة إلى الجيش النظامي المتكون أساسا من الجنود الرومان أوالإيطاليين ذوي المواطنة الرومانية كتائب وفرق من المساعدين وقد أورد رونيه كانيا (R.Cagnat)[1] 3 كتائب و 10 فرق زيادة على كتيبتا نوميري (Numerus) وهي غير نظامية :

أ. الكتائب (Alas) :

1. كتيبة فلافيا Ala Flavia
2. كتيبة نوميديا Ala Numidarum
3. كتيبة بانوني Ala Pannoniorum

ب. الفرق (Cohors) :

1. الفرقة II أميوروم Cohors II Amiorum
2. الفرقة I شالكيدونيا Cohors I Chalcidenorum
3. الفرقة VI كومبانيا للفرسان Cohors VI Compagnorum Equitata
4. الفرقة III الفلافية للفرسان Cohors III Flavia Equitata
5. الفرقة II الأسبانية للفرسان Cohors II Hispanorum Equitata
6. الفرقة IV الأسبانية Cohors IV Hispanorum
7. الفرقة VII لوزيتانيا للفرسان Cohors VII Lusitanorum Equitata ؟
8. الفرقة النوريطانية ؟ Cohors Nuritanorum
9. الفرقة II المورية Cohors II Maurorum
10. الفرقة X جميلي تراكوم للفرسان Cohors Gemellae Thracum Equitata

---

عملوا على الإكثار من العناصر الإفريقية في الفيلق، وذلك لزرع التفرقة، وإذكاء الأحقاد والبغضاء، بين أبناء الوطن الواحد لتسهيل إخضاعهم ورومنتهم، وقد نجح الأباطرة السيفيريون في أفرقة الفيلق الأغسطي الثالث، إذ أصبح مجموع = = الأفارقة المجندون فيه خلال العهد السيفيري حوالي 93% من إجمالي الجيش، إلا أن السيفيريين لم ينجحوا في رومنة الأفارقة، حتى في مناطق التواجد الروماني... حول الموضوع أنظر:

- Boissiere (G.) , Esquisse d'une histoire et de l'administration Romaine dans le nord de l'Afrique,librairie Hachette,Paris,1878,pp.270-271;Decret(F.)et Fantar(M.),op.cit.,pp.189-190;

- البحيصي أحمد ، المرجع السابق، ص ص. 45-62.

(1) - Cagnat (R.) , op.cit., pp. 97- 98 .

جـ. كتيبتا نوميري (Numerus) :

1. كتيبة تدمر (سوريا) Numerus Palmyrenorum

2. الكتيبة المورية القيصرية Vexillatio militum Maurorum Caesariensium

أما فيما يتعلق بقيادة جيش إفريقيا ونوميديا فقد أسندت في البداية إلى البروقنصل، أي حاكم المقاطعة ثم انتزعها منه الإمبراطور كاليجولا سنة 37 م وأسندها إلى قائد عسكري (Legat) يتم تعيينه من قبل الإمبراطور نفسه[1].

ولم تسند بعد ذلك قيادة الجيش إلى البروقنصل إلا في حالات نادرة استثنائية[2]، وقد قدر المؤرخون عدد أفراد جيش إفريقيا ونوميديا بما يقارب 12 ألف جندي نظامي إضافة إلى جند القبائل الحليفة الذين كانوا يستدعون عند الحاجة لدعم جيش الفيلق الثالث الأغسطي عندما تقتضي الضرورة الأمنية، كما كان جيش القبائل الحليفة للرومان يشرفون على فرض الأمن في أقاليمهم بصورة دائمة. وقد شبههم الأستاذ شنيتي.م.ب. بـ "القوم" أثناء فترة الاحتلال الفرنسي حيث كانوا تحت قيادة "القياد"[3].

وفي ما يتعلق بتاريخ إنشاء الفيلق الثالث الأغسطي فهو غير معروف بالتحديد. إلا أن هناك من المؤرخين من يرجع تاريخ إنشائه إلى سنة 25 ق.م أثناء فترة حكم الإمبراطور أوكتافيوس (الملقب بأغسطس) من أجل استكمال السيطرة على كامل إفريقيا، وكذا حماية ظهر البروقنصلية من الجهة الغربية. ومنحه الإمبراطور لقب الأغسطي تشريفا له لانتصاراته الباهرة على النوميديين في إفريقيا[4].

---

(1) - Tacite, Histoires, T.2, IV, 48, 3-6.

(2) - Cagnat (R.), op.cit., p .115.

(3) -شنيتي محمد البشير، الجزائر في ظل الاحتلال الروماني...، ج. I، ص. 97.

(4)- يرى بعض المؤرخين أن إنشاء الفيلق الأغسطي الثالث يعود إلى الوضعية الاستثنائية التي كانت عليها المقاطعة الإفريقية، خاصة بعد التقسيم الجديد الذي أقره مجلس الشيوخ الروماني، في المقاطعات الخاضعة للإمبراطورية الروماني سنة 27 ق.م، حيث تم بموجب ذلك التقسيم إنشاء مقاطعة إفريقيا البروقنصلية، بضم إفريقيا القديمة إلى الجديدة وتوحيدهما في مقاطعة واحدة. ورغم الهدوء النسبي الذي ميز إفريقيا القديمة بعد هزيمة يوبا الأول إلا أن إفريقيا الجديدة لم تكن كذلك، حيث عرفت اضطرابات وتمردات عرقلت التوسع الروماني نحو المناطق الداخلية، مما استوجب إيجاد جيش نظامي ثابت يعمل على قمع أي حركة مناوئة للتوسع الروماني، وتدعيم ذلك الجيش بفرق مساعدة مشكلة من السكان المحليين العارفين بطبيعة مناطقهم الجغرافية وأهاليهم، حيث يصبحون تدريجيا أداة للاندماج في الحضارة الرومانية...لمزيد من المعلومات انظر:

- Boissière (G.), op.cit., pp.228-231 ; De Roch (S.), op.cit., pp. 09-11.

أما مصادر الجند فقد اتفق المؤرخون على أن أغلبية وحدات الجيش المساعد متشكلة من ذوي أصول غير إيطالية (رومانية) بسبب تناقص الذكور في إيطاليا بعد الحروب المدنية التي شهدتها إيطاليا (91-88 ق.م)، مما أجبر القناصل المتناحرين على البحث عن مصادر بديلة تجلب المقاتلين[1]. إذ أنه قبل طرح فكرة جلب المحاربين من خارج إيطاليا وإنشاء فرق غير نظامية (مساعدة)، كان الجيش الروماني متكون أساسا من الجنود الرومان وفقا لإجبارية الخدمة العسكرية على جميع الرجال والتجنيد في صفوف الجيش غير مسموح به لغير المواطنين الرومان، والجيش المساعد كان بمثابة مدرسة للتدريب تمهيدا للدمج في المجتمع الروماني أي الفوز بالمواطنة الرومانية[2].

ومن ثمة فقد جند آلاف المقاتلين من مقاطعات مختلفة ومن أعراق وبلدان متعددة، وذلك ما أثبتته الوثائق المرتبطة بالموضوع، حيث تم إحصاء أسماء عدد من جند الوحدات المساعدة في جيش المقاطعات الإفريقية، وأظهر الإحصاء أن هناك في الجند من جلب من فرنسا، بريطانيا، بلجيكا، البلقان، ألمانيا، فلسطين وسوريا[3].

وقد حدد النظام العسكري الروماني لجيش إفريقيا المُشَكل أساسا من الفيلق الثالث الأغسطي رتبا وفقا للوظائف التي يقوم بها المجند[4]: وقد تشكلت قيادة جيش الفيلق الثالث الأغسطي (جيش إفريقيا ونوميديا) من هيئتين للأركان (Deux états-majors) . القيادة الأولى تشرف على تسيير كل الفرق العسكرية النظامية وغير النظامية التي يضمها الفيلق.

أما القيادة الثانية مهمتها تنظيم إدارة الفيلق الثالث الأغسطي فقط دون الإشراف على العمليات العسكرية، ويطلق على قائد الفيلق اسم: بنيفيسياريوس كونسولاريوس (Beneficiarius Consularis) إذ كان تحت قيادة القنصل النوميدي وهو ما حدث

(1) - Leglay (M.) et autres, Histoire romaine, presses universitaires de France, France, 119.-1991, pp. 117

(2) - Albertini (E.) , L'Afrique Rpmaine…, p. 20.

(3) - Benseddik (N.) , Les troupes auxiliaires de l'armée romaine en Mauritanie césarienne 11. sous le haut empire, S.N.E.D., Alger, 1978, p.

(4) - Cagnat (R.), op.cit., p. 125.

في الغالب، أما إذا كان تحت قيادة البريطور (Pritore) فيطلق عليه اسم بنيفيسياريوس ليجاتيس (Beneficiarius Legatis)، وهذا ما كان معمول به بداية من نهاية القرن الثاني الميلادي[1].

أما قادة الفرق النظامية فهم من صف الضباط، ويطلق عليهم اسم برايفيكتي (Praefictii) وتريبوني (Tribuni)، وهم ممن ينحدرون اجتماعيا من طبقة الفرسان، أما وحدات الجيش المساعد (Numiri) فيعين على رأسها ضباطا أقل شأنا من الفئة السابقة برتبة بريبوزيتي (Praepositi) أو كوراطور (Curator)[2].

أما سلم ضباط الصف فيحتوي على رتب الفيكسيلاريوم (Vexilarium) والكنتوريو (Centurio) والديكوريو (Decurio)، وتجدر الإشارة إلى أن هذا السلم خاص بفرقة الجيش النظامي دون النوميري[3].

3. انتفاضة قبائل الجيتول[*] في الجنوب النوميدي:

رغم الهدوء النسبي الذي شهدته الساحة الإفريقية إلا أن الأوضاع لم تستقر كلية، فكلما أخمد الرومان انتفاضة في منطقة ما في الشمال الإفريقي إلا واندلعت انتفاضة أخرى في مناطق التواجد الروماني، وقد تجددت المقاومة من خلال انتفاضة الجيتول ضد الرومان والملك يوبا الثاني الذي لم يكن سوى ممثلا عن السلطة الرومانية، ودامت هذه الانتفاضة ثلاث سنوات كاملة أي من سنة 03 م إلى سنة 06 م[4].

---

(1) - Ibid.

(2)- شنيتي محمد البشير، الجزائر في ظل الاحتلال الروماني... ، ج.1، ص. 104.

(3) - Benseddik (N.) , op.cit., p. 209.

(*)- تنشر القبائل الجيتولية بشكل واسع في جنوب المغرب القديم، من إقليم فزان شرقا إلى المحيط الأطلسي غربا، وتوغلت أراضيها جنوبا إلى حدود الإثيوبيين، أما شمالا فيصعب تحديد حدودها بدقة رغم محاولة بعض المؤرخين المحدثين، اعتمادا على ما أورده سترابون وبلين القديم، وضع تلك الحدود في موريطانيا الطنجية، عند ضواحي وادي بورقراق، ومدينة سلا. أما في نوميديا وإفريقيا البروقنصلية، فبلغت مناطق تواجد القبائل الجيتولية إلى جنوب سيرتا عند مدينة مداوروش (Madaure)، والتخوم الشرقية للأوراس، وما بين سهل مجردة وجبال تبسة، مما يوحي بتداخل أراضيها مع أراضي القبائل الموزيلامية في الجنوب النوميدي، ومع أراضي قبائل الغرامنت في جنوب البروقنصلية. وقد عرف الجيتوليون بممارسة مهنة الرعي وذلك تماشيا مع طبيعة أراضيهم، التي أكسبتهم كذلك من القوة والشدة والبأس ما جعل سترابون يصفهم بأنهم أقوى الشعوب الليبية قاطبة... لمزيد من المعلومات أنظر:

- Strabon, XVII, 3, 2; Salluste, La Guerre de Jugurtha, XVIII; Pline l'ancien, V, 5; Gsell (S.), H.A.A.N., T.VIII, pp. 109-112; Camps (G.), Massinissa…, pp. 153-156.

يشير الباحث إيرنست ميرسي (Ernest Mercier) إلى أن الجيتول كانوا على الدوام ثوارا متمردين ضد أية سلطة، وبلغ تمردهم أشده، أثناء حكم الملك يوبا الثاني لعرش موريطانيا القيصرية، بصفته ممثلا للاحتلال الروماني، فزاد غضبهم وسخطهم على سياسته وولائه، ولم يروا فيه إلا عميلا للمحتلين، لذلك نراهم يهاجمون المستوطنات الرومانية، التي عمل يوبا الثاني على إقامتها وحمايتها، وامتدت هجمات القبائل الجيتولية خلال فترة التمرد تلك على كل من يحمل صفة الروماني، بسلب وإحراق مزارع المستوطنين، والإغارة على مراكز إقامتهم، والاشتباك مع وحدات جيشهم، وبلغت تلك الانتفاضة أراضي القبائل الموزيلامية في الأوراس[1].

وقد أورد ديون كاسيوس (Dion Cassius) هذا النص المقتضب حول أحداث تلك الانتفاضة **"الجيتول الساخطون على سياسة الملك يوبا والرافضون للانصياع للسلطة الرومانية التي يكن لها الملك يوبا الطاعة والولاء، ثاروا ضده وفتكوا بالأراضي المجاورة لموطنهم وقتلوا الكثير من قادة الجيش الروماني الذين حاولوا إعاقتهم واعتراضهم ولكن قوتهم الواهية لم تدم طويلا حيث استطاع القائد كورنيليوس كوسوس (Cornelius Cossus)[*] أن ينال شرف إلحاق الهزيمة بهم (الجيتول)"**[2].

من خلال هذا النص المقتضب نستطيع أن نلاحظ رفض القبائل الجيتولية للوجود الروماني الذي جسده الملك يوبا الثاني، حيث عمل كل ما في وسعه من أجل توفير الظروف الملائمة لإنجاح حركة الاستيطان الروماني وإقامة المستوطنات للجاليات الرومانية[3]

---

(4) - Benabou (M.) , La résistance Africaine à la romanisation,éd. Maspéro, Paris, 1975, p.48.

(1) - Mercier (E.) , op.cit., p. 91.

(*)- كورنيليوس كوسوس(Cornelius Cossus) أحد القادة العسكريين الرومان، نال ثقة الإمبراطور أغسطس فأرسله إلى إفريقيا على رأس فرقة عسكرية لتدعيم الوحدات العسكرية الرومانية المرابطة في موريطانيا والتي عجزت عن التصدي لهجمات الجيتول، رغم المساندة المقدمة لها من قبل الملك يوبا الثاني، وتمكن القائد الروماني كورنيليوس كوسوس من زحزحة الثوار الجيتوليين نحو الجنوب الشرقي للمقاطعة البروقنصلية، وحقق انتصارات أرغمت الثوار على التراجع وإيقاف الهجمات. فتلقى الأوسمة من قبل الإمبراطور. ولقب بالجيتولي تشريفا له وتخليدا لانتصاراته على الثوار الجيتوليين... لمزيد من المعلومات أنظر:

- Mercier (E.) , op.cit., p. 91.

(2) - Dion Cassius, Histoire romaine, trad. E.Gros, Paris, 1863, LIV, 28, 3-4.

(3) - Pline l'ancien, V, 20.

وللجنود المسرحين من الخدمة العسكرية على أراضي موريطانيا، ناهيك عن الدعم العسكري الذي وفره للجيوش الرومانية العاملة على إخضاع القبائل المحلية لسلطته. [1]

كما أن النص السالف الذكر يدل حسب ر.كانيا (R.Cagnat) على أن تلك الانتفاضة شملت إطارا جغرافيا واسعا، على اعتبار أنها قامت في مناطق متداخلة بين أراضي الجيتول والمناطق المحتلة من قبل الرومان، أو تتواجد بها السلطة الرومانية وتلك الخاضعة للملك يوبا الثاني أي جنوب غرب نوميديا في منطقة الحضنة وجنوب موريطانيا[2].

أعطت هذه الانتفاضة رغم قصر مدتها الكثير من الدلالات وذلك ما يبرر الرد العنيف من قبل الجيش الروماني وجيش يوبا الثاني الذي توغل حتى في عمق أملاك القبائل الموزيلامية لإنهاء الثورة من جهة وتفكيك التحالف الموزيلامي-الجيتولي من جهة أخرى[3].

تنفيذا على ما يبدو لرغبة الرومان في ذلك لأنهم رأوا في التحالف خطرا على تواجدهم في الشمال النوميدي، لاسيما وأن هذه المقاومة بإطارها الجغرافي شكلت امتدادا للمقاومة النوميدية التي ظلت تقف في وجه التوسع الروماني وتواجه تواجده على أراضيها منذ سقوط المملكة النوميدية، ثم أن الجيتول كانوا يمثلون عمقا استراتيجيا وسياسيا بالنسبة للمملكة النوميدية. ومن ثمة كانوا على وعي بما

---

(1)- جرت العادة أن يقدم ملوك موريطانيا الدعم العسكري للرومان، كلما اقتضت الضرورة الأمنية، وعجز الجيش الروماني عن مواجهة التهديدات، والأخطار الناجمة عن التمردات التي كانت تحدث من حين لآخر في إفريقيا، وكان الملك يوبا الثاني وابنه بطليموس أحسن مثال للملوك الحلفاء والأوفياء للرومان... حول الموضوع أنظر:

- Hamdoune (Ch.), Les Auxilia. Externa. Africains des Armées Romaines, III^{e} siècle Av. j.c-IV^{e} siècle Ap. J.c, (Collection études militaires), université Paul- Valery, Montpellier III, France, 1999, pp. 110-111.

(2) - Cagnat (R.) , op.cit., p.03.

(3) - Benabou (M.) , op.cit., pp . 64-65.

يجري من أحداث في الشمال، وأن التواجد الروماني هناك سيجلب لهم نفس المصير الذي لقيه بنو جلدتهم في الشمال[1].

من هنا اكتسبت هذه الثورة خطورتها ليس فقط على الملك يوبا الثاني الذي اعتبرته تلك القبائل (الموزيلامية والجيتولية) ملكا تابعا لأسياده الرومان الذين شعروا بخطورة الوضع فأرسلوا بأحسن قادتهم العسكريين[2].

زيادة على اتخاذ إجراءات لإعاقة ومراقبة حركة القبائل الموزيلامية جنوب الأوراس، بتعزيز المراقبة العسكرية من خلال إقامة الفيلق الثالث الأغسطي في أمايدارا (Ammaedarae) (حيدرة) جنوب شرق أراضي القبائل الموزيلامية، ومن جهة أخرى ففي بداية عهد القنصل ل.نوينيوس أسبريناس (L.Nonius Asprenas) أي في سنة 14 م، تم إنجاز طريق استراتيجي يربط بين مقر معسكر الفيلق الثالث الأغسطي بأمايدار إلى تاكابي (Taccape) (قابس) مرورا بكابسا (Capsa) (قفصة). هذا الطريق الذي من شأنه أن يقطع الاتصال بين قبائل الموزيلامي والقبائل المجاورة لها من الجنوب الشرقي، مثل السينيتي (Cinithii)، ويبسط مراقبة الرومان للهضاب العليا الواقعة في منطقة الشطوط غرب سرت الصغرى[3].

زيادة على ذلك فقد حاول الرومان التخلص من خطر الجيتوليين على مؤسساتهم الاقتصادية والعسكرية، بانتهاج طرق وأساليب أخرى، كتشتيتهم وتوجيه تحركاتهم وتنقلاتهم الجماعية تارة، وجلب شبابهم كعمال في المؤسسات الاقتصادية الرومانية، بهدف دمجهم في سياق الرومنة تارة أخرى.

---

(1)- شنيتي محمد البشير، الجزائر في ظل الاحتلال الروماني... ج I، ص . 48.

(2) - تغيير الرومان للقادة العسكريين وإرسالهم للتعزيزات العسكرية إلى الجنوب النوميدي يندرج ضمن إطار التهديدات والخطورة التي شكلتها ثورات القبائل الجيتولية على التواجد الروماني في المنطقة من جهة ، ومن جهة أخرى زعزعتها للحدود الجنوبية لموريطانيا القيصرية وملكها يوبا الثاني لمدة طويلة قاربت الثلاثين سنة .حول الموضوع انظر: العيد بشي إبراهيم، تاريخ مختصر لأهم حضارات الشرق القديمة ، دراسة حضارية في قبل التاريخ وعبر التاريخ، دار هومة للطباعة والنشر والتوزيع، الجزائر،2007،ص.187.

(3) .- Benabou (M.), La résistance…, p 65.

إضافة إلى العمل على استغلال شجاعة رجالهم واتسامهم بالروح العسكرية، في تزويد الفرق المساعدة للجيش الروماني، على غرار ما فعل حنبعل من قبل، حيث جند الكثير منهم في الجيش القرطاجي خلال الحرب البونية الثانية، وذلك في نهاية القرن الثالث قبل الميلاد، على ما يذكر تيتيوس ليفيوس [1].

كذلك، تبين الشواهد الأثرية اللاتينية تواجد الجيتوليين في وحدات الجيش الروماني، في مواقع عديدة، كما أظهرت تلك الشواهد أسماء لأفراد ينتمون إلى القبائل الجيتولية كانت لهم صلة بالسلطة والإدارة الرومانية، لم تعرف على وجه التحديد طبيعة تلك الصلة، وقد عثر على نقوش وشواهد قبور تحمل أسماء جيتولية في مناطق مختلفة من المغرب القديم، كان معظمها في إفريقيا البروقنصلية ونوميديا [2].

إن الملاحظة التي يمكن أن نبرزها مهما كانت نتيجة تلك الانتفاضة التي قادها الجيتوليون في بداية القرن الأول الميلادي هي أن هناك علاقة طردية بين توغل الرومان في المناطق الداخلية وبين شتى أنواع المقاومة، عكس ما ترسمه الصورة التقليدية المعتمدة في الكتابات الرومانية القديمة أو حتى الفرنسية أثناء فترة الاحتلال الفرنسي للجزائر، حيث تصف ردود فعل القبائل الجيتولية أو الموزيلامية بالإغارة والنهب لكن في نظرنا تلك الإغارات وما يوصف بالنهب ما هو إلا شكل من أشكال الرفض للأجنبي ومقاومة وجوده، وأن تنقل القبائل خاصة الجيتولية وترحالها كانت تفرضه ضرورات الحياة الاقتصادية والاجتماعية والظروف المناخية، وأن التحالف أثناء فترات الحرب إنما يعبر عن وحدة تلك الأقوام واستعدادها الدائم حضاريا لتشكيل كيان سياسي كلما توفرت الشروط الأساسية لقيامه، مثلما حدث عند قبائل الماسيل في نهاية ق 04 وبداية ق 03 ق.م، ثم أن تنقل تلك القبائل كان يحدث باستمرار وبصورة اعتيادية

---

[1] - **" أرسل حنبعل في طليعة جيشه فرقة من الجيتوليين تحت قيادة ضابط اسمه إزالسا (Isalca)** ..." أنظر:

- TITE-LIVE, XXIII, 18, 1.

[2] - تم إحصاء حوالي خمسون إسما لأفراد جيتوليين حفلت بهم النقوش التي عثر عليها في إفريقيا البروقنصلية ونوميديا، نذكر من بين المدن التي تواجدت بها تلك النقوش: خنشلة (Mascula)، وادي ملاق، تالة (Thala)، حيدرة (Ammaedara) وضواحيها، قالمة (Calama)، خميسة (Tubursicum Numidarum)، مداوروش(Madauros)، تبسة (Theveste)، سيرتا (Cirta)، تيديس (Tiddis)، جميلة (Cuicul)، تازولت (Lambasis)...، لمزيد من المعلومات أنظر:

- Gascou (J.) , "'Le Cognomen Gaetulus en Afrique Romaine", M. A. H., N°.2,Vol. 82,(1970), pp. 723-736.

قبل الاحتلال الروماني والتصادم، إنما حدث بعد توغل الرومان في المناطق الداخلية والجنوبية المتاخمة للصحراء لا سيما جنوب الأوراس، وإنشائهم للتحصينات التي سدت المنافذ نحو الشمال أو نحو السهول، كما أعاقت شبكة الطرق المقامة حركة القبائل المنتجعة في الهضاب خاصة بوجود قلاع وأبراج حراسة كانت دوما هدفا أساسيا للغارات التي تأتي كردود أفعال عن سياسة اغتصاب الأرض ونهب خيراتها، واتخذت أشكال مقاومات عنيفة للاحتلال الأجنبي في مختلف الفترات.

4. انتفاضة الأوراس بقيادة (تاكفاريناس)[*] 17-24 م :

أ- المجال الجغرافي للانتفاضة :

لقد أشار المؤرخ الروماني تاكيتوس في حولياته إلى الحرب التي خاضها الرومان في شمال إفريقيا لمدة تزيد عن سبع سنوات (17-24 م) ضد القبائل النوميدية والمورية وغيرها من قبائل الشمال الإفريقي، ويتضح لنا من خلال الفقرات التي أوردها اتساع المجال الجغرافي لهذه الحرب.

فقد اعتمد قائد الثورة على القبائل الموزيلامية[1] القاطنة في المناطق الواقعة في الأوراس إلى قفصة شرقا شاملة السفوح المحيطة بالكتلة الأوراسية، واتسعت رقعة الحرب

---

[*] تاكفاريناس: يعتبر تاكفاريناس أحد القادة العسكريين البارزين في تاريخ المغرب القديم، رغم سكوت المصادر التاريخية القديمة عنه، ولد حوالي سنة 8 ق.م، ينتمي إلى قبيلة المزالمة، التي تستقر في الأوراس وضواحيه، انخرط في صفوف الجيش الروماني ضمن فرق المساعدين، وهو في ريعان شبابه، وتدرب خلال السنوات التي قضاها في الجيش الروماني على فنون القتال، وأساليب الحرب لدى الرومان. فاكتسب خلالها خبرة عسكرية، وظفها في قيادة جيشه، والتخطيط لمعاركه ضد الغزاة. ذلك أنه انسحب من الجيش الروماني في ظروف غامضة، لم يصلنا من المؤرخين القدامى عن أسباب وظروف انسحابه من الجيش الروماني إلا النزر القليل، فكل ما هنالك أنه لدى انسحابه من الجندية جمع حوله الكثير من أبناء قبيلته في الأوراس، ودربهم على استعمال السلاح، وعلمهم أساليب القتال استعدادا للمقاومة، التي أعلنها سنة 17 للميلاد ضد وحدات الجيش والمؤسسات والمراكز الرومانية، وانضمت إليه القبائل النوميدية. فأصبح قائدا وزعيما لثورة حقيقية وراسل الإمبراطور تيبيريوس عارضا عليه شروط السلم، وقد تدعمت حركته بشباب المور بقيادة أحد فرسانهم يدعى "مازيبا". فأصبحت تلك الحركة التي قادها تاكفاريناس انتفاضة شعبية، عمت معظم الأراضي النوميدية والمورية، وكأنها أحيت من جديد روح المقاومة التي قادها الملك يوغرطه قبل قرن من حركة تاكفاريناس... حول الموضوع أنظر:

- Benabou (M.), Tacfarinas: Insurgé Berbère contre la colonisation romaine, (Les Africains), T. IV,éd. Jeune-Afrique, Paris,1977, pp. 293-313;Hamdoune(Ch.), op.cit.,p. 112;Chehrit (K.), Tacfarinas, éd. Grand-Alger livres, Alger, 2006, pp.85-86.

[1] - تعتبر القبائل الموزيلامية من أشهر القبائل في المغرب القديم وأشدها مقاومة للاحتلال الأجنبي، ورد ذكرها بكثرة في النصوص والوثائق القديمة، حيث وردت على أشكال مختلفة مثل: موزولامي (Musulami) و موزولاني (Musulani)، اقترن اسمها بمقاومة الاحتلال الروماني، فكانت سندا وعونا لسيفاكس، وبعده يوغرطة، ثم تحالفت مع الجيتوليين بين سنتي 3 و6 للميلاد لصد التوغل الروماني المدعوم من قبل ملك موريطانيا القيصرية يوبا الثاني، وكانت زادا لزعيمها تاكفاريناس في ثورته، ويشير معظم المؤرخين إلى أن هذه القبائل كانت خلال القرن الأول للميلاد تستقر في الكتلة الأوراسية ومحيطها، أي يحدها شمالا مدينة سيرتا وجنوبا أراضي الجيتول والغرمنت في التخوم الجنوبية للأوراس (شمال

المعلنة ضد الرومان وحليفهم الملك يوبا الثاني بانضمام مازيبا (Mazippa) إلى تاكفاريناس وتشكيل تحالف موزيلامي-موري[1].

تدعم ذلك التحالف بانضمام معظم القبائل القاطنة في مناطق الهضاب والسهوب وجنوبهما أي قبائل الجيتول وقبائل الغرامنت (Garamantes) إلى الحركة التي قادها تاكفاريناس[2].

وبذلك تشمل الحرب التي أعلنها القائد الموزيلامي تاكفاريناس المناطق الداخلية في نوميديا وموريطانيا القيصرية زيادة على جنوبي المقاطعة البروقنصلية وصولا إلى مناطق الكنيتين (Les Cinithiens) في ضواحي سرت الصغرى، وقد أشار رونيه كانيا (R.Cagnat) إلى أن الكينتيين شكلوا وعاءا ديموغرافيا ضخما [3].أنظر خريطة رقم:02 صفحة:108.

ذلك ما حمل على ما يبدو الباحث ج.ديزونج (J.Desanges) على حصر قوة الثوار النوميديين في كثرة عددهم مقارنة بالجيش الروماني، رغم اعتماده على الفيلق الثالث الأغسطي والفرق المساعدة[4].

وتجدر الإشارة إلى أن اتساع جبهات القتال في تلك الثورة التي انطلقت من الأوراس أعطاها طابعا شموليا من الناحية الجغرافية وعمقا شعبيا من ناحية الأهداف الاستراتيجية، وبذلك وصفت بأنها لم تكن مثل سابقاتها من المقاومات، سيما في عهد أغسطس إذ لم تقتصر على منطقة واحدة أو إقليم واحد، فهي مقاومة امتدت في جنوب المقاطعات الرومانية، إضافة

الصحراء)، وتمتد نحو الشرق إلى تبسة، أما غربا فتنتهي حدودها عند منطقة الحضنة، ويصنف المؤرخون العناصر الموزيلامية إلى: مستقرين في حواضر المدن كتيفيست، ومادوروش. وبدو رحل أو نصف مرتحلين... حول قبائل الموزيلامي أنظر:

- Gsell (S.), inscriptions Latines de l'Algérie, T. 1, inscriptions de la proconsulaire, Paris, 1922, p. 267; Desanges (J.),Catalogues des tribues…, pp. 117-121;Camps(G.),Massinissa…,pp.155-156; Gascou (J.), op.cit.,pp.734-736.

(1) - Servier (J.), Les bérbères ,(que sais-je ?),2eme édition,DAHLAB,Alger,1994,p.50.

(2) - Mercier (E.),op.cit.,p.91.

(3) - Tadeusz (K.) et Michlak (M.) , Les africains et la domination de Rome , D.H.A., N°.1, vol.2,1976,pp.337-358.

(4) - Desanges (J.) , Le triomphe de Cornelius Balbus, R.Afr., N°. 98, 1957, pp .3-43.

إلى عمق هذه المقاطعات في المناطق التي كانت خاضعة للسيطرة الرومانية المباشرة أو ذات التواجد الروماني من خلال حلفائهم ومستوطنيهم[1].

(1) - Bounabou (M.), La résistance…, pp . 75-76.

ب- استراتيجية الإنتفاضة :

لقد استفاد تاكفاريناس على ما يبدو من خبرته العسكرية باعتباره كان جنديا في إحدى الفرق المساعدة في الجيش الروماني من خلال توظيف تلك الخبرة في الاستعداد العسكري بتدريب الثوار على أساليب القتال الحديثة (على غرار ما يستخدمه الجيش الروماني)[1] .

دون الاستغناء عن الأساليب المألوفة في الحرب لدى النوميديين، وهي حرب العصابات الملائمة للطبيعة الجغرافية للمنطقة[2]. بالإضافة إلى العمل العسكري الذي قام به تاكفاريناس قبل إعلان الحرب من خلال إشرافه على تدريب الثوار الذين جمعهم حوله، قام أيضا بعمل دبلوماسي كبير (بتعبير وقتنا الحاضر) وذلك بسعيه إلى كسب حلفاء من القبائل المجاورة للمزالمة حتى لا يتم تطويقهم من قبل الأعداء، فضمن دعم مازيبا والقبائل المورية من جهة الغرب وقبائل الكينتين (Les Cinithi) من جهة الشرق بالإضافة إلى قبائل التخوم الصحراوية جنوب المقاطعة الإفريقية وموريطانيا[3]، وبذلك وجد الرومان أنفسهم مجبرين على خوض حرب على جبهات متعددة وفي مجال جغرافي واسع يمتد من جنوب موريطانيا القيصرية غربا إلى السرت الصغرى شرقا.

---

(1) - معروف عن الجيش الروماني أنه جيش نظامي ، تطورت تركيبته وتنظيماته عبر الفترات التي مرت بها الدولة الرومانية ففي العهد الملكي كان التجنيد محصورا في المتمتعين بحق المواطنة ، ويؤدي المجند الخدمة في الجيش من سن 17 سنة إلى أن يبلغ 60 سنة ، ويقسم المجندون إلى فئتين حسب أعمارهم: الفئة الأولى وتشمل من هم في سن 17 سنة إلى 46 سنة وتمثل هذه الشريحة الفئة الفاعلة في الجيش الروماني ، وهي التي تخوض المعارك والحروب خارج إيطاليا ، أما الفئة الثانية فتشمل من هم في سن 46 سنة إلى 60سنة ولم تكن مهامها تتعدى السهر على حفظ الأمن الداخلي في روما .
يخوض الجيش الروماني المعارك بأسلوب خاص حيث يشكل الجنود المشاة ثلاث صفوف متوازية ، بحيث يتكون الصف الأول (المقابل للخصم) من الجنود الأصغر سنا والأقل خبرة ، ويضم الصف الثاني الجنود الكهول (متوسطي الخبرة) ،في حين يتشكل الصف الثالث من الجنود الأكبر سنا ، والأكثر خبرة ، وتوكل مهمة حماية ظهر الجيش وأطرافه إلى 10فرق من الفرسان السريعة الحركة والتي تضم كل فرقة منها 30 فارسا . وقد عرف الجيش الروماني عدة إصلاحات منها إصلاحات ماريوس الذي حاول رفع عدد الجند من خلال فتح مجال التجنيد أمام شباب الأسر الفقيرة ، وخفض من سن التجنيد إلى 16 سنة ، بالإضافة إلى إنشاء الفرق المساعدة في المقاطعات، كما عرف الجيش الروماني إصلاحات أخرى في عهد أغسطس الذي ركز على دعم الفرق المساعدة ، كما حدد فترة التجنيد ب20سنة للجند الروماني و25 سنة للمجندين في الفرق المساعدة ...لمزيد من المعلومات أنظر:

Fredouille (J.C.), op.cit.,pp.8-9.-

(2) - Desanges (J.) , Le triomphe de Cornelius…, pp . 3- 43 ; Hamdoune (Ch.), op.cit., p.110.

(3) - Benabou (M.) , La resistance…,p . 78.

يبدو أن تاكفاريناس قد لا حظ تركيبة الجيش الروماني المقسمة إلى قسمين : قسم نظامي يقوده البروقنصل نفسه وهو جيش الفيلق الثالث الأغسطي. وقسم ثان مؤلف من الفرق غير النظامية المشكلة من الأجانب والأهالي. هذه الأخيرة كانت تعتمد على الإغارة والكمائن، كما أن سلاحها وعتادها الحربي لم يكن متطورا مثل عتاد الجيش النظامي[1] لذلك عمد تاكفاريناس إلى ذات الأسلوب، فعهد إلى زميله مازيبا قيادة الفرق الخفيفة وأوكل لها مهمة إشعال الحرائق في مزارع المستوطنين وزرع الهلع والرعب في صفوفهم، في حين تولى هو قيادة الثوار المدربين على الطريقة الرومانية[2].

كما أنه استخلص العبر من بعض المواجهات الأولى مع الجيش الروماني، حيث عمد إلى تقسيم بعض فرقه التي رآها غير قادرة على مواجهة الجيش الروماني إلى وحدات

صغيرة العدد مهمتها الإغارة على العدو وإلحاق أكبر قدر ممكن من الخسائر والانسحاب بعد ذلك من دون الاشتباك المباشر مع الجيش الروماني[3].

ج- أسباب الانتفاضة :

رغم الحقد الكبير والتحامل الذي أبداه المؤرخ الروماني تاكيتوس على الثورة التي أعلنتها قبائل الموزيلامي بقيادة تاكفاريناس بين سنتي 17 و 24 م بوصف الثوار بأقبح الصفات مثل العصابات، قطاع الطرق والمتشردين[4].

إلا أنه لم يذكر الأسباب التي دفعت تاكفاريناس إلى الفرار من الجيش الروماني، ولا الدوافع التي جعلت عددا كبيرا من القبائل الإفريقية تتحالف مع قبائل الموزيلامي بزعامة تاكفاريناس وتثور ضد الاحتلال الروماني.

لكن من خلال تحليلنا للظروف التي ألمت بالمنطقة المغاربية والجنوب النوميدي تحديدا ، في بداية القرن الأول الميلادي يمكن أن نستنتج أن هناك مجموعة من الأسباب السياسية والاقتصادية والعسكرية كانت وراء هذه الثورة.

---

(1)- شنيتي محمد البشير، الجزائر في ظل الاحتلال الروماني...، ج. I، ص . 55.

(2) - Tacite, Annales, II, LII ; Berthier (A.) ,La Numidie…, p .95.

(3) 17. .- Cagnat (R.), op.cit., p

(4) - Tacite,Annales, II, LII.

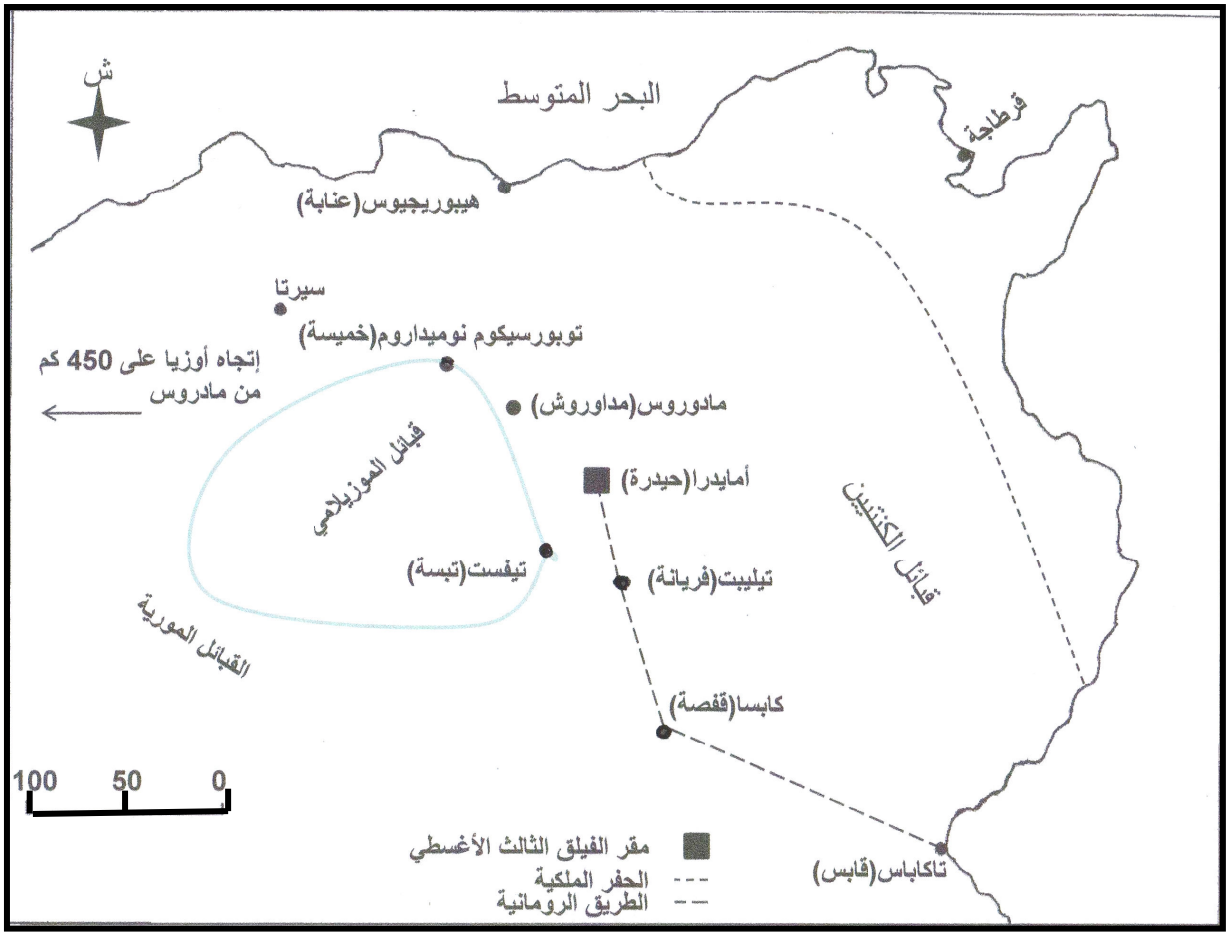

خريطة رقم: 02 حرب تاكفاريناس. 17-24 للميلاد.

اعتمادا على: Messikh (M.S.), op.cit, p.18.

ففي الجانب السياسي، يشير مارسال بن أبو إلى الظروف السياسية التي مر بها المغرب القديم، كدمج المقاطعتين الإفريقيتين، وإنشاء المقاطعة البروقنصلية، وما تلى ذلك من محاولات للاستيطان وتكريس الهيمنة الرومانية، لاسيما أثناء فترتي حكم الإمبراطورين أوكتافيوس وتيبيريوس من بعده. على أنه أحد العوامل التي جاءت ثورة تاكفاريناس في سياقها[1].

ومن دون شك احتكاك قائد الثورة بالرومان من خلال منصبه كجندي في الجيش الروماني أمكن له التعرف عن قرب على تلك الذهنية المتغطرسة التي تميز بها العنصر الروماني، والتي انعكست على تعاملهم مع سكان المغرب القديم عموما. مما أوجد لدى تاكفاريناس فكرة مجابهة هذه السياسة وإنقاذ قومه منها، وهذا ما يبرر سياسة التحالف التي أقامها مع القبائل المجاورة شرقا وغربا، مما مكن مقاومته من أن تمتد عبر وسط وشرق الجزائر وصولا إلى خليج السرت شرقا.

وقد اعتمدت سياسة الهيمنة والتوسع التي انتهجها الرومان في بلاد المغرب القديم أساسا على الجانب العسكري ذلك ما أدى إلى ردود أفعال عنيفة من قبل الأهالي.

وفي هذا السياق يشير الباحثان أ.بيجانيول و ر.لورون فيبار الى أن ثورة ناكفاريناس قامت على إثر شق الطريق الاستراتيجي الرابط بين كاسترا ابيرنا (Castra Hiberna) الواقعة بين مدينتي تبسة (Theveste) وقابس (Tacape)مرورا بحيدرة (Amaedara) وقفصة (Capsa) وذلك سنة 14 للميلاد . أي بعد استقرار الفيلق الثالث الأغسطي في حيدرة قبل نقله فيما بعد إلى مدينة تبسة ، مما أدى إلى إعاقة تنقل القبائل الموزيلامية والجيتولية المرتحلة وشبه المستقرة عن ممارسة حرفتها(رعي الماشية)والتي تقتات منها[2].

هذا إلى جانب ما نستشفه من دوافع اقتصادية جعلت تاكفاريناس يعلن الحرب ضد الرومان لمواجهة مشاريع الاستيطان القائمة على انتزاع الأراضي من ملاكها الأصليين وتوزيعها على الجاليات الإيطالية والجنود المسرحين، لاسيما في أثناء حكم الإمبراطور

(1) - Benabou (M.) , La résistance…,p . 76.

(2) - Piganiol (A.) et Laurent-Vibert (R.), Recherches Archéologiques à Ammaedara (Haidra), M.A.H.,N°.1,Vol.32,1912 ,pp.69-229.

أوكتافيوس أغسطس والإمبراطور تيبيريوس الذي حذا حذو سابقه في علميات كبرى لمصادرة أراضي النوميديين وتوزيعها على الرومان[1].

تتجلى علاقة ذلك بالثورة من خلال دعوة تاكفاريناس الجريئة للإمبراطور تيبيريوس لإعادة الأراضي التي سلبها الرومان من أصحابها عندما أرسل له وفدا لتبليغه ذلك بل مهددا إياه بحرب لا نهاية لها إن لم تعد روما ما سلبت من أراضي، وذلك ما أثار حفيظة المؤرخ تاسيت وتحامل كثيرا على تاكفاريناس لتجرأه على مخاطبة الإمبراطور بهذا الأسلوب[2].

ومن ثمة يمكن أن نستنتج العلاقة الوطيدة بين تلك المشاريع الاستيطانية القائمة على اغتصاب الأرض من أصحابها، وتوزيعها على الرومان وبين فرار تاكفاريناس من الجيش الروماني وإعلانه الثورة ضد الاحتلال تجسيدا لرفضه تلك السياسة الاستعمارية.

د- مراحل الانتفاضة :

1. مرحلة جس النبض :

لقد حاول تاكفاريناس على ما يبدو من خلال التحالفات التي ربط بها قبائل المزالمة تهيئة الظروف الملائمة لإعلان ثورته، فقد تحالف مع قبائل المور غربا والكنتيين والجيتول شرقا وجنوبا، كما قسم جيشه إلى فرق خفيفة من المشاة وأخرى من الفرسان، واستعد كما أسلفنا الذكر للحرب بإسناد قيادة الفرق الخفيفة لقائد المور مازيبا (Mazippa)، واحتفظ هو من جهته بقيادة فرق الفرسان المدربة وفقا لأساليب الحرب المنتهجة لدى الرومان[3].

ورغم قلة مصادرنا حول هذه الثورة إلا أنه أمكننا الاعتماد على ما أورده المؤرخ الروماني تاكيتوس من إبراز بعض معالم هذه الحركة، وبخصوص اندلاع الثورة يورد ذات المؤرخ ما يلي : **"في هذه السنة (17 م) بدأت الحرب في إفريقيا وكان العدو تحت قيادة تاكفاريناس الذي انخرط في الجيش الروماني بصفته مساعدا (Auxiliaire) في المعسكرات الرومانية ثم فر منها.**

لقد جمع في أول الأمر حوله عددا من عصابات المتشردين وقطاع الطرق المتعودين على السطو والإغارة، وقادهم إلى النهب والسلب ثم دربهم على أساليب القتال، فجعل منهم

(1) - Gsell (S.) ,H.A.A.N,T.VIII,pp.229-230.

(2) - Tacite, Annales, III, LXXIII ; Cagnat (R.), op.cit., p. 15.

(3)" De La Malle (D.) , L-Algérie …, p . 182.

مشاة وفرسانا منظمين، وما لبث أن تحول من زعيم عصابة إلى قائد عسكري للمزالمة الذين كانوا أشداء ويقطنون تخوم الصحراء في إفريقيا الخالية من المدن. وحمل المزالمة السلاح وجرُّوا معهم الموريين الذين تزعمهم مازيبيا (Mazippa). واقتسم القائدان الجيش حيث استأثر تاكفاريناس بخيرة العناصر المدربة من الفرسان والمشاة وأخذ يعودهم على النظام والطاعة والانضباط رغبة منه في تكوين نخبة من الجيش تضاهي في تكوينها العسكري ما كان لدى الجيش الروماني، في حين تكفل مازيبا بالعناصر الأخرى المشكلة من عصابات مكلفة بزرع الرعب وإشعال النيران والقيام بالمجازر والإغارة على مواقع الرومان..."[1].

بعد استكمال التحضيرات الدبلوماسية والعسكرية يخوض الثوار النوميديون بقيادة تاكفاريناس أول معركة ضد العدو سنة 17 م قرب وادي الميثول (Muthules) دون أدنى تردد أو خوف من الجيش الروماني الذي كان تحت قيادة البروقنصل فوريوس كاميلوس (Furius Camillus) مدعوما بفرق مساعدة[2].

لم نعثر على تفاصيل وافية عن هذه المعركة الاختبارية التي خاضها تاكفاريناس ببسالة، إلا أن المصادر تشير إلى انهزام الجيش النوميدي وتراجع تاكفاريناس إلى المناطق الداخلية. في حين توج البروقنصل فوريوس كاميلوس بوسام النصر غير المقنع للرومان أنفسهم على ما يذكر تاسيت[3].

رغم التحضير المتعدد الجوانب الذي قام به تاكفاريناس قبل بدء الحرب، إلا أن جيشه لم يستطع إحراز النصر وذلك يعزى إلى عدم أخذ القيادة لوقت كاف لإعداد الجيش وتطوير أدائه التحكم في تقنيات القتال الرومانية وتأهيل الجند وتدريبهم بقدر يتيح لهم تحكما أفضل يمكن من خلاله الصمود في المعركة وإحراز النصر على عدو ذاع صيته في ساحات القتال[4]. زيادة على الدعم المباشر وغير المباشر الذي جاد به الملك يوبا الثاني على الجيش الروماني[5]. ولم يتوان ملك موريطانيا القيصرية يوبا الثاني في الاعتزاز بذلك النصر الذي

---

(1) - Tacite, Annales, II, LII.

(2) - Lacroix (L.), op.cit., p .75.

(3) - Tacite, Annales, II, LII.

(4)- شنيتي محمد البشير، الجزائر في ظل الاحتلال الروماني...، ج.I ، ص . 55.

(5)9- Cagnat (R.), op.cit., p . 09 ; Benabou (M.), La Resistance…, p .7 .

ساهم في تحقيقه حليفا للرومان ضد أبناء بلده، فنراه يخلد ذلك الانتصار بسك عملة سنة 18 م تحمل ذكرى انتصار الجيش الروماني على تاكفاريناس[1].

يبدو أن تاكفاريناس قد تراجع إلى المناطق الداخلية بعد هزيمته في معركة الميثول لإعادة تنظيم صفوف قواته وتغيير أسلوب قتالها، لكن الفترة الموالية للمعركة عموما سكتت عنها المصادر التاريخية الكتابية، فطيلة الفترة من 18-20 م لم تحمل لنا المصادر الكتابية أعمالا عسكرية واضحة، مما يدفعنا إلى التساؤل عن حقيقة ما جرى خلال تلك الفترة ؟

هل فعلا لم تشهد أعمالا عسكرية ؟ بسبب توقف تاكفاريناس عن القتال ؟ أم أن هناك مساعي للتفاوض بين الطرفين طوال هذه المدة الشبيهة بالهدنة غير المعلنة ؟.

إن الانتصار الذي أحرزه الرومان في معركة سنة 17 م أمام تاكفاريناس لم يكن مثلما توقعوه ساحقا يستأصلون من خلاله شأفة الثورة الموزيلامية، بل أحرزوه بشق الأنفس ذلك ما خول للبروقنصل فوريوس كوريلوس الذي قاد الفيلق الثالث الأغسطي والفرق المساعدة أثناء المعركة شرف الانتصار الذي لم يقتنع به حتى المؤرخ تاكيتوس[2].

هذا ما يعني أن جيش تاكفاريناس رغم انهزامه في هذه المعركة إلا أنه أرهق الجيش الروماني وفاجأ بأسلوب قتاله حتى البروقنصل نفسه[3]، مما جعله يتردد في ملاحقة تاكفاريناس، بل في مواجهته وإعلان الحرب من جديد قبل الاستعداد اللازم، ثم أن هزيمة تاكفاريناس تلك جعلته ينسحب إلى المناطق الداخلية لا سيما جنوب الأوراس، ليس إنهاءً للقتال بل للاستعداد وإعادة تنظيم الجيش وكسب المزيد من الدعم[4].

- مرحلة التوازن (الند للند) :

اتسمت هذه المرحلة باتساع نطاق الثورة وشموليتها حتى وصفت بأنها امتدت من خليج السرت شرقا إلى أعمدة هرقل غربا[5]، كما تميزت بانتهاج تاكفاريناس لأسلوب جديد

---

(1) - Mazard (J.) , Corpus Nummorum Numidiae Mauretaniaeque, Paris, 1955, p . 89, N°. 202-203 ; p . 104, N°. 284. ويشير تاريخ إصدار هذه العملة إلى السنة 43 من عمر المملكة.

(2) - Tacite, Annales, II, LII.

(3)- حارش محمد الهادي، ثورة تاكفاريناس 17-24 م،(مجلة الدراسات التاريخية)،ع. 9 ، سنة 1995، ص ص . 129-133.

(4) - Tacite, Annales, III, LXXIII ; Cagnat(R.),op.cit.,p.15 ;Benabou(M.),La resistance…,p.80.

(5) ; 21.- Cagnat (R.) , op.cit., p

وكذلك : حارش محمد الهادي، ثورة تاكفاريناس...، ص ص.129-133.

في الحرب، حيث زيادة على مهاجمة الفرق الرومانية بالغارات السريعة وعدم الاشتباك المباشر معها، عمد إلى الهجمات المتكررة على الحصون والقلاع الرومانية.

ففي سنة 20 م أي بعد انتهاء ما يمكن أن نسميه بالهدنة غير المعلنة تمكن تاكفاريناس بعد تقدمه بجيشه شمالا من إلحاق الهزيمة بإحدى الفرق الرومانية التي كانت مرابطة في قلعة قرب نهر باجيدا (Pagyda)[1].

حيث قتل أثناء المعركة قائد تلك الفرقة ديكريوس (Dicrius)، ولم يسلم من الموت إلا من فر من المعركة[2].

ولما علم البروقنصل ل.أبرونيوس (L.Apronius) الذي تم تعيينه في منصبه سنة 18 م بهزيمة جيشه في موقع باجيدا قرر الدخول في المواجهة مع تاكفاريناس بنفسه لمسح آثار الهزيمة التي مني بها الجيش الروماني أمام تاكفاريناس في الأوراس[3] . ورفع عدد جنده إلى خمسة آلاف جندي، أغلبهم من قدماء كتائبه المدربة[4].

يبدو أن القائد الجديد للجيش الروماني حاول توظيف خبرة قدماء كتائبه والاستعانة بقدراتهم العسكرية في المناطق شبه الصحراوية، المستعصية على الجيوش القادمة من روما.

في تلك الأثناء كانت الفرقة التاسعة الأسبانية (IX Hispana) قد وصلت إلى إفريقيا بعد استدعائها لتدعيم الجيش الروماني، مما يدل على خطورة الوضع وصعوبة تصدي الجيش الروماني لهجمات الثوار النوميديين[5].

---

(1)- حدثت هذه المعركة قرب وادي يسمى باجيدا الذي يعتقد الباحث ش.تيسو أنه وادي تازولت التي عسكر فيها الفيلق الثالث الأغسطي وأطلق على ذلك المعسكر إسم لمبازيس (Lambases)، لمزيد من المعلومات حول هذا الوادي أنظر :

54..- Tissot (Ch.) , Géographie comparée de la province d'Afrique, T.I, imp.nationale, Paris, 1884-1888, p

(2)- Tacite, Annales, III, XX ; Rachet (M.), Rome et les berbères (Un problème militaire d'Auguste à Dioclétien), coll.latmus, Bruxelles, 1970, p.98.

(3)- Cagnat (R.) , op.cit., p.10

(4)- غانم محمد الصغير، بعض ملامح ثورات التحرير ضد الاستعمار الروماني خلال القرن الأول الميلادي (ثورة تاكفاريناس نموذجا)، (حولية المؤرخ) ، ع.1، إتحاد المؤرخين الجزائريين، الجزائر، 2002، ص.20.

(5)- أشار مؤرخ الحوليات تاكيتوس إلى الدعم الذي تلقاه الجيش الروماني في إفريقيا لعدم قدرته على مواجهة جيش تاكفاريناس، فبالإضافة إلى الفرقة الإسبانية التاسعة ، قد تكون الفرقة العاشرة فريتينيس (X. FRETENIS) أو جزء منها قد أرسل به إلى الأوراس لمواجهة تاكفاريناس، وذلك ما حاول أن يستخلصه الباحثان بيجانيول و لوريون فيبار من خلال دراستهما لنقيشة تحمل اسم الفرقة (X. FRETENIS) عثر عليها في حيدرة (Ammaedara)، وكان الإمبراطور أغسطس قد أرسل ذات الفرقة إلى سوريا، ما يعني أنها اكتسبت الخبرة العسكرية و مهارة المواجهة في المناطق شبه الصحراوية. ومن ثمة لا يستبعد أن يكون إرسالها إلى إفريقيا خلال ثورة تاكفاريناس... أنظر :

- Piganiol (A.)et Laurent–Vibert(R.),op.cit., pp.69-229;Benabou (M.), La résistance…, p. 79.

وبدأ البروقنصل بنفسه الإعداد للمعارك القادمة حيث قام بإجراءات عقابية قاسية ضد الجنود الفارين من المعركة الأخيرة مع تاكفاريناس ليكونوا عبرة لبقية الجنود ولا يفكروا في أن يولوا الأدبار أثناء القتال مهما كان الأمر[1].

كان تاكفاريناس وفرقه المقاتلة قد بسطوا سيطرتهم على مناطق ومراكز عسكرية عديدة في شمالي وشرقي الأوراس[2].

وفي نفس السنة أي 20 م تمكن تاكفاريناس كما ذكرنا سابقا من السيطرة على مناطق واسعة من شرقي وشمالي الأوراس ومنها حصن تالة (Thala) الواقعة شرق الأوراس[3].

ليس بعيدا عن مركز الفيلق الثالث الأغسطي وبخصوص ذلك يشير تاسيت إلى أن الثوار قد هزموا أمام حصن تالة. وأن البروقنصل ل.أبرونيوس أعطى مثالا نادرًا في زمانه وقد برز في المعركة جندي بسيط اسمه إليفيوس روفوس (Helivius Rufus)، فتلقى التهاني الشرفية من قبل الإمبراطور.

ويضيف تاسيت في نفس الفقرة أن تاكفاريناس بعد هزيمته هذه قام بتغيير أسلوب قتاله، إذ تحول إلى نهجه والمألوف لدى النوميديين وهو حرب العصابات بعد أن هزمته فرقة من الجيش الروماني قوامها خمسمائة محارب[4].

بعد تلك الهزيمة، انسحب تاكفاريناس إلى السهول المحاذية للسواحل الجنوبية التونسية، غير أن ابن البروقنصل ل.أبرونيوس كايزانيوس (L.Apronius Caesanius) لحق به وفاجأه على رأس فرقة من الفرسان التابعين للفرق المساعدة المشكلة من قدماء

---

(1) - Boissiere (G.), op.cit., p.233.

(2) - Gsell (S.),H.A.A.N. ,T.VIII, p.230.

(3) - تالة (Thala): إحدى الحصون المنيعة التي أقامها الجيش الروماني لمراقبة تنقلات القبائل الموزيلامية المنتجعة في المناطق الشرقية في الأوراس، تقع قرب حيدرة (Ammaedara)، و يشرف على حراستها قدماء المحاربين في الجيش الروماني... أنظر:

-Piganiol (A.) et Laurent – Vibert (R.) ,op.cit.,pp.69-229.

(4) - Tacite,Annales , III, XXI.

الجيش، فألحق به هزيمة أخرى، فاضطر تاكفاريناس إلى التراجع مرة أخرى والتسلل غربا والعودة إلى الصحراء المتاخمة لجنوب الأوراس[1].

ورغم انهزامه في معركتين متتاليتين، إلا أن تاكفاريناس لم ييأس واستمر في الإغارة من حين إلى آخر، كلما توفرت له الظروف الملائمة على مراكز العدو في جنوب نوميديا[2].

في حين واصل مازيبا بدوره هجماته على مراكز العدو في موريطانيا، وكان لحرب العصابات تلك أثر بالغ الخطورة على الجانب الروماني، سواء تعلق الأمر بالخسائر العسكرية في صفوف جنوده ، أو الخسائر الاقتصادية المترتبة عن الإغارات على مزارع المعمرين وانعدام الأمن مما أدى إلى تعطيل العمل[3].

كما أن توزيع فرق المقاتلين النوميديين عبر مجال جغرافي واسع، فرض على الرومان تقسيم قواتهم لمواجهة الأعمال العسكرية للفرق النوميدية والموريطانية، مما سهل مهمة الثوار لإلحاق أكبر الخسائر في صفوف العدو، ذلك خلق جدلا سياسيا كبيرا في روما حول الشخصية التي يمكنها أن تنهي الحرب في إفريقيا، وتستأصل شأفة تاكفاريناس الذي شجعته نجاحاته في تشتيت الجيش الروماني، وإضعاف موقفه ودفعته إلى المزيد من الطموح، فقام بإيفاد مبعوثين إلى الإمبراطور تيبيريوس ويطالبه بإرجاع الأراضي التي اغتصبها الرومان من أصحابها ويهددوه بإعلان حرب لا نهاية لها إن لم يتم ذلك[4].

نلاحظ أن هذه المبادرة التي قام بها تاكفاريناس ساعيا إلى التفاوض وإبرام اتفاق مع أعلى هيئة في نظام الحكم الروماني تدل بوضوح على الشعور بالقوة والثقة الكبيرة التي وضعها في جيشه وفي القبائل المساندة له، كما تبرز بوضوح الأهداف التي قامت من أجلها الثورة بربط إنهاء القتال بإعادة الأراضي والتهديد بالحرب المفتوحة إن لم يكن ذلك.

---

(1) - Gaid (M.) , op.cit.,p.124 .

(2) - Benabou (M.), La resistance…, p.80.

(3)- شنيتي محمد البشير، الجزائر في ظل الاحتلال الروماني...، ج. I، ص . 57.

(4) - Tacite, Annales, III, LXXIII .

ولكن رد الإمبراطور لم يكن متماشيا مع دعوة السلام الموجهة إليه من قبل تاكفاريناس، بل جاء متطابقا مع الفكر الروماني المحتقر لما هو أجنبي عن العرق الروماني[1].

الإمبراطور ومجلس الشيوخ على ما يبدو كانوا يأملون أن يعتذر تاكفاريناس عما بدر منه في حق الشعب الروماني، ويطلب منه الغفران لا أن يخاطب الإمبراطور بأسلوب التهديد.[2] ذلك الأسلوب الذي رأى فيه تيبريوس وقاحة من شخص وضيع لا يستحق عدم الإصغاء إليه فقط بل وجبت معاقبته على فعلته هذه حسب ما أورده تاكيتوس[3].

يبدو أن الإمبراطور بقدر ما استصغر تاكفاريناس استعلاءً منه بقدر ما أدرك خطورة الوضع في إفريقيا، ورأى في ذلك التهديد دلالة لا غبار عليها عن قوة ذلك الموزيلامي الإفريقي، وأن مكانة جيشه تراجعت كثيرا أمامه، لذلك تدخّل وحسم الجدال الدائر في مجلس الشيوخ حول تعيين البروقنصل الكفء الذي يستطيع إنقاذ هيبة روما. فاختار ك.يونيوس بليزوس (Q.Junius Blaesus)[4].

انتهج البروقنصل الجديد أسلوبا مغايرا لسابقيه، حيث مارس ما يشبه سياسة الترغيب والترهيب، حيث موازاة مع إعادة ترتيب فرقه العسكرية واختياره لها المواقع الإستراتيجية،

---

(1) - Chehrit (K.),op.cit.,p.77.

(2) - تهديد تاكفاريناس للإمبراطور تيبيريوس نفسه بقدر ما يعبر عن إيمان الأفارقة بقضيتهم المتمثلة في مقاومة الاحتلال الروماني ويبث فيهم العزيمة والإرادة لدحر المعتدي، بقدر ما يحط من معنويات الجيش الروماني ويزعزع مكانته وقوته. إلا أننا نجد المؤرخ الفرنسي رونيه كانيا (R.Cagnat) يستقرأ موقف الإمبراطور تيبيريوس بعدم التأثر بالسب والإهانة التي لحقت به وبالشعب الروماني من جراء سلوك تاكفاريناس، وإنما غضبه مرده أن يصدر ذلك السلوك من شخص وضيع، وقاطع طريق مثل تاكفاريناس... أنظر:
- Cagnat (R.) , op.cit., pp. 19-20.

(3) - Tacite, Annales, III, LXXIII

(4) - أشرف البروقنصل بليزوس بنفسه على ملاحقة وحدات تاكفاريناس الخفيفة، وكان يأمر بإقامة القلاع والحصون، ومد الخطوط الدفاعية، ولم يتوقف عند ذلك بل نجده ينشأ وحدة مدربة على حرب العصابات ويتولى قيادتها بنفسه، وحصر مهمتها في العمل على إلقاء القبض عبى تاكفاريناس شخصيا، أو قادته المقربين منه. وقد نجح بليزوس في إلقاء القبض على أحد إخوة القائد النوميدي تاكفاريناس و لفظ أنفاسه الأخيرة تحت التعذيب الذي مورس عليه من قبل أفراد الجيش الروماني ...حول الموضوع أنظر:
غانم محمد الصغير، بعض ملامح ثورات التحرير...،ص ص. 21-22.

طرح فكرة العفو عن العناصر التي تتخلى عن السلاح وتساعد الرومان في مهمتهم ووعدهم بمكافئات مغرية [1].

كما اتبع بلايزوس ذات الأسلوب الذي طبقه ميتيلوس وماريوس في حربهما ضد يوغرطة، حيث قسم جيشه إلى ثلاث وحدات أساسية سريعة الحركة، الأولى تحت قيادة كورنيليوس سيبيون (Cornelius Scipion) قائد الفرقة التاسعة الإسبانية (IX^{e} Hispana) من شأنها أن تمنع الدعم والاتصال القادم من لدن قبائل الغرامنت وحماية لبدة وخليج السرت، والثانية أوكلت لها مهمة الدفاع عن سيرتا وضواحيها، أما الثالثة فمركزها الوسط أي الدفاع عن مدينتي تبسة (Theveste) وأمايدارا (Ammaedara)، ثم عمد القائد الجديد إلى تطبيق تكتيك فريد يقوم على تجزئة الفرق الثلاث إلى وحدات صغيرة يشرف عليها قائد مائة (Centurions)[2].

ذلك ما مكنه من تحقيق بعض الانتصارات الجزئية خلال سنتي 22 و23 م[3].

ورغم ذلك لم يستطع الرومان الوصول إلى هدفهم الأساسي المتمثل في القضاء على تاكفاريناس حيث كان من حين إلى آخر يباغت العدو بغارات مفاجئة على الحصون والقلاع التي أمر بلايزوس بإقامتها على المناطق الاستراتيجية. ويذكر تاسيت مشيدا كعادته بانتصارات الرومان بأن تاكفاريناس فقد أحد إخوته في إحدى تلك الغارات[4].

كما حملت سنة 23 م تطورات هامة كانت في صالح المقاومة، حيث صعب الموت المفاجئ للملك يوبا الثاني (حليف الرومان) مهمة مواصلة الحرب على الجيش الروماني، ذلك أن خليفته على عرش موريطانيا القيصرية ابنه بطليموس (Ptolemée) لم يرض الرومان بسبب ضعف شخصيته وعدم كفاءته في إدارة شؤون المملكة زيادة على سخط مواطنيه على سياسته وسياسة أبيه الموالية للرومان، إذ كانت مشاعر الدعم والمساندة لدى الشعب الموريطاني متجهة نحو ثورة تاكفاريناس وزعيم الثوار المور مازيبا[5].

(1) - Rachet (M.), op.cit., pp. 106-108.

(2) - Tacite, Annales, III, LXXIV.

(3) - Gsell (S.).H.A.A.N.,T.VIII,pp.229-230 ; Boissière (G.), op.cit.,p.243.

(4) - Tacite, Annales, III, LXXIV.

(5) - Cagnat (R.), op.cit., p. 20.

وفي نفس السنة أيضا تم سحب الفرقة الأسبانية التاسعة (IX^{eme} Hispana) بأمر من الإمبراطور تيبيريوس وعودتها إلى أسبانيا. فاستغل تاكفاريناس ذلك الحدث ليوجه نداءً سياسيا لرفع معنويات جيشه وكل النوميديين، وفي هذا الصدد يورد تاسيت ما يلي : **"لقد أشاع تاكفاريناس بين أفراد جيشه بأن القوة الرومانية بدأت تندحر بفعل حروبها مع أمم أخرى، وبالتالي فهي مجبرة على الرحيل عن إفريقيا شيئا فشيئا، ونستطيع أن ندحر ما تبقى من جنودها عندنا إذا بذل الذين يفضلون الحرية عن العبودية جهودا أكثر ضدها..."**[1].

وقد نجح تاكفاريناس إلى حد بعيد في تحفيز مقاتليه على مواصلة الحرب كما نجح في كسب دعم الغرمنت وزعيمهم كحليف استراتيجي بتزويد المقاومة بالرجال واللجوء إليهم في أقاص الصحراء إذا اقتضت الضرورة، وبذلك يشع لهيب الثورة ليشمل معظم إفريقيا الشمالية[2].

مما اضطر الرومان إلى إحداث تغيير آخر في قيادة البروقنصلية، حيث عين ب.كورنيليوس دولابيلا (P.Cornelius Dolabella) بروقنصل جديد (23-24 م)[3].

حاول البروقنصل الجديد الاستفادة من أخطاء سابقيه التكتيكية في قيادة العمليات العسكرية، بحيث لجأ إلى نفس أسلوب النوميديين وهو **"حرب العصابات"**، كما دعم تحصين المدن وإقامة أبراج وقلاع للمراقبة على طول الخطوط الدفاعية التي أقيمت في عهد بلايزوس في نوميديا، مما جعل تاكفاريناس يقدم عل حصار مستوطنة تبريسكوم نوميداروم (Thubriscum Numidarum)[4].

غير أن القنصل دولابيلا استطاع أن يفرق الجيش النوميدي ويلحق به هزيمة قاسية. وانسحب بعدها تاكفاريناس غربا لمحو آثار تلك الهزيمة في منطقة سلسلة جبال البيبان التي

---

(1) - Tacite, Annales, IV, XXIV.

(2) - Benabou (M.), Tacfarinas…, pp.293-313.

(3) - Tacite, Annales, IV, XXIII.

(4)- توبريسكوم نوميداروم هي مدينة خميسة (Khamissa) حاليا والواقعة جنوب غربي قالمة (Calama) وفقا لما ورد في بعض النقوش اللاتينية، وقد منحت هذه المدينة اسم المستعمرة الرومانية وضمت عدة هيئات للحكم ذات الطابع الروماني كالمجلس البلدي وغيره. أنظر : غانم محمد الصغير، بين آثار قالمة، (مجلة المعالم) السنة الأولى، ع.1، مطبعة ولاية قالمة، الجزائر، 1987، ص ص . 24-28.

بدأت تشهد إنشاء مستوطنات ومزارع للإيطاليين في الأراضي المنتزعة من أصحابها الموريين. ذلك ما دفعهم إلى مناصرة تاكفاريناس[1].

ومكنه ذلك من مواصلة الحرب بحصاره لمستوطنة تكلات (TEKLET) التي عرفت باسم توبوسوكتو (Tupusuctu) الواقعة على بعد 15 كم جنوب غرب صلداي (بجاية)، وكانت مدينة محصنة لم يستطع تاكفاريناس اقتحامها مما منح الوقت الكافي للبروقنصل دولابيلا للوصول لنجدتها[2].

حينئذ تطور سير الحرب وأخذ منحى آخر،ممهدا للمرحلة الأخيرة من تلك الانتفاضة التي قادها الزعيم الموزيلامي تاكفاريناس.

3- مرحلة التراجع :

لقد انتهج القائد الروماني الجديد دولابيلا وأبدع في أسلوب الدسائس والمؤامرات، حيث تمكن من توظيف بعض القادة من المرتزقة الموريطانيين، ومن جنسيات مختلفة إضافة إلى الملك بطليموس ابن يوبا الثاني في خدمة أهداف الرومان[3].

ذلك أن دولابيلا تمكن من ملاحقة تاكفاريناس خفية، حيث انسحب هذا الأخير بعد وصول النجدة الرومانية إلى الموقع المحاصر توبوسكوم واتجه نحو أوزيا (Aumale)[*]وعسكر في حصن قديم مهدم[4].

---

(1) - Hamdoune (Ch.) , op.cit., pp.112-113.

(2) - Cagnat (R.) , op.cit., p . 21.

(3) - Gaid (M.) , op.cit.,p.125.

[*]- أومال (Aumale) أو أوزيا (Auzia) هي المدينة التي تعرف الآن باسم سور الغزلان، أنشأها الرومان كإحدى المستوطنات، بدعم من الملك يوبا الثاني. جعلها موقعها الاستراتيجي في جنوب موريطانيا القيصرية لتكون إحدى النقاط المفصلية في الليمس الموريطاني حيث أنها تقسمه إلى شطرين : الشطر الشرقي يربط بين زراية و أوزيا و الشطر الغربي يربط بين أوزيا و ألبولي (عين تموشنت)...أنظر:
شنيتي محمد البشير، الجزائر في ظل الاحتلال الروماني... ، ج.1،ص.119.

[4]- قداش محفوظ، المرجع السابق، ص.127.

وقد اعتمد البروقنصل الجديد دولابيلا إلى جانب حبك المؤامرات على تكييف وحدات جيشه حسب ما تقتضيه الضرورة العسكرية بانتهاج نفس الأسلوب المنتهج من قبل النوميديين أحيانا بتقسيمها إلى وحدات قليلة العدد[1].

وفي هذا السياق، عمد دولابيلا أثناء ملاحقة تاكفاريناس إلى تقسيم جيشه إلى أربع وحدات صغيرة. منها وحدة مشكلة من العناصر المحلية الموريطانية المرتزقة، والذين أمده بهم الملك بطليموس الرومان، ولا يستبعد أن يكون هؤلاء المرتزقة وراء الوشاية التي أمكنت من الوصول إلى تاكفاريناس ومباغتته[2].

زرع دولابيلا إلى جانب ذلك الرعب في صفوف القبائل المساندة لتاكفاريناس وقطع رؤوس أعيانها في أثناء سيره إلى تاكفاريناس، وحين أدركه حاصر المكان بواسطة أربعة مجموعات صغيرة، وفاجئوا تاكفاريناس ليلا، وجرت معركة بين الطرفين في أوزيا (سور الغزلان) ،وقد جرح خلالها نجل تاكفاريناس، فأسره الجنود الرومان.

فضل تاكفاريناس الموت على أن يساق أسيرا في يد قادة الجيش الروماني، فرمى بنفسه في معركة انتحارية رغم جراحه ،ولقي الموت أثنائها [3].

وقد صور لنا تاكتيوس تلك المعركة الحاسمة من خلال النص التالي : **"لقد بلغ النوميديون حصنا مخربا يدعى أوزيا فأحرقوه ونصبوا خيامهم واستقروا به بعد أن أطمأنوا لموقعه الآمن المحاط بالغابات... في مطلع الفجر فاجأهم الجيش الروماني بأصوات الأبواق والصيحات واقتحم عليهم المكان، وكانت خيولهم مربوطة ولم يكونوا جاهزين للقتال... كأنهم كانوا قطعانا يساقون على يد الجيش الروماني الذي قتل وأسر وأشبع رغبته في الدم والثأر من عدو يتهرب من المعركة... إن موت تاكفاريناس هو وحده الكفيل بوضع حد لهذه**

---

(1) - Benabou (M.), La résistance … ,p.82.

(2) - Messikh (M.S.), L'histoire ancienne et contemporaine de Skikda l'antique Rusikade, 33.-éd. Raïs, Algérie, 1996, pp.32

(3)- هنا يمكننا أن نلاحظ أنه رغم السهولة التي تمت بها عملية إبادة معظم الثوار المزالمة وقائدهم تاكفاريناس، حسب رأي المؤرخ تاكيتوس ومن نقل عنه من المؤرخين الغربيين، إلا أن تاكفاريناس أبدى شجاعة و إقدام واستماتة مثله في ذلك مثل كل من يدافع عن قضية عادلة ضد الذين استعبدوا شعبه واستغلوا أرضه، رغم تفوقهم عددا وعدة. وفضل أن ينال شرف التضحية والموت من أجل تلك القضية العادلة على العيش تحت الذل والسيطرة المفروضة من قبل الاحتلال الروماني وعملائه من أمثال الملك الموريطاني بطليموس...حول الموضوع أنظر:

-غانم محمد الصغير، بعض ملامح ثورات التحرير...، ص ص. 25-26.

الحرب، لكنه (تاكفاريناس) حين رأى ابنه مكبلا وحراسه موتى والرومان قادمون من كل الاتجاهات رمى بنفسه وسط الحراب، حيث قتل ونجى من الأسر المحتم، وبذلك تضع الحرب أوزارها"[1].

وبمقتل تاكفاريناس تنتهي حرب المزالمة ضد الرومان والتي اعتبرت أطول وأصعب حرب خاضها الرومان في إفريقيا منذ حرب يوغرطة. تلك الحرب التي استمرت 07 سنوات أرهق أثناءها تاكفاريناس وجنده الجيش الروماني ومرتزقته وحلفاؤه الموريطانيين. لاسيما بطليموس بن يوبا الثاني الذي تلقى التهاني والمكافآت من أسياده الرومان، حيث منحه الإمبراطور تيبريوس عصا عاجية ومعطفا فضفاضا مطرزا وهما رمز تبعية الملوك في المقاطعات لروما ودلالة على الصداقة والتحالف مع الشعب الروماني، كما هرع ملك الغرامنت هو الآخر للسعي إلى صداقة روما والإنطواء تحت عباءتها خوفا من بطشها وردة فعلها جراء مساندته لتاكفاريناس[2].

4- نتائج فشل تاكفاريناس :

بعد فشل تاكفاريناس في تحقيق حلم النوميديين في التخلص من الهيمنة الرومانية، خمد لهيب المقاومة في المغرب القديم حيث لم تسجل المصادر التاريخية الكتابية ولا النقوش أية أحداث مرتبطة بالمقاومة طول حكم تيبريوس وبداية حكم كاليجولا[3].

في حين زادت مناطق التوسع الروماني بالاستيلاء على أراضي الثوار وإلحاقها بالإدارة الرومانية وتدعيم الاستيطان، بإنشاء مراكز عسكرية لإقامة الجنود المسرحين من الفيالق وشق الطرق للوصول إلى تلك المراكز (المستوطنات) المنشأة.

لتسهيل عملية استغلال الأراضي الزراعية التي قسمت على قدماء الجنود.

وأصبح لعملية التقسيم خطوط رئيسية (Decumanius maximus et cadro maximus) تتشكل من خط يمتد عرضا من موقع بين سكيكدة وعنابة وينتهي في الجنوب الشرقي قرب قابس، ومن خط يمتد من أقصى شمال شرق تونس إلى تبسة بشرق الجزائر[4].

---

(1) - Tacite, Annales, IV, XXV.

(2) - Hamdoune (Ch.), op.cit., p.113.

(3).- Cagnat (R.) , op.cit., p 23.

(4)- شارل أندري جوليان، المرجع السابق، ص .181.

مكن فشل حركة تاكفاريناس من جهة أخرى الرومان من أن يضعوا لهم قدما في الصحراء، حيث أصبحت السياسة الرومانية تتجه نحو الاستيلاء على الصحراء نظرا لأهميتها الاستراتيجية في ردع أية حركة تمرد من شأنها أن تهدد الاستقرار في المنطقة باعتبار أن المناطق الواقعة جنوب الأوراس كانت ملاذا آمنا لأتباع تاكفاريناس.

شكل التحالف الموزيلامي -الغرامنتي نموذجا للتضامن بين مختلف العناصر المحلية ومثالا للتآزر بين القبائل المرتحلة ونصف المستقرة في الأوراس و شماله ومع القبائل الصحراوية في جنوبه، مما يؤكد أيمان تلك العناصر بوحدة المصير إزاء التهديدات الأجنبية أو القوى الخارجية عن المنطقة .

انطلاق الثورة في الأوراس وانتشارها السريع نحو الشرق في جنوب المقاطعة البروقنصلية و نحو الغرب في جنوب المملكة الموريطانية ليصبح تهديدا حقيقيا للوجود الروماني في المنطقة المغاربية جعل إدارة الاحتلال الروماني تعيد رسم سياستها الاستعمارية في إفريقيا .

رغم الامكانيات المادية و البشرية التي واجهت بها السلطات الرومانية وحلفائها الملوك الموريطانيين تلك الانتفاضة إلا أن تاكفاريناس و أتباعه استطاعوا الصمود سبع سنوات كاملة كانت قاسية على الجيش الروماني و قادته، وكان الرومان قد نصبوا كمينا اشتمت رائحة الخيانة فيه لقتل زعيم الثورة وإنهائها.

حاول الرومان بعد ثورة تاكفاريناس السيطرة على تلك المناطق المنتفضة بالعمل على إدماج قبائل الرحل في إطار المدنية الرومانية للتخلص من خطرهم.

ارتأت السلطات الرومانية أن يتم توطين تلك القبائل في المدن ليكونوا تحت مراقبة الجنود المسرحين المقيمين في المستوطنات خاصة في الأوراس، حيث أنشأت لهذا الغرض مستوطنات الجنود المسرحين مثل ديانا فيتيرانوروم (Dayana Veteranorum) ولامسبا ولامبيريدي وزانه (ZANA) في شمال غرب لمباز[1].

(1) - Gsell (S.) et Graillot(H.),Exploration archéologique dans le département de Constantine (Algérie) –Ruines Romaines nord des monts de Batna ,M.A.H.,N.1,vol.14,(1894),pp.501-609.

اعتقد الرومان أنه بذلك تم لهم ما أرادوا وتحقق الأمن والاستقرار في كامل إفريقيا، ولذلك أقدم الإمبراطور كاليجولا على إلغاء المملكة الموريطانية بتدبير مكيدة قتل بطليموس سنة 40 م، ويلحق موريطانيا القيصرية بأملاك الإمبراطورية الرومانية[1].

أقدم الموريطانيون على الانتفاضة كرد فعل على ذلك متذرعين بمقتل بطليموس. وتزعم تلك الانتفاضة إيدمون (Aedemon)[2] الذي جمع القبائل المورية حوله، فعمت ثورته كامل التراب الموريطاني وامتدت إلى جنوب الأطلس، كما انضمت إليها بعض القبائل النوميدية خاصة المزالمة. غير أنه وبعد القضاء على تلك الانتفاضة أقدم الرومان على تقسيم موريطانيا إلى مقاطعتين : القيصرية والطنجية، يفصل بينهما نهر الملوية وذلك سنة 42 م[3].

(1) - Rachet (M.) , op.cit., pp .126- 127 ;Cagnat (R.),op.cit.,p. 25 ;Boissière (G.),op.cit., p.279.

(2)- إيدمون (AEDEMON) كان أحد المقربين من الملك بطليموس ابن يوبا الثاني و مساعديه الأوفياء لأنه كما تصفه المصادر التاريخية القديمة أحد المعتقين ورغم ذلك استطاع أن يجمع حوله قادة القبائل التي كانت تتمرد على سلطة الملوك الموريطانيين لأنه على ما يبدو قد أدركت تلك الأقوام أن الهدف أسمى وبالتالي لم يعد يهمهم من يقود المقاومة بقدر ما كانت تهمهم المقاومة في حد ذاتها. وتمكنت حركة إيدمون من الصمود في وجه الاحتلال الروماني سنتين كاملتين حشد خلالها الإمبراطور كاليجولا الدعم من مختلف المقاطعات الرومانية ...لمزيد من المعلومات أنظر:
- شنيتي محمد البشير، الجزائر في ظل الاحتلال الروماني....،ج.1،ص ص. 61-62.

(3) - Benabou (M.), La résistance…,p .92.

الفصل الرابع : الليمس أحد الخطوط الدفاعيةالرومانية في الجنوب النوميدي.

1. امتداد خط الليمس من أغسطس إلى تيبيريوس.
2. ليمس القرن الأول الميلادي.
3. ليمس القرنين الثاني والثالث.
4. السقاية والزراعة في مناطق الليمس.

أ. أعمال الري.

1. تجميع المياه وتخزينها.
2. نقل المياه وتوزيعها.

ب. النشاط الزراعي.

5. انعكاسات مد خطوط الليمس الدفاعية .

الليمـــس أحد الخطـوط الدفاعيــة الرومانية في الجنـوب النوميـدي :

1. امتداد خط الليمس من أغسطس إلى تيبيريوس :

لقد ارتبط مفهوم الليمس إلى غاية منتصف القرن 20 م بـالخطوط الدفاعيـة المحصنة التي كان الرومان يقيمونها على حدود المناطق التي يخضعونها لنفوذهم المباشر. وتكون تلك الخطوط بمثابة الحد الفاصل بين الرومان والبرابرة (Les Barbares) الخارجة عن نطاق الحضارة الرومانية[1].

وكـان الرومـان قـد شـرعوا فـي إنجـاز الليمس فـي مختلـف منـاطق الإمبراطوريـة الرومانيـة منـذ عهـد الإمبراطـور أغـسطس، عنـدما أمـر هـذا الأخيـر بحـشد بعـض الفـرق العسكرية لاسيما الفرق المساعدة فـي حـدود الإمبراطوريـة بمختلـف المقاطعـات الخاضـعة لـسلطة رومـا. فأقيمـت لهـا معـسكرات محـصنة مرتبطـة ببعـضها الـبعض بواسـطة طـرق عسكرية أنشئت لهدف المراقبة المستمرة على طول الخط الدفاعي[2].

وقد غيرت أبحاث ضابط الطيران ج.باراديز (J-Baradez) التي قام بها في الجنوب النوميدي وجهة النظر تلك التي كانت قائمة لدى الباحثين حول الليمس، حيث توصل إلى نتائج هامة خلال سنوات البحث التي قضاها في دراسة الصور الجوية وأكثر تلك النتائج أهمية هي أن الليمس هو عبارة عن جهاز معقد يتكون من شبكة من التحصينات والجدران والخنادق، زيادة على شبكة هائلة من الطرق الرئيسية والفرعية ومن ثمة فهو نظام عسكري واقتصادي في آن واحد[3].

لم يكن لليمس حدود ثابتة بل كان يزداد اتساعا حسب الإنجازات العسكرية التي يحرزها الجيش الروماني في الميدان، أو حسب ما كان الأباطرة الرومان يسعون إلى تحقيقه من أهداف[4].

---

(1)- Harmand (L.), L'occident romain, Guaule, Espagne, Bretagne, Afrique du nord (31 av.J.C à 235 ap.J.C), éd. Payot, Paris, 1970, p. 219.

(2)- Fredouille (J.C.) , op.cit., p. 92.

(3)- Baradez (J.) , op.cit., p. 357-361.

(4)- Pareti (L.), op.cit., p. 588.

كما أن أبعاد الأسوار والحصون كانت على الأرجح خاضعة للطبيعة الجغرافية والبشرية للمنطقة التي يشيد بها الليمس، فجدار هادريان (Hadrian) المقام في بريطانيا والذي يبلغ طوله حوالي 110 كم وعرضه 1,50 م وارتفاعه 05 م وعمق الخندق الذي حفر أمامه يصل إلى 04 أمتار[1] أنظر شكل رقم:01 ص. 126، ويختلف عن التحصينات المقامة في إفريقيا، كما اختلف الليمس بها (إفريقيا) من فترة لأخرى، فقد زادت التحصينات والخنادق وكثافة التواجد الروماني تبعا لوضعية المقاومة، وذلك ما تشير إليه التعديلات المضافة إلى الليمس النوميدي خلال القرن الثالث، بعد تنامي دور المقاومة المحلية في الإغارة على الليمس ومراكزه المختلفة، مما فرض على الرومان ضرورة توسيعه، ليصل إلى مشارف الصحراء. في حين لم يتجاوز الليمس الموريطاني المناطق التلية[2].

يتشكل الليمس من ثلاث عناصر أساسية هي : الخندق، وهو آخر مراحل بنائه وقد أمر بحفره الإمبراطور هادريان[*] بعد الزيارة التفقدية التي قام بها إلى مجموعة من مقاطعات الإمبراطورية في أوروبا، لتفقد واقع الأمر على حدود تلك المقاطعات، حيث مر في زيارته إلى أوروبا على نهري الراين (Rhin) والدانوب (Danube) وبريطانيا سنة 121 م، وقد صادف ذلك قيام ثورات في موريطانيا ونوميديا، مما جعله يقوم بجولة مماثلة إلى إفريقيا، وذلك سنة 128 م للإطلاع بنفسه على ما يجري في الميدان، فأمر بإضافة الخندق إلى الأسوار التي أقيمت قبل فترة حكمه[3].

---

(1)- Frédouille (J.C.) , op.cit., p 92.

(2)- Winkler (A.) , Frontière méridionale ou limes de l'Afrique propre (Tunisie et Algérie), R.T, (1909), pp. 37-47.

(*)- هادريان هو الإمبراطور: ب آيليوس هادريانوس (P.Aelius Hadrianus) ، تولى عرش الإمبراطورية الرومانية في الفترة مابين (117 إلى 138 للميلاد)، ولد في 24 جانفي سنة 76 للميلاد بإسبانيا من عائلة تنتمي إلى أصول إيطالية، تبناه الإمبراطور تراجان قبل وفاته، حسب ما ورد في رسالة التبني التي وجهت إلى مجلس الشيوخ الروماني، والموقعة من قبل بلوتين (Plotine) زوجة الإمبراطور، بتاريخ 09 أوت سنة 117 للميلاد أي قبل يومين من وفاة الإمبراطور تراجان، الذي أوصى بالعرش لـ: هادريان، حسب ما ورد في الرسالة الآنفة الذكر. إلا أن بعض المؤرخين القدامى يشكون في صحة ذلك، ولا يستبعدون تواطؤ زوجة الإمبراطور تراجان في رواية التبني والوصاية بالعرش الإمبراطوري.
لقد تولى هادريان قبل أن يصبح إمبراطورا عدة مناصب تشريفية، منها منصب قنصل وهو لا يتعدى سن 32 سنة أي سنة 108 للميلاد ثم أشرف على حكم أثينا سنة 112 للميلاد، كان يرافق تراجان بصورة دائمة في معظم جولاته داخل الإمبراطورية وفي حروبه خارجها. وهو ما مكنه من أن يلمع نجمه وهو على عرش الإمبراطورية في مجالات تسيير شؤون الحكم إداريا، سياسيا وعسكريا. إضافة إلى إهتمامه بالأدب والفنون... لمزيد من المعلومات أنظر:
- Leglay (M.) et Autres,op.cit.,pp.301-302;Fredouille(J.C.),op.cit.,p.75;Chevallier(R.),op.cit., p.132.

(3)- Baradez (J.) , op.cit., pp. 154-156.

شكل رقم: 01 حائط هادريان في بريطانيا " الليمس البريطاني".

عن: Pareti (L), op.cit., p.588.

أما العنصر الثاني الذي يتكون منه الليمس فهو الأسوار التي تمتد على مسافات مختلفة من منطقة إلى أخرى، وتضم أبراج مراقبة ومراكز محصنة للحراسة ومخازن للمواد الغذائية

وغيرهـا، وتكـون تلـك الأسـوار والأبـراج مبنيـة فـي الغالـب بالحجـارة والطـوب وذلـك تبعـا للطبيعة الجغرافية للمناطق التي تتواجد بها[1].

أما العنصر الثالث الذي يتكون منه الليمس، فهو شبكة الطرقـات التـي كانـت فـي بدايـة الأمـر ذات طـابع عـسكري محـض، ليتحـول بعـضها إلـى طـرق مدنيـة بعـد اسـتبعاد خطـر المقاومـة، فـي حـين حافظـت الطـرق الرئيـسية أو المتاخمـة لمنـاطق الخطـر علـى طابعهـا العسكري والأهداف التي أنشئت من أجلها[2].

ولقد عمل الإمبراطور أغسطس على استثمار الهدوء النسبي الذي أعقب الحروب التي دامت ثلاثين سنة و التـي خاضـها الجيتول والغرا منت (25 ق.م 06 م) ضد التواجد الروماني ببلاد المغرب القديم. وعمد الإمبراطور إلى تدعيم حماية أمن المدن التي حازها الجيش الروماني بالاعتماد على المسرحين من الجيش في شق طريق هام لذات الغرض يـربط مـا بـين قـابس (Tacapae) وفريانـة (Thelepte) مـرورا بقفـصة (Capsa)، وقـد أنتهـت الأشـغال بـه سـنة 14 م تحـت إشـراف البروقنـصـل ل.نونيـوس أسبرينـــاس (L.Nonius Asprénas)[3].

ويعتقد المؤرخ الفرنسي بيار سلاما (P.Salama) أن تلك الطريق تربط بين ميناء قابس ومقر الجيش الروماني في آمايدارا (حيدرة)، ويعتبر فتحها ميلادا جديدا لشبكة الطرق الرومانية في المغرب القديم[4]، وجاء إنجاز هذه الطريق لأهداف عسكرية مرتبطة لتوفر الأمن للمدن الواقعة خلفها (شمالها)، زيادة على تأمين المؤونة عن طريق البحر. لذلك كانت تضم مراكز عسكرية للحراسة، وغالبا ما يكونون من الجنود المسرحين، الذين يراقبون أيضا تحركات السكان المحليين. وإن لم تكن تمنع تنقلاتهم، إلا أنها بالتأكيد كانت تضايقهم وتحد من تلك التنقلات[5].

---

(1) - غانم محمد الصغير، مقالات حول تراث منطقة بسكرة... ، ص . 57.

(2)- Salama (P.) , Les voies romaines de l'Afrique du nord, Imprimerie officielle du gouvernement général de l'Algérie, Alger, 1951, p. 32.

(3) - Mesnage (J.) , op.cit., p. 45.

(4) - Salama (P.) , op.cit., p. 22.

(5) - Harmand (L.), op.cit., pp. 266 - 267.

وفي تلك الفترة أي عند نهاية حكم أغسطس وبداية حكم (خلفه) تيبيريوس أقيمت تحصينات على طول المناطق الخاضعة لسلطتهم، وهو ما يمكن أن نسميه بالليمس الأولي أو البدائي، المساير للمرحلة الأولى لإنشاء الخطوط الدفاعية. حيث يبدأ هذا الخط من سواحل جنوب حدرومات (Hadrumète) (سوسة) ليمر بسبيبة (Sbiba) (Sufés) ثم تالة (Thala) وبعدها أمايدارا (حيدرة) وقصر قوراي وصولا إلى تبسة[1]. ثم يسير بالاتجاه الشمالي-الغربي نحو سيرتا ومحيطها، في خط دفاعي بسيط يمر عبر قصر صبايحي (Ksar Sbehi) (Gadiaufala) الذي عثر به على آثار بعض القلاع الرومانية[2]. ليصل إلى سيغوس (Sigus) ومنها يدور على سيرتا وميلاف (Milev) التي تشكل جزءا من الأراضي التي منحها قيصر للمرتزق سيتيوس (Sittius) وجماعته عقب انتصاره على يوبا الأول[3].

ويتضح من خلال تتبع مسار هذا الخط الدفاعي أن السيطرة الرومانية في بداية عهد تيبيريوس لم تتعد الجزء الشمالي في الجزائر واكتفت بالسيطرة على الموانئ الهامة أو الأراضي الخصبة التي منحت للمستوطنين والمرتزقة من أمثال سيتيوس.

ورغم بدائية ليمس هذه الفترة، والذي أنجز من قبل جيش إفريقيا البروقنصلية على الحدود المتاخمة للمناطق غير المحتلة، إلا أنه كان له نفس الدور الذي لعبه ليمس القرن الثالث، كمؤسسة عسكرية واقتصادية لعبت دورا هاما في سياسة الرومنة الممارسة من قبل الاحتلال الروماني عبر مختلف فترات تواجده في شمال إفريقيا.

ففي نهاية القرن الأول ق.م وبداية القرن الأول الميلادي شرع الرومان في شق شبكة كثيفة من الطرق لاستكمال الدور العسكري والاقتصادي لليمس، وكانت قرطاجة في بداية الأمر منطلقا لتلك الطرق نحو الغرب والجنوب الغربي مرورا بسهل مجردة. ولا يستبعد أن يكون الرومان قد عبدوا الطرق البسيطة التي كان يسلكها النوميديون قبل الاحتلال[4]. خاصة في ما سمي بالاتحاد السيرتي والذي يضم كما أسلفنا الذكر مدن سيرتا

---

(1)- Mesnage (J.) , op.cit., p. 45.

(2)- Gsell (S.) , A.A.A., F.18,N° 159.

(3)- Mesnage (J.), op.cit., p. 45.

(4)- Messikh (M.S.), op.cit., p. 52.

(Cirta)، روســيكادا (Rusicade) (ســكيكدة)، مــيلاف (Milev) (ميلــة) وشــولو (Chullu) (القل)، وكان قيصر قد منحه للمرتزقة سيتيوس (Sittius)، كما وزعت به الكثير من الأراضي على المستوطنين الإيطاليين. فمن المؤكد أن مدن هذا الاتحاد كانت مرتبطة ببعضها البعض عن طريق شبكة من الطرق شكلت سيرتا محورا لها[1]. زيادة على الطرق الأخرى التي كانت الحاجة إليها ماسة، بعد ضم المقاطعتين الإفريقيتين الجديدة مع القديمة.

من المنطلق السابق أنشأت الطريق الرومانية على وادي مليان (O.Meliane) شاقة أوتينـــا (Uthina) (Oudna) وتوبوربومـــايوس (Majus Thuburbo) (هنـــشير قصبات) باتجاه أسوراس (Assuras) (زفور) وأمايدارا وتيفست فيما بعد [2].

وبذلك يتم الربط بين قرطاجة وتيفست عبر هذه الطريق التي ستكون لها أهمية اقتصادية كبيرة. أنظر خريطة رقم : 03 ص: 130

وفي سنة 22 م، تم إنشاء طريق تربط بين سيرتا ولبدة، كان قد أمر بإنشائها القنصل بلايسوس لملاحقة تاكفاريناس[3].

حيث أشار إلى ذلك المؤرخ الروماني تاكيتوس[4]. وقد جاء إنجاز تلك الطريق على ما يبدو من أجل فصل نوميديا عن حلفائها الطبيعيين الجيتول والغرامنت.

---

(1) - Salama (P.) , op.cit., p. 23.

(2) - Ibid.

(3) - Harmand (L.), op.cit., p. 267.

(4) - Tacite, Annales, III, XXIV.

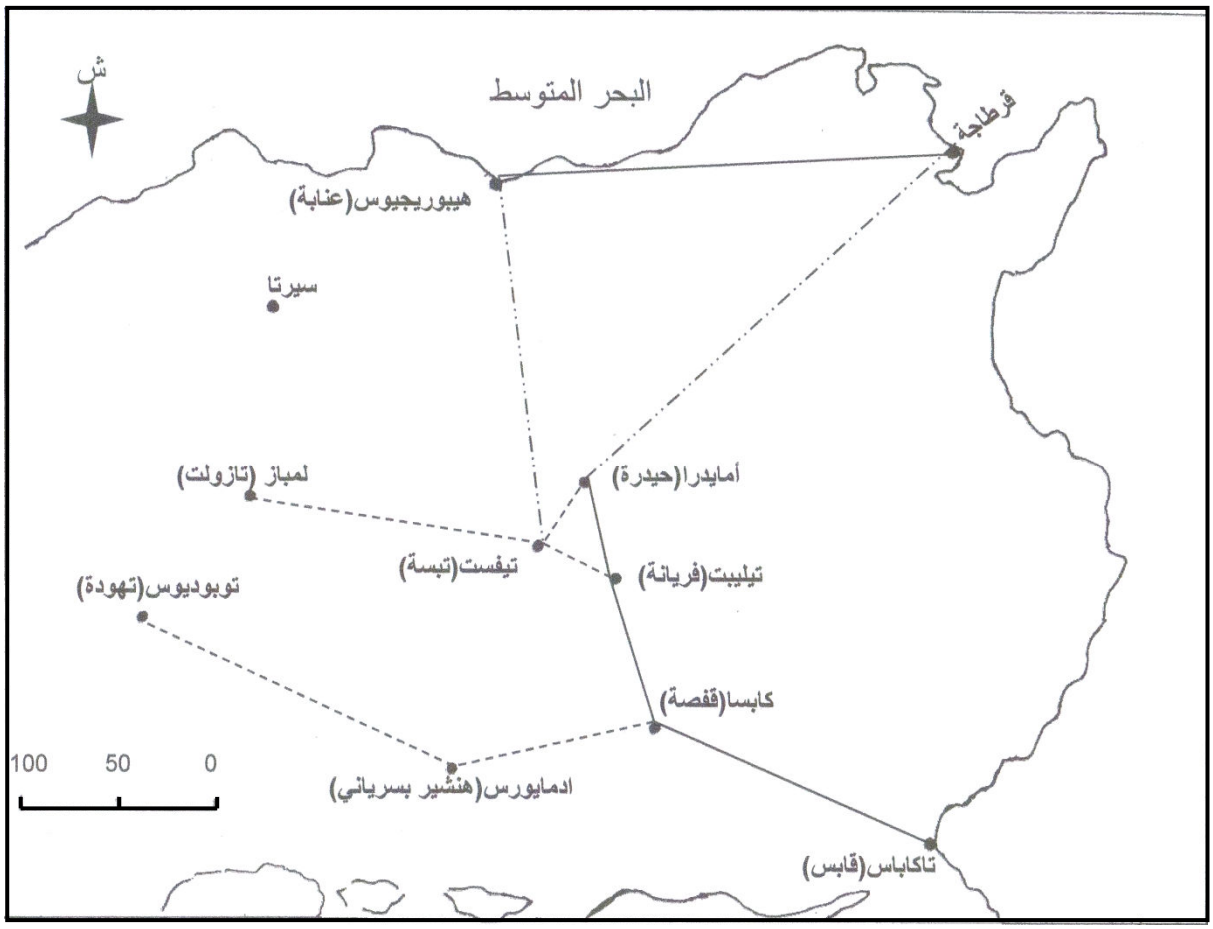

خريطة رقم :03 تنظيم شبكة الطرق في إفريقيا البروقنصلية ونوميديا أثناء فترتي حكم الإمبراطورين أغسطس وتراجان.

إعتمادا على: -Berthier (A.), La Numidie, Rome et le Maghreb…,p.136.

2. ليمس القرن الأول الميلادي :

رغم الإجراءات التي قام بها الرومان في الأراضي النوميدية لقمع المعارضين والرافضين من القبائل المحلية لسياسة الرومنة المنتهجة لم يتمكنوا من إحلال ما **"يسمى بالسلم الروماني"** وإخماد الثورات التي تندلع من حين لآخر، وكان مصدر الخطر غالبا ما يأتي من الكتلة الأوراسية، لذلك نجد أن الأباطرة الفلافيين (Les flaviens)[1] ركزوا جهودهم العسكرية على السفوح الشمالية لجبال الأوراس ومنطقة الشطوط فيما بين سنتي 74 و 75 م، كما نقلوا مقر قيادة جيش الفيلق الثالث الأغسطي من أمايدارا (حيدرة) إلى تيفست (تبسة).

وقد حاول فاسباسيان (Vespasien) وهو أحد الأباطرة الفلافين إعطاء صورة مغايرة للوضع الذي كان عليه جنوب المقاطعة البروقنصلية لجر القبائل الموزيلامية، والرافضين للرومنة بصفة عامة للاندماج في الثقافة الرومانية، فعمد إلى إنشاء فرقة من الجيش المساعد من المزالمة (Cohors I Flavia Musulamiorom)[2] كنموذج من المزالمة المترومنين.

ويبدو أنه حقق نوعا من الهدوء النسبي أثناء فترة حكمه. إلا أن ذلك لم يمنع من حدوث بعض ردود الفعل المحلية، إذ شهدت سنة 85 م ملاحقة حاكم نوميديا لبعض المتمردين من الغرمنت في الصحراء جنوب نوميديا لرفضهم دفع الضرائب[3]، وتكمن أهمية هذه الطريق في ربط مدينة تبسة أين يقيم الفيلق الثالث الأغسطي بالواجهة البحرية لنوميديا، وبالتالي ضمان التموين والإمدادات عن طريق المدن النوميدية بعدما بدأت القيادة العسكرية تبتعد عن الواجهة البحرية الواقعة شرق تونس. ولتدعيم سياسته في إفريقيا أمر فاسباسيان بإرسال حاميات عسكرية إلى خنشلة (Mascula) وعين زوي (Ain Zoui) (Vazaivi) جنوب شرق خنشلة[4]. كما ربط تيفست (Theveste) بهيبوريجيوس

---

(1) - بدأ حكم عائلة الفلافيين (Les Flaviens) سنة 68-69 م بعد الأزمة التي عرفتها الإمبراطورية الرومانية إثر مقتل الإمبراطور نيرون (Néron)، وقد امتدت آثارها إلى الولايات والمقاطعات الخاضعة لسلطة روما، وامتد حكم الأباطرة الفلافيين من 68 إلى 69 م، وشهد إصلاحات اقتصادية واجتماعية مست الإمبراطورية الرومانية بأقاليمها المختلفة. لمزيد من المعلومات حول الأباطرة الفلافيين أنظر :

- Leglay (M.) et Autres, op.cit., pp . 258-289.

(2) - Mesnage (J.) , op.cit., p 57.

(3) ; Cagnat (R.), op.cit., pp 269.- Harmand (L.), op.cit., p. 35-36.

(4)- اهتم الإمبراطور فاسباسيان كثيرا بإنشاء المستوطنات وإرسال الحاميات العسكرية إلى المناطق التي عرفت اظطرابات و التي أخلت بالأمن خاصة مناطق انتجاع قبائل القرمنت و الجيتول والمزالمة التي انتفظة في بداية القرن الأول للميلاد كما منح فاسبسيان لقب المدينة الرومانية أو اللاتنية لمدن أخرى نذكر منها سبيطلة (supetula) القصرين = (cilluim)، حيدرة (Ammoedara) ،فريانة (the lepte) مادور (Madauros) خنشلة (Mascula)وغيرها ... لمزيد من المعلومات أنظر:

(Hippo Rejius) (عنابـة) بطريـق هـام يمـر بمـادوروس (Madauros) (مـداوروش) وتبرسـيكوم نوميداروم (Thubursicum Numidarum) (خميسة) وكالما (Calama) (قالمة)[1].

ويبـدو أن الأبـاطرة الفلافيـين قـد أدركـوا خطـورة الكتلـة الأوراسـية علـى التواجـد الروماني في سفوحها الشمالية، لذلك نجدهم يحرصون على شق طريق هام يربط بين مركز الجيش الروماني المرابط في تبسة وبين لمباز (تازولت) التي سيتحول إليها مقر الجيش فيما بعد، مرورا بخنشلة، وذلك لتسهيل مهمة الحاميات العسكرية التي أرسلت إلى تلك المنـاطق في عهد الإمبراطور فاسباسيان، وكذا محاصرة المنـاطق الشمالية لجبـال الأوراس مصدر الخطر المحلي الذي كان يقلق الجيش الروماني[2]. أنظر خريطة رقم: 04 صفحة:133.

والجدير بالملاحظة، هو أن هذا الخط الدفاعي ارتكز إنشاؤه على أولويات عسكرية واقتصادية في آن واحد، ذلك أن هذا الليمس أنشئ لتحقيق هدف عسكري أساسي هو بسط السيطرة العسكرية وإحلال السلم الذي كان غائبا بفعل العلاقة الجدلية التي كانت قائمة بين السكان المحليين والرومان، وتبعا لذلك نجد أن عناصر الليمس التي أقيمت خلال القرن الأول والمتمثلة أساسا في شبكة الطرق العسكرية والحصون المنيعة قد أنشئت في المناطق التي لم تكن مستقرة من الناحية الأمنية، أي مناطق الاحتكاك بين السكان المحليين والرومان المحتلين، كما أقيمت في مناطق العبور الطبيعية التي اقتضت الظروف الأمنية إنشاء مراكز دائمة لحراستها[3]. ومن ثمة، نجد أن الطرق الرئيسية قد شقت على السفح الشمالي لجبال الأوراس من أجل الدفاع عن المناطق الخاضعة بصورة شبه تامة للاحتلال الروماني في الشمال، كما أن مواقع الحصون المقامة على منابع ومداخل الوديان التي تخترق السلسلة الجبلية الأوراسية توحي إلى استهداف الرومان لسد تلك المنافذ الطبيعية أمام القبائل التي كانت تسلكها للتنقل من التخوم الصحراوية جنوبا إلى مناطق انتجاعها في التل أو السفوح

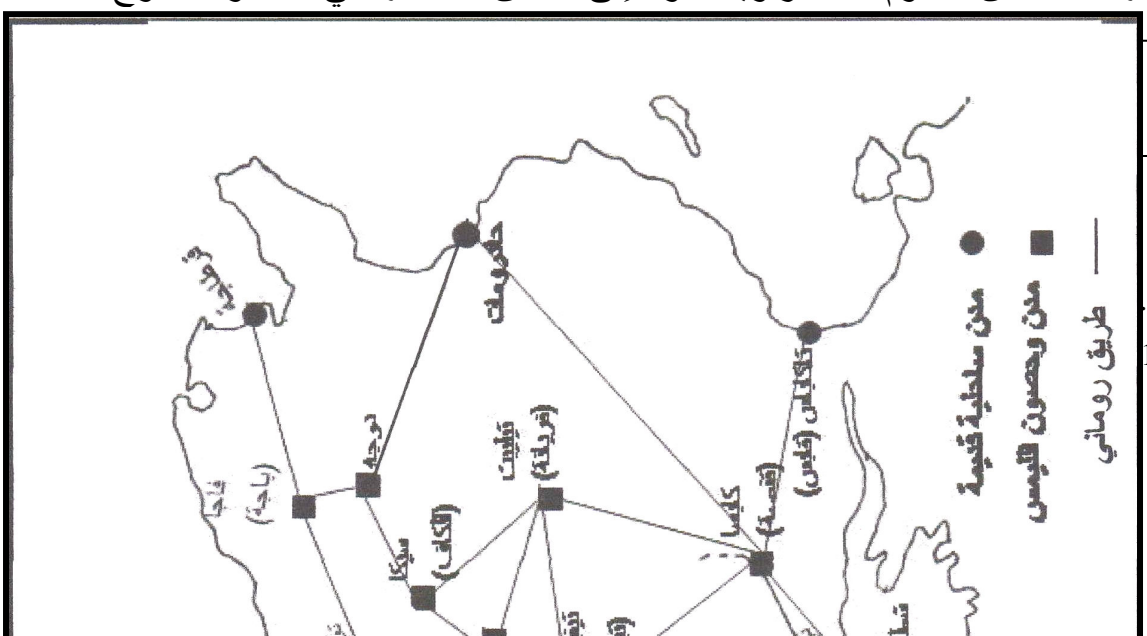

خريطة رقم : 04 اعتمادا على : شنيتي محمد البشير، التوسع الرو

الشمالية للأوراس. وبالتالي وضع تحركاتها تحت المراقبة الدائمة. وفي ذلك السياق أقام الرومان خلال القرن الأول الميلادي حصونا ومعسكرات ثابتة على منافذ الوديان. فتم إنشاء معسكر لمباز على منافذ ومنابع وادي عبدي والأبيض، وأنشئت تيمقاد (Thamugadi) التي تشرف على مخانق فم قسنطينة (Foum Ksantina) ووادي طاقة (Oued Taga)[1]. أما جنوبا فقد أنشأ حصن تادارت (Ad Medias) على منفذ وادي العرب وحصن تهودة (Thabodios) على منفذ وادي الأبيض[2].

يبدو أن السياسة الأمنية الرومانية المتعلقة بمراقبة المنافذ والمعابر المنتهجة في الأراضي النوميدية شمال الأوراس ما هي إلا تكملة لما قاموا به في جنوب المقاطعة البروقنصلية، حيث أنشئوا شبكة الطرق والتحصينات في مناطق الشطوط (الجريد والفجاج) لمنع قبائل البدو التي تتخذ من تلك الشطوط عند جفافها معابر ومسالك لها ولماشيتها نحو السواحل الشرقية للمقاطعة. ومن ثمة عملت تلك الطرق والتحصينات على زحزحة قبائل البدو نحو الجنوب[3]. أنظر خريطة رقم:05 صفحة: 135.

كما يندرج إنشاء تلك الطرق في إطار الإستراتيجية الوقائية في المناطق الجبلية الجنوبية التي لا تخمد فيها حركة الثوار، لذلك مدت الطرق في المناطق الجبلية على غرار منطقة الشطوط، غير أن تلك المناطق الجبلية كانت صعبة الاختراق على الجيش الروماني، كما كانت تلك الطرق المنشأة هدفا للثوار الذين عملوا على تهديمها كلما سمحت لهم الظروف الأمنية[4].

ذلك على ما يبدو ما جعل الرومان ينشؤون شبكة من أبراج المراقبة والقلاع على طول امتداد الطرق وبمسافات متقاربة تتراوح ما بين 10 و30 كم تتيح إمكانية حراسة

---

(1)- Leveau (Ph.), op.cit., pp. 1097-1103.

(2)- Masqueray (E.) , « Ruines anciennes de Khenchela (Mascula) à Besseriani (Ad Majores) », R.Afr., T.23, (1879), pp. 65-94.

(3)- Trousset (T.) , Recherches sur le Limes tripolitanus (de Chott El Djerid à la frontière tuniso-libyenne), Paris, 1974, pp. 24- 25.

(4)- Salama (P.) , op.cit., pp. 34-39.

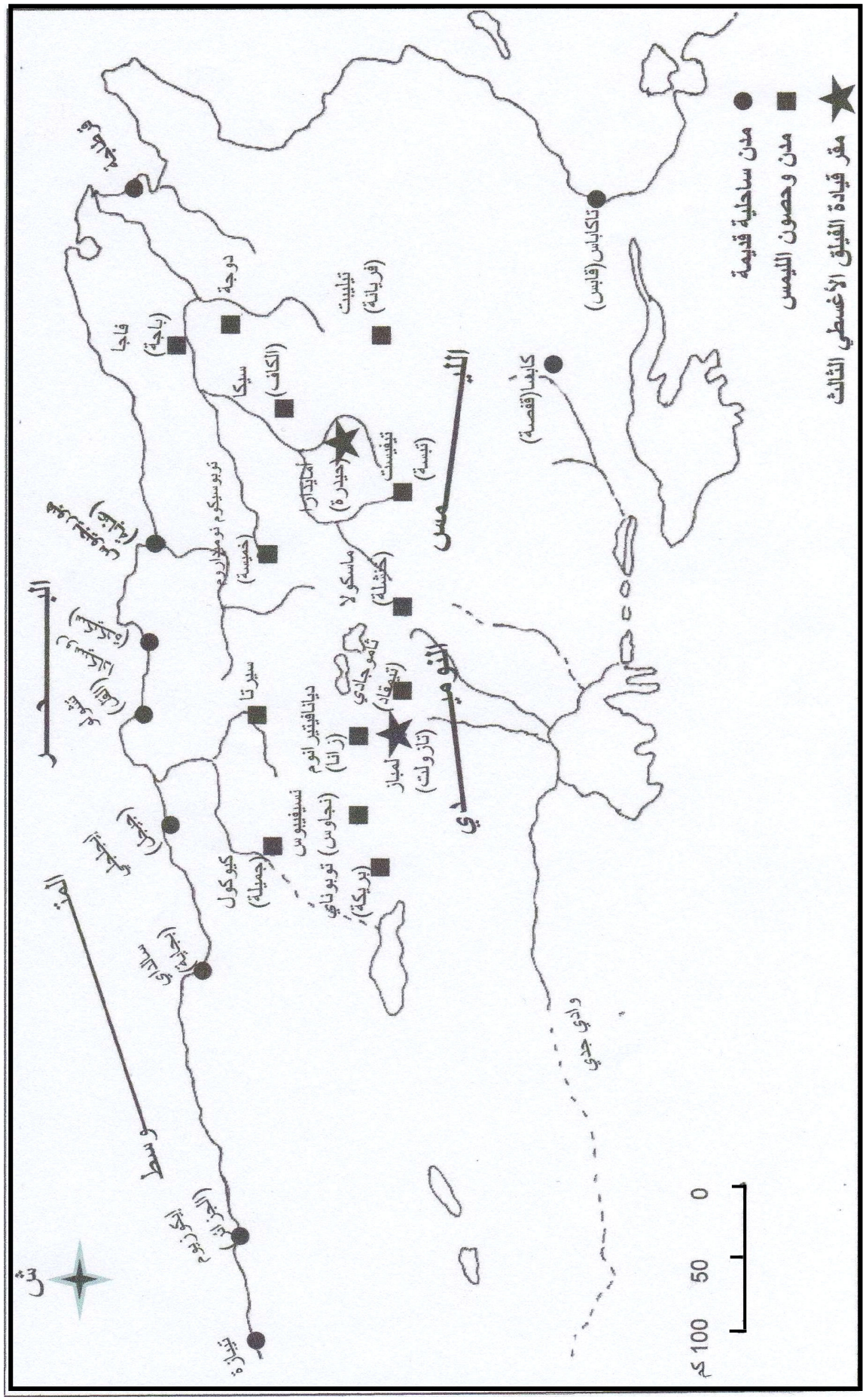

خريطة رقم :05 الليمس النوميدي خلال القرنين الأول والثاني

اعتمادا على : غانم محمد الصغير مقالات حول تراث منطقة بسكرة ....، ص. 106.

الطريق عبر دوريات تتنقل بصفة منتظمة بين نقاط المراقبة تلك[1]. إما لغرض الحراسة أو لتأمين نقل الغلات الزراعية لتلبية احتياجات الجيش الروماني أو لتزويد المدن المرومنة في الشمال. خاصة بعد اهتمام الرومان بأعمال استصلاح الأراضي والتحكم في الثروة المائية في المناطق الجبلية والتخوم الصحراوية[2]. ويشهد على ذلك ما تبقى من آثار تلك المنشآت المتعلقة بالسقاية أو معاصر الزيتون عبر مختلف المناطق الأوراسية، وفي هذا السياق نشير إلى استغلال الرومان للأراضي الخصبة على ضفاف الوديان. ذلك ما تؤكده القناة التي حفرت بأسفل الصخر عند مخنق تيغانيمين في الضفة اليمنى لوادي الأبيض[3] والتي من الواضح أنها تنقل مياه الوادي إلى إحدى الضيع الموجودة في المكان المسمى ولجة الرمان (Ouljat Roumane) على مسافة تقارب 200 متر[4] .أنظر شكل رقم :02 صفحة: 137.
كما عثر على عدد كبير من بقايا معاصر الزيتون في مناطق الأوراس مثل بني فرح (Beni-Frah) ووادي عبدي وفي تكوت (T'Kout) أين عثر على معصرة قديمة ما تزال تشتغل بنفس الطرق المستخدمة في العهد الروماني[5].أنظر شكل رقم :03 صفحة: 138.

إن اهتمام الرومان باستغلال الأراضي الزراعية في المناطق الجبلية بعد أن عملوا على إحكام السيطرة عليها بفعل الحصون والقلاع والطرق وإنشاء المستوطنات لقدماء الجيش، يؤكد الدور الهام الذي لعبه الليمس بمختلف عناصره في تكريس سياسة الرومنة المنتهجة والقائمة على فرض الأمر الواقع على السكان الأصليين بتجريدهم من أراضيهم وطردهم نحو الجنوب أو إرغامهم على الاندماج التدريجي والقبول بالأمر الواقع.

---

(1) - Despois (J.) , La bordure saharienne de l'Algérie orientale, R.Afr.,1942-43, pp.197-219.

(2) - شنيتي محمد البشير، التوسع الروماني نحو الجنوب وآثاره الاقتصادية والاجتماعية، (مجلة الأصالة)، ع.41، مطبعة البعث، قسنطينة-الجزائر، 1977، ص ص. 2-24.

(3)- Gsell (S.), A.A.A., F.38, N°.55.

(4)- Ibid.

(5)- Camps (F.H.) , L'olivier et l'huile dans l'Afrique romaine, imprimerie officielle, Alger, 1953, pp.42-43.

شكل رقم: 02 قناة رومانية لنقل المياه حفرت على الضفة اليمنى للوادي الأبيض في مخنق تيغانيمين.

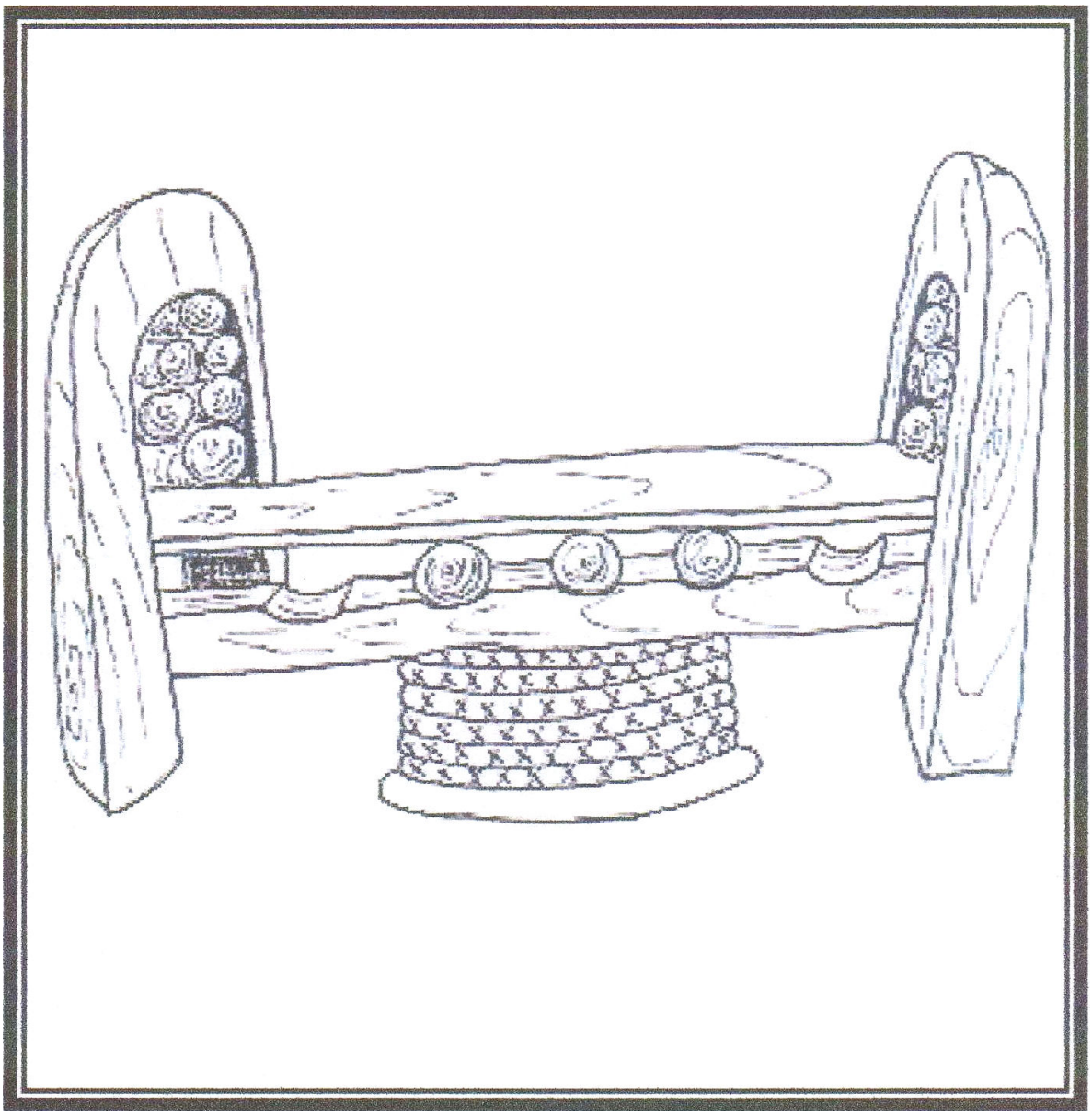

شكل رقم: 03 معصرة لزيت الزيتون ما تزال تشتغل بنفس الكيفية التي كانت عليها في القديم عثر عليها في منطقة تكوت.

إعتمادا على: -Camps (G.H.), op.cit.,p.43.

3. ليمس القرنين الثاني والثالث :

لقد ارتبط ليمس القرن الثاني بالأعمال التي قام بها الأباطرة الأنطونيين خاصة تراجان (Trajan) وخلفه هادريان (Hadrian). حيث نجد أن الإمبراطور تراجان أقام مرتكزات الليمس النوميدي أو ما يسمى بالليمس الأوسط في بداية القرن الثاني الميلادي[1]. ذلك أنه قام بمد الليمس إلى جنوب الأوراس وبالتالي تطويق الكتلة الأوراسية من جهة الجنوب بعد إحكام السيطرة عليها شمالا بواسطة الحصون والمراكز العسكرية والطرق المقامة على سفوحها الشمالية، استكمالا لذلك عمل على توسيع السيطرة الرومانية[2] وتبعا لذلك أمر بإنشاء حزام أمني مشكل من التحصينات والمراكز العسكرية التي تعتبر مرتكزات الليمس النوميدي وهي :

هنشير بسرياني (نقرين) (Ad Majores)[3].

حصن شبيكة (Ad Speculume)[4].

حصن تادارت (Ad Madias)[5].

حصن بادس (Ad Badias)[6].

حصن تهودة (Thabodeos)[7].

حصن بسكرة (Vescera)[8].

---

(1)- Guey (J.) , Note sur le limes Romain de la Numidie et le sahara au IV^e siècle ,M.A.H., N°.1, vol. 56, 1939, pp .178 – 248.

(2)- Mesnage (J.) , op.cit., p. 61.

(3)- Gsell (S.), A.A.A., F.50,N°.52 ;Baudot (L.), Etude sur l'oasis de Negrine et les ruines de Besseriani (Ad Majores), R.S.A.C., 1875, pp. 111-126.

(4)- Harmand (L.), op.cit., p. 270.

(5)- Gsell (S.), A.A.A., F.50, N°. 50.

(6)- Gsell (S.), A.A.A., F.49, N°.51.

(7)- Gsell (S.), A.A.A., F.49, N°.01.

(8)- Gsell (S.), A.A.A., F.48, N°.09 ; Ragot (W.) , Le Sahara de la province de Constantine, (1^ere partie), R.S.A.C., (1873-74), p. 140.

بإنشاء هذه الحصون المنيعة يكون الرومان قد عملوا على بسط سيطرتهم وتوسيعها جنوبا. وقد زاد الإمبراطور تراجان من مناعة ومتانة تلك المواقع وفعاليتها الدفاعية وذلك بشق طريق تربط بينها انطلاقا من قفصة بتونس وصولا إلى بسكرة، وربطت تلك الطريق بعدة طرق فرعية تخترق الكتلة الأوراسية من أجل إحكام السيطرة وتطويق الأوراس بإحاطته شمالا وجنوبا بحزام أمني منيع[1].

ولم يكتف الإمبراطور تراجان بتفعيل الحصون الجنوبية، بل نجد أنه يحرص على تدعيم الدور الدفاعي لليمس في شمال الأوراس، وذلك باتخاذ قرار نقل المقر العام للجيش الأغسطي الثالث إلى لمباز (Lambèse) وأعطى لقب بلدية (Municipe) للمدينة. ويكون بذلك قد أكمل الخطة التي بدأها قبله فاسباسيان (Vespassien) عندما نقل مقر الجيش من تبسة (Theveste) إلى خنشلة (Muscula) ومنحها أيضا لقب بلدية رومانية[2].

يبدو أن الإمبراطور تراجان قد أدرك الأهمية الإستراتيجية لموقع لمباز حيث سمح بمراقبة منابع ومنافذ الوديان التي تخترق جبال الأوراس، لا سيما وادي عبدي والأبيض. وقد تدعم تمركز الجيش الروماني في لمباز بإنشاء عدة مستوطنات لقدماء جيش الفيلق الثالث الأغسطي حول لمباز ومحيطها ومن تلك المستوطنات نذكر : ماركونا (Vercunda)[3]، لامبيريدي (Lambiridi) (خربة أولاد عريف)[4]، أم الأصنام (Tadutti)[5]، عين التوتة (Thacarata)[6]، قصر باغاي (Bagai)[7]، المعذر (Cassae)[8]، عين زانه (Diana Veteranorum)[9]، مروانة (Lamasba)[1] وطبنة

---

(1)- Promenade archéologique dans les environs de Tebessa - Debosredon (M.L.) , « », R.S.A.C., 1878, pp. 1-43.

(2)- Cagnat (R.) , op.cit., p. 501.

(3)- Gsell (S.), A.A.A., F.27, N°.240.

(4)- Gsell (S.), A.A.A., F.27, N°.12.

(5)- Gsell (S.), A.A.A., F.27, N°.139.

(6)- Mesnage (J.), op.cit., p.62.

(7)- Masqueray (G.) , op.cit., pp. 65-94.

(8)- Gsell (S.), A.A.A., F.27, N°.141.

(9)- Gsell (S.), A.A.A., F.27, N°.62.

(Tubunae) فـي أقـصى الغـرب والتـي منحـت لقـب بلديـة أثنـاء فتـرة حكـم الإمبراطـور سبتيموس سيفيروس[2].

مـن دون شـك أن تلـك المـستوطنات وغيرهـا التـي شـرع فـي إنـشائها منـذ عهـد الإمبراطور تراجان، كان قد استوطنها قدماء الجيش الروماني من أجل استغلال الأراضـي الخصبة الواقعة شمال الأوراس، ومراقبة تحركات السكان المحليين، وإجبارهم على مغادرة أراضيهم. لا سيما الرافضين منهم للرومنة. وقد لعب الإمبراطور تراجان الدور البارز في إرساء دعائم هذه السياسة وتوسيع حدود نوميديا الرومانية إلى حواف الصحراء جنوبا. زيادة على جعله من جبال الأوراس منطقة محاطة من كل الجوانب، ومعزولة عن بقية المناطق بما في ذلك المناطق الواقعة غربها لاسيما متليلي (Metlili) والحضنة. ومن ثمة عمل الرومان على الحد من تحركات القبائل الموزيلامية المعادية للتواجد الروماني على أراضيها من جهة، ومحاولة دمجها في المدنية الرومانية من خلال إرغامها على الاستقرار وممارسة الزراعة بدلا من التنقل والترحال[3].

بعد أن شرع الرومان في استغلال السهول الخصبة الواقعة شمال الأوراس، ذلك الاستغلال الذي سيعرف ذروته إبان الفترة البيزنطية حسب اعتقاد جون لاسوس (J.Lassus)[4].

لقد أشرنا فيما سبق إلى ارتباط ليمس القرن الثاني بالإنجازات التي حققها الأباطرة الأنطونيين. ذلك أن الإمبراطور هادريان (Hadrian) الذي خلف تراجان لم يتوان في استكمال السياسة التي بدأها سلفه تراجان، حيث قام بمد طول الليمس النوميدي على إثر الزيارة التي قام بها لإفريقيا في ربيع سنة 122 م، حيث أمر بإنشاء معسكر سور جواب (Rapidum) على بعد 35 كم غرب أومال (Auzia)[5].

---

(1)- Gsell (S.), A.A.A., F.27, N°.240.

(2)- Mesnage (J.) , op.cit., p. 63.

(3)- Benabou (M.) , La resistance…, p. 118; Leveau (Ph.) , op.cit., pp. 1097-1103.

(4)- Lassus (J.) , La forteresse byzantine de Thamugadi, fouilles à Timgad, 1938-1956, T.I, Paris, 1981, p. 20, N°.18.

(5)- Salama (P.) , op.cit., p. 26.

ولم يتوقف الأمر عند ذلك، بل نجد أنه يأمر بشق طريق هام تم إنجازها سنة 124 م تـربط بـين أومـال (Auzia) والبرواقيـة (Thanaramusa)، وهـي النـواة الأولـى للـيمس الموريطاني انطلاقا من الليمس النوميدي[1]، وذلك ما يجسد تكامل التحصينات العسكرية الرومانيـة فـي المغرب القديم بصفة عامـة، ذلك التكامل العسكري يكون قد ألغى الحدود الإدارية للمقاطعات لاسيما في مناطق التخوم التي يمر عليها الليمس، لكون العدو مشترك بين المناطق التي ينبعث منها الخطر، والمتسمة بعدم التمايز عن بعضها البعض، ذلك ما جعل وحدات من الفيلق الثالث الأغسطي تتوغل في أقصى الجنوب الموريطاني (منطقة أقنب بالقرب من البيض) كي تبسط مجال سيطرتها شمالي الأطلس الصحراوي[2]، زيادة على إنشاء الرومان للعديد من التحصينات العسكرية والمراكز والقلاع في الجنوب الغربي للأوراس منها :

أ. حصن سدوري (Ausum)[3] الذي أنشأ على منفذ وادي سدوري المعبر الرئيسي بين شطي ملغيغ والحضنة، وهما مجالي انتقال القبائل البدوية باتجاه طبنة ومدوكال، وتكمن أهمية هذا الحصن في كونه يراقب المصدر الوحيد للمياه بين طولقة ووادي الشعير.

ب. مركز القهرة العسكري (Gahra)[4]، يقع على الضفة اليسرى لوادي الشعير، وكانت له أهمية كبيرة نظرا لدوره الاقتصادي والعسكري حيث أقيمت حوله عدة نقاط مراقبة للوقاية من غارات المباغتة، وقد أقيمت حوله منشآت ري هامة منها خزانات واسعة للمياه وقنوات توزيع المياه يزيد طول إحداها عن 10 كيلومترات[5]. إضافة إلى إقامة

---

(1)- Harmand (L.) , op.cit., p.271.

(2) - يمكن إعتبار التحصينات الرومانية في شمالي الأطلس الصحراوي وشرقه والمتوغلة في الجنوب النوميدي من بين التحصينات التي تم إنشاؤها في وقت مبكر، نظرا لأهميتها الإستراتيجية، كونها شكلت سدا منيعا في وجه قسم هام من القبائل المرتحلة والمتعودة على الإنتجاع في مناطق الهضاب العليا، الواقعة شمال مرتفعات الأطلس الصحراوي، وبذلك مثلت تلك التحصينات حاجزا أوليا تصدى للتهديد الذي كانت تحمله قبائل الرحل إلى المناطق الزراعية بجنوب مرتفعات الأقاليم التلية...، لمزيد من المعلومات أنظر:

- شنيتي محمد البشير، الجزائر في ظل الاحتلال الروماني...، ج.I، ص ص. 127-128.

(3)- Gsell (S.) , A.A.A., F.48, N°.01.

(4)- Gsell (S.) , A.A.A., F.47, N°.01.

(5)- شنيتي محمد البشير، المرجع السابق، ص ص. 135- 136.

تحصينات ومراكز عسكرية متعددة على وادي الشعير والماء الحي الذي يشكل نقطة التقاء بين عدة طرق هامة منها طريق لامباز نحو سدوري والمار على الماء الحي والطريق الرابط بين طبنة والدوسن وسدوري عبر مدوكال والماء الحي[1]. أنظر خريطة رقم: 06 صفحة145.

يبدو أن هذه التحصينات والمراكز العسكرية والطرق الرومانية قد ضايقت القبائل المرتحلة وسدت في طريقها كل المنافذ نحو الانتجاع في أقاليم رعيها في الحضنة وجنوب الأوراس، مما جعلها تتجه بأعداد كبيرة نحو سفوح الأطلس الصحراوي (جبال أولاد نايل وجبال عمور) ومنها إلى الهضاب العليا الموريطانية[2]، ذلك ما أدى بالرومان إلى إنشاء الحصن الشهير **"قلعة ديميدي"** (Castellum dimmidi) قرب مسعد، وذلك سنة 198 م بأمر من الإمبراطور سبتيموس سيفيروس[3].

ومن الأدلة على استمرار الأباطرة الأنطونيين نشير إلى اهتماماتهم العسكرية بالأوراس وما حولها من المناطق وذلك باستهداف المواقع الإستراتيجية والأهداف الدفاعية والاقتصادية، زيادة على العمل باستمرار السيطرة على السكان المحليين. ذلك أن الإمبراطور أنطونينوس التَّقِي (Ontonin le pieux)[4] الذي بدأ حكمه سنة 138 م عمل

---

(1) - Baradez (J.) , op.cit., p . 297.

(2) - رغم تلك الشبكة الدفاعية التي أقامها الرومان والمتمثلة في الطرق والتحصينات، ومراكز الحراسة ثم المراقبة، إلا أنها لم تحقق لهم الأهداف المتوخاة منها بالشكل المرضي للإدارة العسكرية الرومانية، ذلك لأن أعداد كبيرة من البدو الرحل كانوا يمرون عبر ممر هام بقي لمدة طويلة خارج الشبكة الدفاعية الرومانية، وهو المنخفض الواقع ما بين السفوح الجنوبية لجبال أولاد نايل وجبال عمور، فضلا عن كون المنخفض يشكل سهلا واسعا وملائما لرعي الماشية، ويضم مخارج كثيرة ومسالك عديدة نحو اتجاهات مختلفة...، لمزيد من المعلومات أنظر:

- شنيتي محمد البشير، الجزائر في ظل الاحتلال الروماني...، ج. I، ص ص . 140-141.

(3) - Picard (G.Ch.) , op.cit., p . 31.

(4)- أنطونينوس التقي (Ontonin le pieux): هو أحد أشهر الأباطرة الرومان، ولد في مدينة لانوفيوم (Lanuvium) قرب روما سنة 86م، رغم انتمائه إلى عائلة ثرية إلا أنه تجهل فترة هامة من حياته، وهي الفترة السابقة لتوليه عرش الإمبراطورية، باستثناء توليه القنصلية سنة 120م، وعضويته في المجلس الإمبراطوري فيما بين سنتي 133 – 136م ، عرف الإمبراطور أنطونينوس بفضائله النبيلة، وحسن أخلاقه وعدله واستقامته، ورغم تلك الصفات التي أعطت له لقب التقي إلا أن فترة حكمه لم تخل من التمردات والثورات في مختلف مقاطعات الإمبراطورية، ذلك ما جعله يأمر بالتدخل العسكري للجيش الروماني، مثل أحداث سنة 145م في إفريقيا والتي فرضت عليه تدعيم الفرق العسكرية العاملة على حدود المقاطعات الإفريقية. وتوفي الإمبراطور أنطونينوس التقي يوم 07 مارس سنة 161م في لاتيوم بروما...، لمزيد من المعلومات أنظر:

- Leglay (M.) et Autres, op.cit., p p.307-310.

على إخضاع الأوراس من خلال شبكة الطرق التي أنشئت أثناء فترة حكمه، واستهدفت اختراق جبال الأوراس من الشمال نحو الجنوب، بمحاذاة الوديان وذلك لاستغلال الأراضي الخصبة المتواجدة على ضفافها، أملا في تحقيق السلم الروماني الذي كاد ينهار أمام تلك الجبال الصامدة في وجه الرومنة[1].

وتبعا لذلك أنجزت في عهد الإمبراطور أنطونينوس التَّقِي طرقا هامة مخترقة جبال الأوراس من الشمال إلى الجنوب انطلاقا من مركز قيادة الفيلق الثالث الأغسطي، وأسندت مهمة إنجازها إلى الفرق المساعدة في الجيش الروماني، التي استفاد قدماء محاربيها بالضيعات المتواجدة على ضفاف الوديان التي سايرتها شبكة الطرق العابرة للأوراس. وفي ذلك السياق يأتي إنشاء الطرق التالية :

1. تبسة (Theveste) – نقرين (Ad-Majors)[2].
2. خنشلة (Mascula) – بادس (Ad-Badias) بمحاذاة وادي العرب[3].
3. تيمقاد (Thamugadi) – تهودة (Thabudeos) بمحاذاة وادي الأبيض[4].
4. لمباز (Lambese) _ بسكرة (Vescera) مرورا بمنعة (? Tfilzi)[*] وجمورة بمحاذاة وادي عبدي[5].
5. لمبـــاز (Lambese) _ القنطـــرة (Calceus-Herculis) _ لوطايـــة (Mesarfelta)_ بسكرة على الوادي الحي[6].

---

(1)- Berbent (J.) , Aquae Romanae, recherche d'hydraulique romaine dans l'est algérien, service des antiquités de l'Algérie, Alger, 1962, pp. 287-289.

(2)- Harmand (L.), op.cit., p. 272.

(3)- Masqueray (G.), op.cit., pp . 65-94.

(4)- Willmanns, Mommsen (Th.), Corpus inscriptionum latinarum (=CIL), VIII, 5, Suppliment, Berlin, 1881,N°. 10230 ; Gsell (S.), A.A.A.,F.38, N°.55.

(*) لقد أشار ب.موريزو (P.Morizot) وجود مدينة كان يسكنها قدماء المحاربين الرومان إلى جانب الأهالي في منعة حاليا باسم تفيلزي (Tfilzi) وكانت تظم مؤسسات إدارية وسياسية رومانية. لمزيد من المعلومات حول الموضوع أنظر:
- Morizot (P.), Le génie Auguste de Tiflzi, nouveaux témoignages de la présence romaine dans l'Aures, Bull.arch.du C.T.H.S., Ser.10-11b, Paris, 1977, pp. 45-91.

(5)- CILVIII, 2464 ; Baradez (J.), op.cit., p .155 ; Gsell (St), A.A.A.,F.38, N°.40 .

(6)- Gsell (S.), A.A.A.,F.37, N°.47 ; Cagnat (R), op.cit., pp. 566- 567.

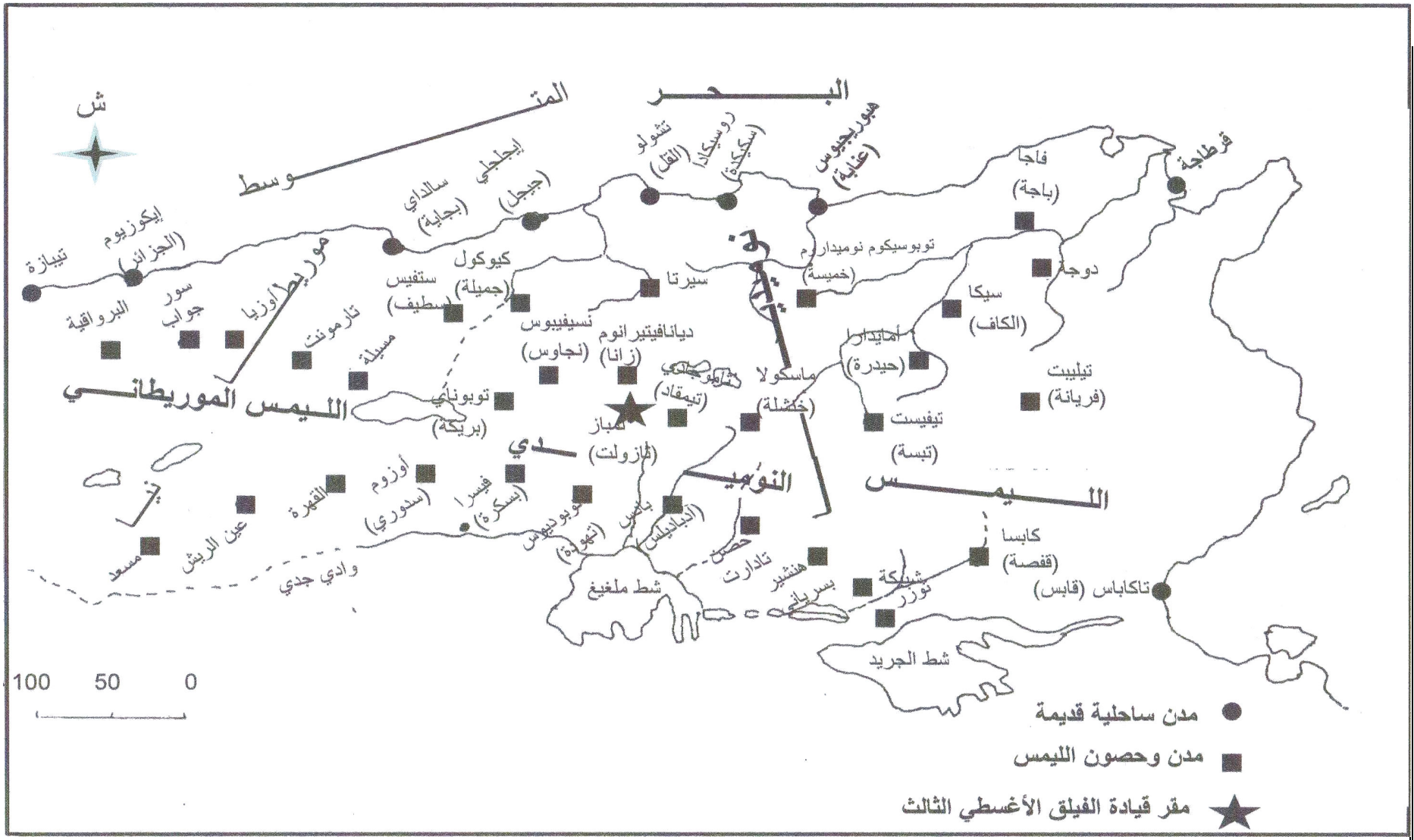

خريطة رقم :06 الليمس النوميدي خلال القرن الثالث الميلادي

اعتمادا على : غانم محمد الصغير مقالات حول تراث منطقة بسكرة ....، ص. 106.

لقد اضطر الرومان إلى اختراق الخوانق عند إنشاء الطريق : لمباز – القنطرة – لوطاية – بسكرة عند البوابة الشمالية للقنطرة، وكذلك في الطريق : تيمقاد _ تهودة عند فج تيغانيمين (Tighanimine) الذي تخلد ذكرى إنجازه من قبل الفرقة السادسة: فراطة (Ferrata) السورية نقيشة مؤرخة بـ سنة 145 م، أي أثناء حكم الإمبراطور أنطونيوس التَّقِي (135-146 م). حفرت في الصخر على الضفة اليمنى لوادي الأبيض[1]. أنظر شكل رقم: 04 صفحة: 147.

وقد أشار الباحث ج.ب.فور (Jean-Pierre Faure) إلى عثور الجنرال سانت أرنو (Saint Arnaud) أثناء حملته على النمامشة والأوراس في 03 ماي إلى 16 جوان 1850 في خنقة تيغانيمين على ثلاث نقوش لاتينية لم يبق منها إلا النقيشة المشار إليها سابقا، كما لاحظ ذات الباحث التطابق الكبير بين خنقتي القنطرة وتيغانيمين سواء من الجانب الطبيعي أو أعمال الري التي شيدها الرومان في الموقعين[2] والتي ما تزال آثارها واضحة للعيان إلى يومنا هذا، سواء تعلق الأمر بالطريق المسايرلوادي القنطرة ووادي الأبيض أو بأعمال الري المقامة على ضفتي الوادين، وتشهد على ذلك ما تبقى من قنوات جلب المياه المحفورة في الصخور المشكلة للخنقتين.

رغم كل هذه الأعمال المرتبطة بشق الطرق، وإقامة التحصينات، والتي سعى الرومان من خلالها إلى فرض مراقبة صارمة على الأهالي، إلا أنها لم تسلم من هجمات الثوار وهو ما جعلهم على ما يبدو يضيفون إلى الليمس العنصر الثالث وهو الخندق (Fossatum) الذي كان يحاذي في أغلب الأحيان الطرق الاستراتيجية أو القلاع والحصون، وهو نوع من التحصينات العسكرية تكون في شكل خندق أو ركام من التراب والصخور، قد يصل طول بعض تلك الخنادق إلى 45 كم. في حين يتراوح عرضها ما بين 04 إلى 10 أمتار[3].

---

(1) - Salama (P.), op.cit., p. 27.

(2) - Faure (J.P.),Un manuscrit inédit conservé à la bibliothèque de l'institut de France,la description des ruines situées sur la route suivie par la colonne du général de saint- Arnaud dans les Némenchas et dans l'Aures du colonel Carbuccia (03 Mai – 16 Juin 1850), (AOURAS),N°.2,Société des études et des recherches sur l'Aures antique,Paris,2004, pp.17-57.

(3) - Harmand (L.), op.cit., p. 273.

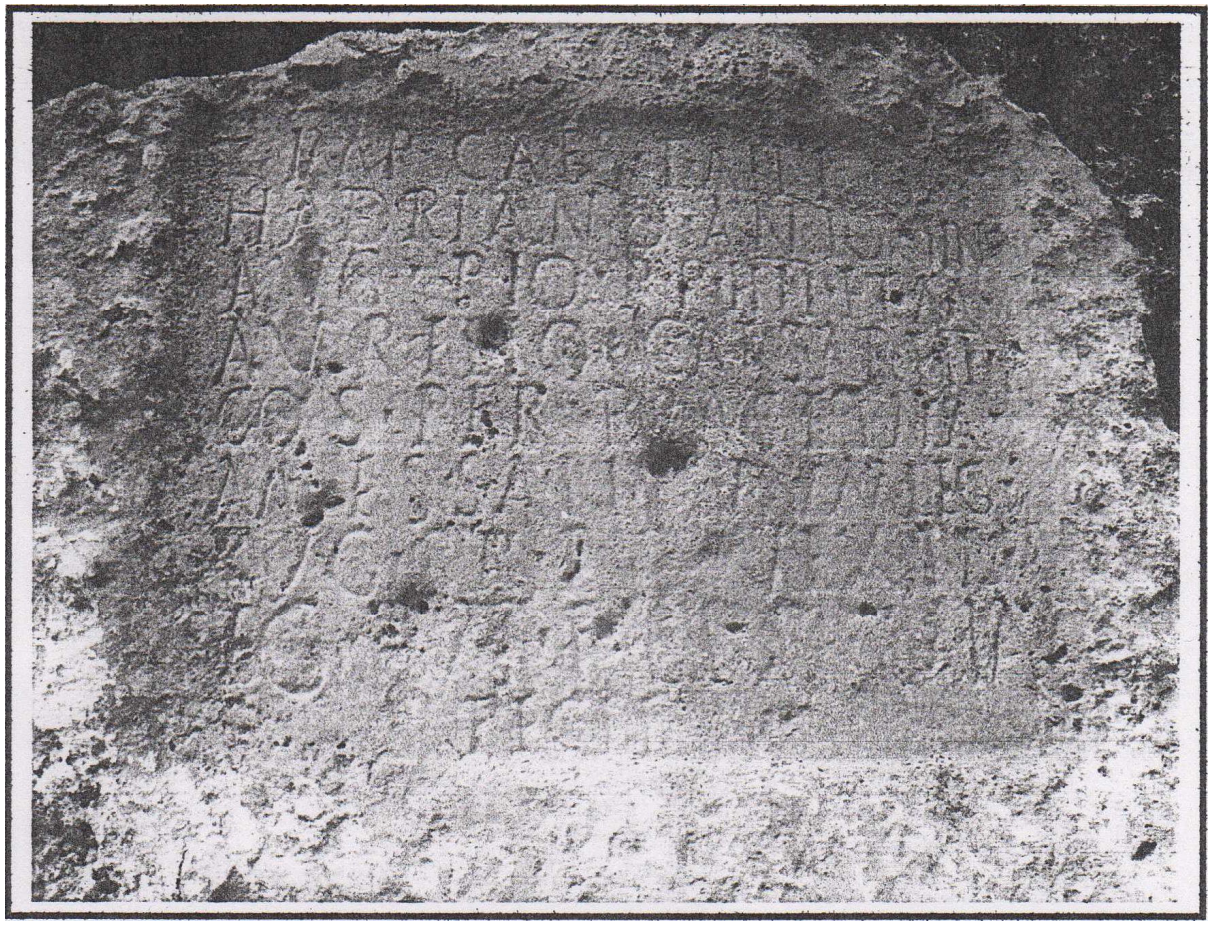

شكل رقم: 04 نقيشة لاتينية تخلد ذكرى إنشاء الطريق الرابط بين لمباز وتهودة كتبت سنة 145 للميلاد من قبل الفرقة السادسة فيراتا التابعة للجيش الروماني.

عن: Salama (P.), op.cit., PL.II.

محتوى النقيشة:

تحت حكم الإمبراطور، قيصر. ت.أيليوس أنطونينوس (أنطوان التقي)، أغسطس التقي، أبو الوطن، قنصل للمرة الرابعة، ووالد مارك أورال قيصر (تبناه بطلب من هادريانوس) القنصل للمرة الثانية. بأمر من براستينا ميسالينوس، قائد إمبراطوري وبروبريطور، أنجزت الفرقة المساعدة السادسة (فيراتا) هذه الطريق.

ملاحظة:

الفرقة السادسة فيراتا تم استدعاؤها من سوريا، دون شك لتدعيم الفرق العسكرية المتواجدة بإفريقيا في حربها ضد السكان المحليين الثائرين في وجه الإحتلال الروماني.

عن: Salama (P.),op.cit.,PL.II.

والملاحظ أن هذه الخنادق أقيمت في المناطق غير الآمنة من هجمات الثوار، من ذلك الخندق الذي أقيم بين وادي القنطرة وطبنة، والذي يتشكل من أربعة أجزاء بدءً من منطقة سبع مقاطع (Seba Megata)، ثم قريرة و داية (Guérira et Daya) ثم ثنية الواسطة (Thniet Elouasta) فيصل إلى طبنة[1]. ويقابل هذا الخندق في جهة الجنوب الشرقي للأوراس خندق آخر والذي يبدأ من نقرين (Ad-Majores) ويصل إلى شبيكة (Chebika) ومتلاوي (Metlaoui) شرقا[2].

يبدو أن هذه الخنادق المشار إليها آنفا كانت قد أنشئت في فترات متعاقبة، وذلك حسب ما تقتضيه الضرورة الأمنية، ويعتقد ضابط الطيران الفرنسي ج.براديز (J.Baradez) أن بداية إنجاز الخندق الذي أقيم بين وادي القنطرة وطبنة شهدتها فترة حكم الإمبراطور هادريان، خاصة وأنه قام بزيارة تفقدية ثانية للإشراف بنفسه على عمل الجيش الروماني في إفريقيا سنة 128 م، ولا يستبعد أن يكون قد أمر بحفر الخندق في بعض هذه المواقع بالجنوب النوميدي وأن هذه الفكرة تدعمت إبان حكم الإمبراطور أنطونيوس التَّقِي[3]، وبذلك تبدأ معالم السيطرة الرومانية في الارتسام رغم أنه لا يستبعد أن تكون بعض الحاميات الرومانية قد تجاوزت حدود الليمس لملاحقة بعض الفارين أو بعض الثوار الذين كانوا يغيرون من حين لآخر على الأهداف الرومانية.

4. السقاية والزراعة في مناطق الليمس :

لقد أشرنا فيما سبق إلى كون الليمس كان مؤسسة بالغة التعقيد نظرا لمكوناتها المختلفة وأنشطتها المتنوعة، والتي تدل على طابع الهيمنة الذي اتسمت به السياسة الرومانية من خلال إنشائها لخطوط الليمس لأغراض متعددة، إذ لم تقتصر على الجانب الأمني والعسكري الدفاعي فحسب، بل تعدت ذلك لتشمل الجوانب الاقتصادية لا سيما المجال الزراعي باستصلاح الأراضي النوميدية واستغلالها، خاصة تلك الواقعة في أقصى الجنوب بالتخوم الأوراسية وأطراف الصحراء، إذ لا يمكن استبعاد ارتباط توغل الرومان نحو المناطق

---

1) - Baradez (J.), op.cit., p. 54.

2) - Harmand (L.), op.cit., p. 273.

3) - Baradez (J.), op.cit., pp. 155-156.

الجنوبية النوميدية بتوفر شبكة المياه، العامل الأساس لاستغلال الثروة الزراعية التي تدرها الأراضي الخصبة في تلك المناطق. ذلك ما أدى إلى تنامي حركة الاستيطان في الجنوب، مما جعل مؤسسة الليمس إحدى أهم آليات تكريس الهيمنة الرومانية على الأرض والإنسان.

أ. أعمال الري :

لم يكتف الرومان بالاستيطان واستغلال الأراضي التلية النوميدية والتي تتوفر على المياه والإمكانيات الطبيعية لقيام زراعة كثيفة، بل تجاوزت حركة استيطانهم ذلك لتشمل المناطق الجنوبية على حواف الصحراء ومشارفها وذلك تبعا لما يحرزه الجيش الروماني من تقدم في الميدان، زيادة على كون حركة الاستيطان شكلت إحدى آليات تكريس الاحتلال الشامل، أي السيطرة على الأرض والإنسان من خلال فرض الأمر الواقع على السكان المحليين. وبزيادة الكثافة البشرية المواكبة لتقدم الجيش نحو الجنوب تزايدت الحاجة إلى المياه والتحكم فيها واستغلالها. واعتمدت السياسة الرومانية في مجال المياه على جانبين هما: التجميع والتوزيع عبر قنوات النقل.

1. تجميع المياه وتخزينها :

لقد اعتمد الرومان على ثلاث آليات لتجميع المياه وتخزينها، حيث تمثلت الآلية الأولى في بناء السدود في مخانق ومضائق طبيعية تمر عليها الوديان المنحدرة نحو الجنوب مخترقة في معظمها جبال الكتلة الأوراسية، ويتم نقل مياه تلك السدود عبر سواقي تساير إحدى ضفتي الوادي ومن ثمة الاتصال بالضيعات والمزارع والواحات القريبة منها، وقد وجدت الكثير من نماذج هذه السدود الموصولة بالسواقي منها آثار سد على وادي القصب (O.Ksob)[1] وآثار لسد آخر على وادي بريكة (Thobonae)[2] وفي وادي مازوز (Mazouz)، آثار سد روميلة (Ced Roumila)[3] وفي وادي الأبيض ما تزال ساقية محفورة في الصخر أسفل الوادي والتي أشرنا إليها سابقا .

)1(- Gsell (S.), A.A.A., F.25, N°.82, 83.

)2- Gsell (S.), A.A.A., F.37, N°.7. (

)3- Gsell (S.), A.A.A., F.37, N°.20. (

أما الآلية الثانية التي اعتمدها الرومان في تجميع المياه فتتمثل في الخزانات المقامة على المناطق المشرفة على الحدائق والمزارع، وفي الغالب تكون الخزانات قريبة من المنابع الطبيعية، وقد وجد في تكوت (T'Kout) خزان للمياه دائري الشكل يبلغ قطره 27 متر وعمقه 1,50 متر يتلقى المياه من منبع قريب منه، ولا يزال هذا الخزان يستعمل إلى غاية الآن[1]، وكذلك خزان ثامقرة (Tamagra) قرب خنشلة، الخزان يبلغ طوله 80 مترا وعرضه حوالي 30 مترا، كما توجد عدة نماذج من هذه الخزانات في منطقة متوسة (M'Toussa) قرب باغاي (Bagaï)[2]. زيادة على إنشائهم لخزانات وصهاريج للاستعمال الفلاحي والحضري، فقد استغل الرومان بعض المنخفضات والأحواض الطبيعية لتجميع المياه واستخدامها كخزانات طبيعية مثل أحواض منطقة سبع مقاطع في وادي القنطرة قرب قرية منبع الغزلان وسد برانيس (Branis)، الذي كان يزود منطقة ذراع شيشة التي تدل أثارها على انتشار واسع لزراعة الزيتون، لاسيما في شمالها[3].

أما فيما يتعلق بالآلية الثالثة وهي حفر الآبار، فقد أظهرت التحريات الأثرية كثافة تواجدها وانتشارها في نوميديا الرومانية وعلى مسافات من الأراضي المستغلة، وقد أحصي عدد كبير جدا من هذه الآبار خاصة في رفارف الصحراء، والمثير للاستغراب هو عمق بعضها الذي يتجاوز 50 مترا وعرضها الذي يبلغ الثلاثة أمتار، فكيف تحمل الباحثون عن المياه الجوفية كل هذا العمق، رغم تناقص قيمة البئر كلما كان أعمق يتساءل الأستاذ شنيتي.م.ب؟[4]

ولنا في هذه الآبار أمثلة عديدة، منها ما لا يزال في حالة جيدة ومستعمل إلى حد الآن، من ذلك نذكر بير ماجور (Bir Madjor) وبير سيدياس (Cedias) في جنوب شرق خنشلة[5].

---

(1). Gsell (S . 302 - Berbent (J.) , op.cit., p), A.A.A., F.38, N°.58.

(2) - Berbent (J.), op.cit., p. 146.

(3)- غانم محمد الصغير، مقالات حول تراث بسكرة...، ص ص . 70- 71.

(4) - شنيتي محمد البشير، التغيرات الاقتصادية والاجتماعية في المغرب أثناء الاحتلال الروماني، المؤسسة الوطنية للكتاب، الجزائر، 1984، ص ص . 108- 109.

(5) - Berbent (J.), op.cit., pp. 131-133.

والملاحظ على انتشار هذه الآبار هو تواجدها بالقرب من ضفاف الوديان، لا سيما في الجنوب النوميدي من ذلك انتشارها على ضفاف وديان العرب، الأبيض، قشطان، خاصة في مراحلها الأخيرة في الجنوب عند بادس (Ad-Badias)، نقرين (Ad-Majors)، تهودة (Thabudeos)، زريبة حامد (Zeribet-El-Hamed)، زريبة الوادي (Zeribet-El-Oued)، مما يدل على انتشار الزراعات المتنوعة في هذه المناطق الصحراوية المتاخمة لجبال الأوراس[1].

من جهة أخرى نشير إلى كون هذه المناطق كانت على الدوام محل انتجاع واستغلال فلاحي للسكان الأوراسيين حيث يقومون برحلة الشتاء والصيف، إذ بعد حرثهم لأراضيهم الجبلية يرتحلون إلى تلك المناطق الصحراوية في فصل الخريف لحرثها. وبعد الحصاد الذي يتم غالبا في شهر أفريل يعودون إلى أراضيهم الجبلية لمباشرة الحصاد صيفا. ولا نستبعد أن تكون هذه العادة موروثة من العهد القديم.

2. نقل المياه وتوزيعها :

استعمل الرومان في توزيع المياه تقنية محكمة تكونت من شبكة من القنوات يمكن تصنيفها إلى نوعين من القنوات، أما النوع الأول فقد تمثل في قنوات النقل (Aqueducs) وتكون إما مرفوعة على جسور خاصة أو مخترقة جوف الأرض إذا اقتضت حالة سطح الأرض ذلك. وقد أبدع الرومان في إنجاز هذه القنوات المتسمة بالإتقان والمتانة والفعالية، وقد استعملت لتزويد المدن للاستهلاك الحضري، كما استعملت في الأرياف لسقي الحدائق والبساتين. والملاحظ أن مصادرها غالبا ما كانت بعيدة عن مناطق الاستهلاك ذلك ما تتطلب القيام بأعمال بالغة الضخامة والإتقان[2].

---

[1] - نشير هنا إلى العوامل الاقتصادية التي تحكمت في تقدم خطوط الليمس، و هي البحث عن مصادر المياه و التحكم بها لاستغلال الأراضي الصالحة للزراعة، و التقدم بمناطق السيطرة الرومانية نحو الغرب، للوصول إلى منطقة تقاطع جبال الأوراس مع مرتفعات الزيبان هذين الحاجزين الطبيعيين الذين استند عليهما الليمس النوميدي المتقدم جنوب الأوراس، والذي كان قد شرع في إنجازه الإمبراطور تراجان و دعم تقدمه غورديان III (Gordien III) في الزيبان من خلال التحصينات التي أمر بإنشائها في الدوسن و سدوري (Auzum) ... لمزيد من المعلومات أنظر:

- Guey (J.), op.cit., pp. 178-248.

[2] - شنيتي محمد البشير، التغيرات الاقتصادية...، ص . 111.

وتختلف أحجام تلك القنوات بحسب الغرض الذي أنشأت من أجله أو حجم تدفق المياه من الينابيع التي تشكل مصدرا لها. ففي منطقة الأوراس وجدت قناة لنقل المياه بعين شابور (Ain Chabor) قرب خنشلة بلغ اتساعها 1,20 x 0,70 م، مما يسمح لها بنقل كميات معتبرة من المياه، وذلك ما يوحي بالاستعمال الزراعي لها[1] .

ويدل اختلاف أحجام القنوات على مدى غزارة منسوب صرفها وكمية المياه التي تسعها، مما يعطينا فكرة عن كميات المياه التي تم توظيفها إما في سقاية الأرض أو للاستعمال الحضري، رغم كون القناة لم تكن مملوءة دائما بالضرورة إذ يتحكم في ذلك حالة مصادر مياهها، حيث يمكن أن تقل أو تزيد من فصل لآخر، ويمكن استعراض العلاقة بين قياسات عرض القنوات الناقلة ومنسوب المياه بها كالآتي[2] :

عرض القناة	منسوبها في ثا	منسوبها في 24 سا
10 سنتمترات	5 لترات	432 م^3
20 سنتمترا	10 لترات	864 م^3
30 سنتمترا	15 لترا	1296 م^3
40 سنتمترا	20 لترا	1728 م^3
50 سنتمترا	25 لترا	2160 م^3
60 سنتمترا	30 لترا	2592 م^3
70 سنتمترا	35 لترا	3024 م^3
80 سنتمترا	40 لترا	3456 م^3

ولقد كانت قنوات النقل تنطلق من المنابع أو السدود والحواجز المائية باتجاه مناطق التوزيع وغالبا ما كانت قنوات النقل تتفرع إلى قنوات ثانوية. وعند عبورها لسفوح الجبال أو المرتفعات فإنها تسير متوازية بشكل عمودي أو تستجمع في قناة واحدة لتتم إعادة توزيعها فيما بعد. وقد أمكن ملاحظتها عن طريق التصوير الجوي الذي يبين بوضوح وجود علامات

---

[1] - Berbent (J.), op.cit., p. 226.

[2] - شنيتي محمد البشير، التغيرات الاقتصادية...، ص . 112.

بارزة تميزها تتمثل في بعض الأشجار غير المثمرة التي تنمو عند حوض تجميع المياه أو تساير قنوات التوزيع لمسافات متفاوتة. ويصعب التعرف عليها لدى غير المختصين، وعلى العموم فقد بين التصوير الجوي بشكل بارز نماذج عديدة من تلك القنوات خاصة في الجنوب النوميدي[1] .أنظر شكل رقم :05 صفحة: 154.

أما فيما يتعلق بالنوع الثاني من القنوات المستعملة لدى الرومان، فيتمثل في قنوات التوزيع والسقي، التي تتواجد بشكل كثيف في منطقة جنوبي الأوراس، المحاذية لمنخفض الصحراء الشمالية الشرقية الجزائرية، ويشهد على ذلك العدد الكبير من بقايا الآثار المتعلقة بشبكة السقاية الزراعية الرومانية، والسبب يعود إلى خصوبة التربة (الفيضية) التي تجرفها السيول والوديان المنحدرة من سفوح جبال الأوراس[2]، وقد احتوت هذه المنطقة على منشآت ري كثيرة، منها شبكة ضخمة من قنوات التوزيع والسقي منجزة بإتقان وموزعة بدقة مما يوحي بأن إنشاءها تم على يد الهيئات المشرفة على تلك المناطق وفق مخطط صادر عن السلطة المسيرة للبلاد، وأن المهندسين الرومان كان لهم الدور البارز في إنشاء تلك المنشآت، وذلك تحت إشراف الجيش الروماني الذي يعمل على توفير شروط استغلال تلك الأراضي لتدعيم الدور العسكري الذي يلعبه في الميدان تنفيذا لتوجيهات الأباطرة الرومان[3]، ونلاحظ قنوات السقاية في المخانق التي تعبرها الوديان، إذ كثيرا ما كانت تنشأ في تلك المضائق السدود والحواجز المائية التي تنطلق منها قنوات التوزيع، لتنتشر على ضفتي الوادي والتي أظهرتها الصور الجوية التي التقطها الباحث العسكري الفرنسي ج.براديز (J.Baradez) في كثير من المواقع في الجنوب النوميدي[4]، كما تبدو واضحة أيضا في الصور الملتقطة لخزانات المياه الطبيعية والمناطق المجاورة لها، خاصة تلك الواقعة في الشرق والجنوب الشرقي للجزائر، لاسيما وأن تلك الخزانات والحواجز غالبا ما تقام على مخارج الوديان، فتتضح قنوات التوزيع على طول مجاري تلك الوديان[5].
ومن الواضح أن تلك القنوات تؤدي دور توزيع المياه على الحقول والبساتين المجاورة على ضفاف الوديان، وقد أنجزت في شكل خطوط مختلفة الأبعاد وتظهرها

---

(1)- غانم محمد الصغير، مقالات حول تراث منطقة بسكرة...، ص ص . 73- 74.

(2)- شنيتي محمد البشير، التغيرات الاقتصادية...، ص . 115.

(3) - Berbent (J.) , op.cit., p . 119 ; Baradez (J.), op.cit., p. 424.

(4) - Baradez (J.) , op.cit., p . 325.

(5) - Berbent (J.) , op.cit., p . 122.

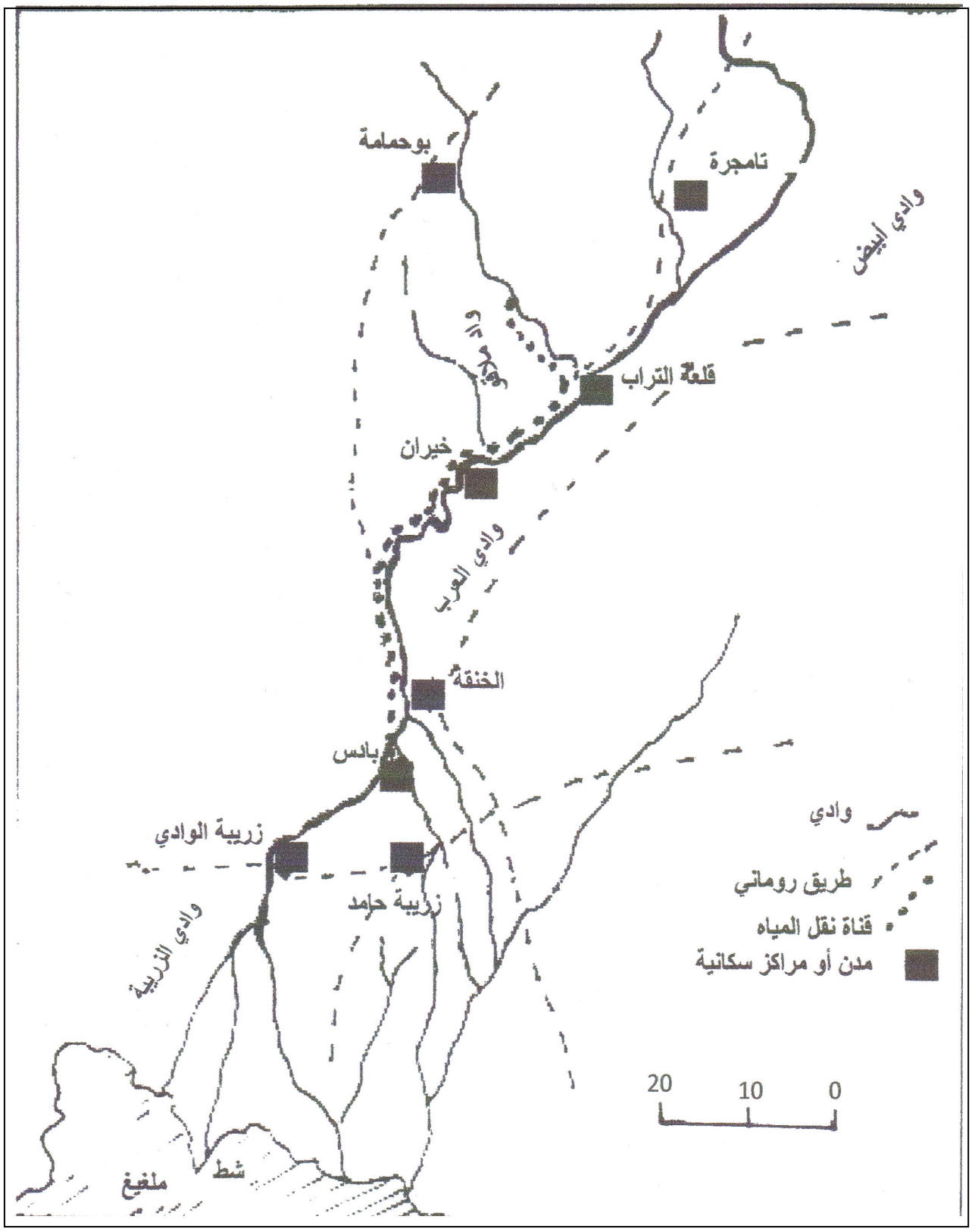

شكل رقم : 05 نموذج من أعمال الزراعة الرومانية في جنوب الأوراس.

اعتمادا على : - Berbent (J.), op.cit.,p.119.

الصور الجوية في غاية الدقة والإتقان والكثافة[1] ، ويعتقد الباحث ج.بربنت (J.Berbent) أن كثافة شبكة التوزيع تلك كان لها كبير الأثر في تسرب المياه إلى جوف الأرض، ثم تظهر من جديد على مسافات متفاوتة في شكل ينابيع وآبار أو أحواض صغيرة غالبا ما كانت تستعمل من قبل المزارعين من جديد[2]. أنظر شكل رقم: 06 صفحة: 157.

وهكذا، يمكن القول بأن شبكة التحكم في المياه التي أقامها الرومان مكنت من استغلال الأراضي الصحراوية وشبه الصحراوية في الجنوب النوميدي. غير أن ذلك يعتبر إحدى عوامل التواجد الروماني واستقراره على حساب السكان الأصليين الذين طردوا من أراضيهم نحو المناطق الجنوبية الغربية.

ب. النشاط الزراعي :

من دون شك أن الثروة الفلاحية النوميدية كانت إحدى الأسباب والعوامل المرتبطة بالاحتلال الروماني لشمال إفريقيا، ذلك أن روما دأبت على إشباع حاجاتها من إنتاج المملكة النوميدية الفلاحي في فترات التحالف بين الدولتين دون عناء. لكن فترات التحالف تلك لم تكن مستقرة ودائمة مما برر ضرورة إلغاء الكيان النوميدي بكامله وذلك ما تم على يد الإمبراطور يوليويوس قيصر (Julius César) سنة 46 ق.م وبذلك يكون الرومان قد بسطوا سيطرتهم على تلك الثروات التي كانت تغويهم منذ القديم، ودمروا من أجلها حضارة بكاملها (قرطاجة) سنة 146 ق.م.

فلا غرو إذن أن يقول قيصر أثناء الاحتفالات بالانتصار الذي حققه في إفريقيا على خصومه البوميين وحليفهم يوبا الأول، واحتلاله للملكة النوميدية **"لقد ضمنت لروما أرضا بإمكانها تزويدنا بكمية تصل إلى 840.000 قنطارا من القمح"**[3].

وعلى هذا الأساس جاء اهتمام الرومان بالمجال الزراعي في المغرب القديم عموما، وقد سجلت لنا البقايا الأثرية المادية التي عثر عليها في منطقة التخوم الصحراوية وفي الأوراس

---

(1) - Baradez (J.), op.cit., p. 425.

(2) - Berbent (J.) , op.cit., pp. 182-184.

(3)- Picard (G.Ch.), La civilisation romaine, Paris, 1959, p. 70.

وجنوبـه الانتشار الكبير للزراعـة الموسمية الواسعة، خاصـة زراعـة القمـح والـشعير نظـرا لملائمة التربة والمناخ، وكذا اهتمام الأباطرة الرومان بضرورة ضمان تموين دائم لرومـا وجيوشـها. ذلـك مـا جعـل الـسلطات الرومانيـة تتـدخل لفـرض الـسياسة الزراعيـة التـي تروق لها بحسب احتياجاتها الاقتصادية[1].

وتبعا لذلك كانت الأراضي الإفريقيـة الـسهلية التـي تـضم الـسواحل التونـسية وحـوض مجـردة والـسهول النوميديـة العليـا التـي تمتـد مـن المرتفعـات الـشمالية إلـى سـفوح شـمال الأوراس، وغيرها من المناطق السهلية في المقاطعات الإفريقية الأخرى التي تعج بـالمزارعين والعبيد وآليات الفلاحة من أجل مزيد من الإنتاج[2]. كما حملت المخلفات الأثرية التي عثر عليهـا فـي الأوراس ورفارف الـصحراء اتـساع الخريطـة الزراعيـة الرومانيـة لتـشمل أنـواع أخـرى مـن الزراعة خاصة الزيتون التي شكلت بدايـة توسيع الزراعـة الـشجرية التـي وإن لـم تـؤثر علـى المـساحات المخصـصة للقمـح إلا أنهـا أضـرت بالـسكان المحليـين وذلـك بـإجلاء البـدو عـن المناطق الرعوية بعد استصلاحها خاصة في مناطق السهوب[3].

والملاحظ أن السياسة الزراعية الرومانية ارتكزت علـى الاهتمـام بإنتـاج القمـح خـلال القـرن الأول الميلادي. أما خلال القرن الثاني فقد توسعت لتشمل الأشـجار المثمـرة والتـي يتـصدرها الزيتـون[4] نظـرا لتزايـد الطلـب علـى مـادة الزيتـون فـي منـاطق عديـدة مـن الإمبراطوريـة الرومانية، ذلك أن إنتاج الزيت كان موجها لاستعمالات عدة منها صناعة الصابون والعطـور واستعماله كزيت للإنارة[5].

وقد ساهمت العوامل الطبيعية في انتشار زراعـة الزيتـون فـي شـمال إفريقيـا عمومـا، ذلـك أن أشجار الزيتون لا تحتاج إلى درجة عاليـة من خـصوبة التربـة كمـا أنهـا لا تقوى علـى تحمـل

---

(1)- Harmand (L.) , op.cit., p. 369.

(2)- شنيتي محمد البشير، التغيرات الاقتصادية... ، ص ص . 89- 90.

(3)- Picard (G.Ch.), La civilisation romaine…, p. 71.

(4)- شنيتي محمد البشير، التغيرات الاقتصادية...، ص . 90.

(5)- Harmand (L.), op.cit., p. 370.

درجـة حـرارة أقل مـن 05° مئويـة شتاءً، فـي حـين تتحمـل درجـة حـرارة عاليـة، بـل يكـون مردود ثمارها من الزيت أكبر في المناطق الحارة[1].

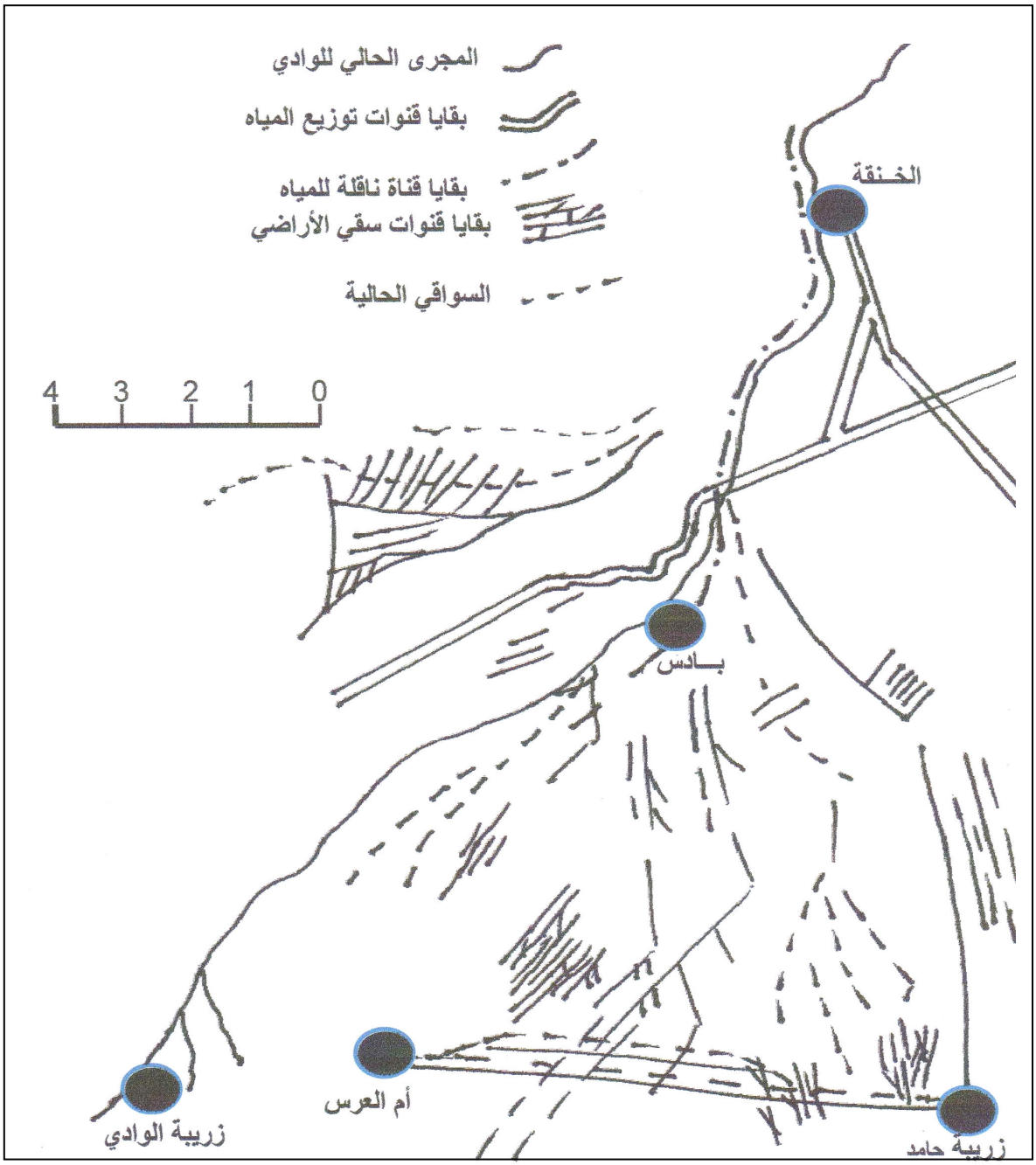

شكل رقم: 06 نموذج من أعمال الزراعة والسقي بمنطقة بادس خلال القرن الثالث الميلادي.

اعتمادا على: -Berbent (J.), op.cit., p.188.

[1]- Camps (H.F.), op.cit., p. 14.

ذلك على ما يبدو ما جعل الرومان يحرصون على تعميم هذه الزراعة الشجرية في المناطق الداخلية والجنوبية من المملكة النوميدية، لاسيما الأوراس وسفوحه الجنوبية المتاخمة للصحراء. وإن كان المغاربة القدامى عرفوا هذه الزراعة قبل التواجد الروماني بزمن طويل وأتقنوا عمليات التلقيم والمعالجة والاستخدام المتعدد الأوجه[1].

لكن التطور الحقيقي لهذه الزراعة عرفته الفترة الرومانية، ذلك أن السياسة الاستعمارية للأباطرة الرومان اتخذت من توسيع زراعة الزيتون أداة لرومنة الأرض والإنسان بفرض حياة الاستقرار على قبائل البدو التي كانت ترتحل من وإلى أطراف الصحراء الشمالية وجنوب الأوراس، مما أدى إلى ارتفاع الكثافة السكانية والعمرانية بتلك المناطق بعد توافد المزارعين عليها، زيادة على إقبال الأهالي لطلب العمل في مؤسسات صناعة الزيت الناشئة طلبا للعمل كأجراء في حقول الزيتون ومعاصره[2].

وتظهر المخلفات الأثرية النجاح الكبير الذي أحرزه الرومان في توسيع نفوذهم ودفع حدود الليمس إلى المناطق الجنوبية بملامستها في عهد الأباطرة السيفيريين أطراف الصحراء الشمالية الشرقية في جنوب نوميديا ومناطق السهوب في جنوب موريطانيا القيصرية[3]، وذلك ما يؤكده الانتشار الكثيف لبقايا آثار معاصر الزيتون، ففي المناطق النوميدية يمكن أن نشير إلى تواجدها في ثاورة (Thaoura) ومداوروش (Madaure)[4] وفي منطقة النمامشة تحديدا في تبسة ومحيطها[5] وفي أعماق الأوراس خاصة ضفاف الوديان منها ما عثر عليه في وادي قشطان (Guechtane)[6].

---

(1)- Jouleaud (L.),L'ancienneté de la fabrication de l'huile d'olive dans l'Afrique du nord, R.Afr., N° 70, 1929, pp. 19-36.

(2)- شنيتي محمد البشير، التغيرات الاقتصادية...، ص . 97.

(3)- Picard (G.Ch.), Castellum Dimmidi…, pp. 65- 66.

(4)- Gsell (S.), A.A.A., F.19, N°.1, 19, 70, 84, 94.

(5)- Gsell (S.), A.A.A., F.29, N°.70, 104, 146.

(6)- Morizot (P.),Les ruines romaines de l'oued Guechtane,R.Afr.,N° 89, 1948,pp.120-142.

وفـي وادي العـرب (O.El Arab)[1]. كمـا تتواجـد آثـار لمعاصـر الزيتـون فـي المنـاطق المجاورة لوديان: القنطرة وعبدي ثم الأبيض[2].

وهكذا تدريجيا أصبحت الأراضي النوميدية تحت السلطة الرومانية التي وظفت كل الآليات العسكرية والاقتصادية لفرض الهيمنة وبسط النفوذ إلى أبعد نقطة ممكنة على حساب السكان الأصليين للبلاد الذي أرغم من أبى أن يترومن منهم على النزوح إلى خارج نطاق الليمس، وفرضت على من تبقى داخل الحدود التخلي عن هويته وطبيعة حياته أيضا بإدماجه في نمط الحياة الرومانية، ذلك أنه ينبغي عليه أن يعمل في الزراعة أو الحراسة أو في معاصر الزيت.

وينبغي التذكير، بأن الرومان كانوا قد دعموا سياسة الرومنة التي مارسوها على الأرض والإنسان بمحاولة تكريسها كأمر واقع على السكان، فبالإضافة إلى الإجراءات السابقة عمل الرومان على إخضاع السكان لنظام ضريبي مجحف، فأنشأوا لهذا الغرض مراكز خاصة ثابتة ومتنقلة لجمع الضرائب المفروضة لتزويد مواقع الحراسة الرومانية بالمواد الغذائية، وضمان تموين كتائب الجيش، لاسيما المساعدة منها (Les auxiliaires) التي كانت تنتشر في مناطق الليمس[3].

ولا يمكن فصل فرض الضرائب في فترة الاحتلال الروماني عن الوضع المترتب عن انتصار روما في المغرب القديم واعتبار الأرض والسكان ضمن الغنائم التي تصبح ملكا للشعب الروماني المنتصر. ومن ثمة أصبحت الأرض النوميدية بمن عليها ملكا عموميا للشعب الروماني. وسكانها مهزومين، عليهم دفع الضريبة، استبقاءً لحياتهم وحريتهم. وقد أوكلت مهمة جمع الجبايات إلى حاكم الولاية الإفريقية في بداية إنشائها، ثم ما لبثت أن أوكلت إلى السلطات المحلية في المدن (ممثلي الخزينة العمومية ومجالس البلديات)[4] وكانت مراكز محصلي الضرائب عبارة عن مستودعات تجمع فيها الحبوب والزيوت. ولقد أمكن التصوير الجوي من ملاحظة إحدى هذه المستودعات في منطقة تهودة. والمرجح أنه

---

[1]- Alquier (J.), Les ruines antiques de oued El Arab, R.Afr., N°.82, 1941, pp. 31-39.

[2]- Camps (H.F.) , op.cit., p. 29.

[3]- غانم محمد الصغير، مقالات حول تراث منطقة بسكرة...، ص . 78.

[4]- شنيتي محمد البشير، التغيرات الاقتصادية...، ص ص . 127-128.

يعود إلى القرن الثاني أو الثالث الميلادي بالنظر إلى طريقة بنائه، كما وجد مستودع ثان في قريـة الملاقـة (حاليـا) يعـود إلـى فتـرة حكـم الإمبراطـور تراجـان، أي بدايـة القـرن الثـاني الميلادي[1].

يستخلص من السياسة الزراعية الرومانية المنتهجة عموما في بلاد المغرب القديم ارتباطها بالسياسة الإمبراطورية القائمة على رسم أهداف بعيدة من شأنها إطالة الوجود الروماني. وفي ذلك السياق يندرج تقسيم الأراضي الزراعية النوميدية المنتزعة من القبائل وتوزيعها على العائلات الأرستقراطية التي تنتمي إلى مجلس الشيوخ تحت نظام الحيازة، والجنود المسرحين من الجيش، إضافة إلى ما أخذ من الأراضي باسم الإمبراطور وعائلته[2].

ولم تكن القبائل المرتحلة أحسن حالا من القبائل المزارعة. إذ أن تنقلات تلك القبائل الممارسة للرعي كانت تضايق المؤسسات العسكرية والاقتصادية الرومانية داخل حدود الليمس. ذلك ما دفع بها تدريجيا إلى مغادرة أراضيها والنزوح نحو الجنوب أو الاندماج في الحياة الرومانية كيد عاملة زهيدة لدى المستوطنين الرومان. ومن ثمة تكاملت فصول السياسة الرومانية ذات الأبعاد الاستعمارية بالعمل على رومنة الأرض والسكان وتحويل الوجه العام للبلاد تماشيا مع الإستراتيجية المرسومة منذ سقوط قرطاجه 146 ق.م. وتجسدت هذه السياسة في تدرج مؤسسة الليمس نحو الجنوب وتكامل أجزائها ومحتوياتها لرومنة أكبر قدر ممكن من الأراضي والسكان المحليين.

5. انعكاسات مد خطوط الليمس الدفاعية:

لقد أشرنا في الفصل الثالث من هذا البحث إلى أن أحد أسباب ثورة الزعيم الموزيلامي تاكفاريناس كان المطالبة باستعادة الأراضي النوميدية التي استولى عليها الجيش الروماني في إطار تسابق الرومان على احتلال أكبر قدر ممكن من الأراضي الفلاحية، وهو ما دفع على ما يبدو ثاني إمبراطور (تيبيريوس) إلى توسيع الحدود الرومانية نحو الجنوب والاستيلاء على أراضي القبائل النوميدية النازلة في الأوراس وشرقه.

---

[1]- Baradez (J.) , op.cit., p. 276.

[2]- شارل أندري جوليان، نفس المرجع السابق، ص ص . 217- 218.

وإن كـان المزالمـة وغيـرهم مـن سـكان المغـرب القـديم قـد جـابهوا سياسـة الأبـاطرة الرومان في فجر الإمبراطورية بمقاومة عنيفة وصمود باسل، فإن الرومـان قد عملوا علـى الاحتفاظ بالأرض وتكريس الاحتلال، وذلك من خلال عمليات المسح والكنترة التـي مارسـها ماسحو الأرض(Agrimensores)[1]، إذ كـانوا يقومـون بمهمـتهم بالسير فـي أعقـاب جيش الاحـتلال بعـد انتهائـه مـن عمليـة اغتـصاب الأرض مـن أصـحابها بقـوة الـسلاح، وكـان المستفيدون الأوائل من تلك الأراضـي التـي قُنِّنَ احتلالها بتجزئتها إلـى قطـع متساوية علـى الجنود المتقاعدين بعد منحهم أراضي التخوم ذات الموقع الاستراتيجي[2].

ولم يتوان الأباطرة الذين أعقبوا تيبيريوس فـي استكمال سياسته وتشجيع الاستيطان بإنشاء المستوطنات في شمال وجنوب نوميديا، خاصة الإمبراطور تراجان الذي عمل علـى حشد الأهالي وترحيلهم، ففي هذا السياق انتزع أراضي المزالمة، مما اضطرهم إلـى النـزول في أراضي فقيرة، فـي حين استفاد من أراضيهم المستوطنون الإيطـاليون أو قدماء الجيش الروماني. كمـا شتت قبيلـة نوميديا بين شمال الأوراس وشرقه، وذلك مـا ترتـب عنـه تحول جانب كبير من الأهالي إلى الاشتغال كفلاحين أجراء لدى المستوطنين الرومان[3].

وقد واكب إنشاء المستوطنات توسيع المساحات المزروعة في الأرض النوميدية نحو الداخل باتجاه الجنوب، فاستصلحت الأراضـي من أجل التشجير مع الاستمرار فـي زراعة الحبوب، وذلك ما ترتب عنه إجلاء البدو عن أراضيهم وزحزحتهم نحو الصحراء[4].

كما استهدف الرومان من جانب آخر تشتيت السكان المحليين وعزلهم عن بعضهم البعض لمنع الاتصال والتقارب المحتمل، والذي قد يعيق إنشاء مستوطنات جديدة أو يضايق التواجد العسكري الروماني المكلف بحماية الأراضي المرومنة داخل الليمس [5].

ورغم سعي الرومان من وراء ذلك إلـى تفكيك البنيـة الاجتماعيـة للسكان المحليين وإبعـادهم عـن أراضـيهم التـي تجـذَّروا فيهـا وتوارثوهـا أبـا عـن جـد، فأصـبحوا يرتحلـون مـن الجبـال

---

(1)- Salama (P.), op.cit., p 135.

(2)- شنيتي محمد البشير، التغيرات الاقتصادية...، ص . 52.

(3)- شارل أندري جوليان، المرجع السابق، ص ص . 217- 218.

(4)- Picard (G.Ch.), Castillum dimmidi…, p. 71.

(5)- Despois (J.), op.cit., pp. 197-219.

والسهوب والصحراء بحثا عن الكلأ والماء، إلا أنه حسب اعتقاد (J.Despois) لم يتمكن الرومان من تحقيق أهدافهم من خلال سياستهم تلك، فتوغُل حدود الليمس أكثر في الجنوب ومضايقتها للقبائل المحلية، جعل دور هذه الأخيرة يتعاظم في اختراق الحدود الرومانية والسطو على مزارع المستوطنين والإغارة على أبراج المراقبة ومراكز الحراسة أثناء تنقلاتها الموسمية[1]، ذلك ما ولد لدى الرومان مخاوف على مصالحهم الاستراتيجية، فعملوا على مضايقة السكان باستهداف التحكم في الطرق والمعابر المؤدية من التل إلى الصحراء، لاسيما مخارج الوديان المخترقة للأوراس ومخانقها، وذلك ما تبينه التحصينات وآثار الطرق المقامة في هذه المواقع[2].

هذا زيادة على اتصاف الاحتلال الروماني بطابعه الاستيطاني، الذي عمل على إيجاد الظروف الملائمة لإحداث تغيير جوهري في الخريطة الديموغرافية للمغرب القديم عموما ونوميديا بشكل خاص، إذ توافدت عليها عناصر بشرية جديدة استوطنت مناطق الثقل الاقتصادي، أدت إلى تراجع السكان الأصليين نحو الجنوب، لاسيما بعد اشتداد الأزمة الاقتصادية والاجتماعية بإيطاليا في بداية الحكم الإمبراطوري[3] وتبلور رغبة الأباطرة في الاستيلاء على أراضي الشعوب المهزومة واستغلال ثرواتها[4].

---

(1) - Ibid

(2) - Salama (P.) , op.cit., p. 38.

(3) بدأ نظام الحكم الإمبراطوري في روما عندما انتصر أوكتافيوس على مارك أنطونينوس أثناء الحرب الأهلية وذلك في معركة أكتيون البحرية في اليونان، فأصبح الحاكم الأول في روما ومنحه مجلس الشيوخ الروماني لقب أوغسطس أي العظيم ، وذلك يكو أكتافيوس أول إمبراطوري روماني ... لمزيد من المعلومات أنظر:

- سيف الدين الكاتب، أطلس التاريخ القديم، دار الشرق العربي، بيروت، لبنان، 2005، ص. 103.

(4) - Lassère (J.M.),Ubique populus, peuplement et mouvement de populations dans l'Afrique romaine, de la chute de Carthage à la fin de la dynastie des sévères (146 Av.J.C-235Ap.J.C), Paris, édition C.N.R.S., 1977, p. 294.

وتبعـا لـذلك توافـد علـى التـراب النوميـدي عناصـر أجنبيـة مختلفـة الأعـراق، مـنهم الأسـبان، الغاليون، الإغريق والسوريون[1].

وقد سـجلت لنـا الوثـائق التاريخيـة اهتمـام العناصـر الـشرقية والـسورية بـشكل خـاص بمجـالي التجـارة والجـيش، خاصـة فـي الجنـوب النوميـدي باعتبـارهم يحـسنون القتـال فـي المنـاطق الـصحراوية وشـبه الـصحراوية، وذلـك منـذ فتـرة حكـم الإمبراطـور أنطونينـوس التَّقِـي (138-161م)، ولنـا فـي الآثـار والنقوش المتواجدة في القنطـرة (Calceus Herculis) أحسن مثـال على ذلك[2]، والتي بينت التواجد الكثيف لهؤلاء السوريين الذين عملوا على إخضـاع الأهـالي أو طـردهم خـارج حـدود الليمس جنوبـا[3]. ورغم ذلـك فقد بقـي بعض الـسكان متمسكين بأرضـهم ممارسين لحرفتهم، كامتهان حرفة الرعي أو ممارسة الزراعة وتربية النحل في بعض الأرياف النوميدية، ونلاحظ اهتمام الرومان ببعض المنتوجات كعسل النحل على سبيل المثال أو الحبـوب والزيتـون، توجيهـا للاقتـصاد النوميـدي نحـو خدمـة رومـا وسكانها[4]، فـضلا عـن ردود الفعـل القاسية التـي كـان ينتهجهـا الرومـان علـى الثورات المحليـة بإرهـاق الـسكان بالاستعباد وفرض الـضرائب الباهـضة، كـضريبة الـرأس وضـريبة الحيـاة، زيـادة علـى الـضرائب المرتبطـة باالجانبين العسكري والجمركي[5]. ولم يكتف الرومان بذلك، بل عملوا على رومنة الإنسان من خلال نشر الثقافة اللاتينية خاصة في العهد السيفيري، حيث تجلى ذلك في تخطيط المدن وتشييد

---

(1) يبدو أن توافد الأقليات والعناصر الأجنبية على التراب النوميدي كان مدروسا ومنظما من قبل الإدارة الرومانية وذلك من خلال الأدوار التي أسندت إلى تلك الأقليات والعناصر، فغالبا ما كان الإغريق والغاليون يحتكرون التجارة في حين جلب السوريون في إطار تدعيم الجيش الروماني في حروبه بالجنوب النوميدي وذلك من خلال الفرق المساعدة في الجيش الروماني التي استقدمت من سوريا نظرا لتشابه الطبيعة الجغرافية بين سوريا ونوميديا ... لمزيد من المعلومات أنظر:

- Albertini (E.), Inscriptions d'El Kantara et de la région, R.Afr., N.72, 1931, pp.193-261; Picard (G.Ch.), Castellum…, pp.85-120.

(2) ; Carcopino (J.), Note ; Gsell (S.), A.A.A., F.37, N°.52 .206 - Cagnat (R.), op.cit., p . 20-31. complémentaire sur les Numiri syriens de la Numidie romaine, (Syria), 1934, pp

; (3) . 193-293 - Leschi (L.), Inscriptions d'El Kantara et de la région, R.Afr.,N°.72, 1931, pp Albertini (E.), L'Afrique romaine, imprimerie officielle, Alger, 1956, p. 26.

(4) . 97-120. - Lacroix (M.F.), Procédés agricoles, R.Afr., N°.14, 1870, pp

(5)- غانم محمد الصغير، مقالات وآراء...، ص . 208.

المعابد والكنائس والمسارح وفرض اللغة والكتابة اللاتينية بعد القضاء التدريجي على الكتابتين الليبية والبونية اللتين عرفتهما نوميديا قبل الاحتلال الروماني[1].

[1]- نفسه.

الخاتـــمة:

لقد ارتأينا في نهاية هذا البحث أن نشير إلى جملة من النتائج والحقائق الهامة التي توصلنا إليها، والتي يمكن إبرازها في النقاط التالية:

– كان اهتمام الرومان بأراضي المغرب القديم قد بدأ قبل تدمير قرطاجة سنة 146ق.م، غير أن زوال قرطاجة واحتلالها من قبل الرومان جعل العملية تتـــسارع وذلك بتمكين هؤلاء الأخيرين من أن يضعوا أقدامهم في شمال إفريقيا، ومـــن ثمـــة التفكير في السيطرة على السواحل الجنوبية للحوض الغربي للبحر المتوسط، بعد أن أزاحوا إغريق صقلية، الذين كانوا يمثلون حاجزا منع التصادم في وقته بين أعظـــم قوتين في غرب المتوسط حينذاك.

– تجدر الإشارة إلى أن الصراع الدائر حول العرش النوميدي، بعد وفاة الملك جايا، كان عاملا هاما وجدت فيه روما وساستها العسكريين منفذا لحبك المـــؤامرات واختلاق الدسائس والذرائع للتدخل في الوقت المناسب، من أجـــل تحقيـــق أهـــداف استعمارية مبيتة.

– كما كان للاستقلال الصوري، والسيادة غير المكتملة التي تمثلت في ارتماء ماسنيسا وابنه مسيبسا في أحضان الرومان والتحالف معهم منفذا سهلا مهد الطريق للرومان ومنحهم الفرصة، وهيأ لهم الظروف السياسية لإنهاء الكيـــان النوميـــدي، وبالتالي تكريس الاحتلال وذلك بعد رفض الملك يوغرطه لتلك السيادة الـــصورية، وتخليه عن سياسة أسلافه، بدخوله في مواجهة مسلحة مع الرومان، فعجـــل فـــشله بتدخلهم المباشر وتثبيت تواجدهم في الأرض الإفريقية باحتلالهم للملكة النوميدية.

– إن انتصار يوليوس قيصر على بقايا خصمه بومبيوس، وتنـــصيب نفـــسه دكتاتورا على الدولة الرومانية، كان قد حمل الكثير من المساوئ إلى المغرب القديم، حيث مارس سياسة الاحتلال الاستيطاني التي أوقفها مجلس الشيوخ الروماني قبـــل

ذلك، كما وجه قيصر سياسة روما الدكتاتورية نحو توسيع الوجود العسكري الروماني نحو الجنوب في المقاطعات الإفريقية.

– من جهة أخرى يلاحظ أن الأوضاع في إفريقيا زادت تدهورا أثناء قيام النظام الإمبراطوري على يد أوكتافيوس، وذلك بدمج الولاية الإفريقية القديمة مع الجديدة وإنشائه للمقاطعة البروقنصلية، التي أخضعها لسلطته عن طريق إنشائه لجيش رهيب مهمته الإشراف على عملية التوسع العسكري وحماية ما أمكن الاستيلاء عليه في الأراضي الإفريقية.

– لقد ترتب على ردود الفعل المحلية المتمثلة في رفض الاحتلال أن تركز هذا الأخير في المناطق الداخلية، حيث كانت تقطن القبائل الجبلية والصحراوية مثل الموزيلامي والجيتول والغرامنت، في حين تقل حدة المقاومة باتجاه الشمال، ذلك أنه يبدو أن المناطق الشمالية الساحلية قد ألفت التعامل مع الأجانب بحكم انفتاحها على البحر المتوسط.

– كان الرومان قد انتهجوا سياسة الدمج والرومنة لتدعيم سياستهم الاستيطانية وذلك بإنشائهم المدن ومنحها لقب المدينة اللاتينية، زيادة على تدعيم دور الفرق المساعدة في الجيش الروماني بعناصر محلية، وذلك لزرع الفتنة بين السكان المحليين، بالزج بأبناء القبائل الإفريقية في الحروب التي يخوضها الجيش الروماني مع أهالي أولئك المجندين.

– يلاحظ الدارس عند تفحصه للموضوع وعي القبائل القاطنة في المناطق الداخلية النوميدية بوحدة مصيرها، وإدراكها لأهمية التلاحم للوقوف في وجه التوسع الروماني، وذلك ما لاحظناه من خلال التحالف: الجيتولي، الغرامنتي، الموزيلامي، الموري أثناء قيام الانتفاضات المحلية أو الحركات المناوئة للوجود الروماني.

– بروز الكتلة الأوراسية كمعقل لمقاومة الاحتلال الروماني، وذلك من خلال انتفاضة المزالمة التي دامت 07 سنوات بزعامة تاكفاريناس الذي أربك ساسة

الإمبراطورية الرومانية، بما في ذلك الإمبراطور تيبريوس نفسه الذي اضطر إلى الاستعانة بفرق عسكرية خارجية، جئ بها من مختلف المقاطعات، وإلى استبدال وعزل الحكام والقناصل وقادة الجيش عدة مرات. غير أن بعض المؤرخين حاولوا إخفاء الوجه المشرق للمقاومة كرد فعل طبيعي من السكان المحليين على الاستعمار والاستغلال، فوصفوها بأنها صراع بين البداوة والتحضر، أي بين الحضارة الرومانية القادمة من ما وراء البحر والبداوة الإفريقية المتوغلة في أعماق الصحراء.

– لقد اعتمد التوسع الروماني في نوميديا نحو الجنوب على الجيش الذي كان يمثله أساسا الفيلق الثالث الأغسطي، الذي كان جيشا نظاميا مزودا بفرق مساعدة، لم يلبث أن أصبحت لديه عدة معسكرات، أقيمت في المواقع الإستراتيجية للإشراف على المناطق المتوترة وتطويقها، وكان معسكر لمباز أهم معسكراته، حيث استقرت به قيادة الفيلق لمدة طويلة.

– من جهة أخرى يلاحظ أن إدراك الأباطرة الفلافيين لخطورة المنطقة الأوراسية على مصالحهم الحيوية أدى بهم إلى إنشاء الخط الدفاعي الأول (خط الليمس الأول) شمال الأوراس خلال القرن الأول الميلادي.

–أكثر من ذلك، فإن الأباطرة الفلافيين لم يكتفوا بذلك، بل حاولوا إحاطة الكتلة الأوراسية بالتحصينات الدفاعية وذلك بتدعيم الخط الأول بخط ثان، وذلك خلال القرن الثاني الميلادي بحيث امتد على طول الجنوب الأوراسي لتضييق الخناق على منطقة الأوراس والتصدي للغارات التي تشنها القبائل القاطنة في التخوم الصحراوية الشمالية من حين لآخر، وذلك كلما ضايقها الوجود الروماني على أراضيها.

– تكامل التحصينات الدفاعية العسكرية فيما بين الليمس النوميدي في جنوب وغرب الأوراس مع الليمس الموريطاني في منطقة الحضنة التي تمثل منطقة تداخل الليمس النوميدي مع الموريطاني، ولعل ذلك يعود إلى كون العدو واحد، والطبيعة

الجغرافية والبشرية للمنطقة واحدة، وبالتالي لا أهمية للحدود الإدارية، ولا حتى للقيادة العسكرية.

– بعد أن نجح الرومان في إخماد انتفاضة المزالمة، بالقضاء على قائدها تاكفاريناس، عمدوا إلى أساليب أخرى أكثر شراسة من الأسلوب العسكري، تمثلت في مصادرة أراضي السكان المحليين ثم تنظيمها ومسحها وتوزيعها على المستوطنين الوافدين من روما، أو الجنود المسرحين من الجيش، وذلك لإضفاء الصبغة القانونية على مصادرة تلك الأراضي وبالتالي تصبح أراضي رومانية. وقد مكنت تلك العملية الاحتلال الروماني من أن يمنع قيام التحالف بين القبائل المحلية، وذلك بعزلها عن بعضها البعض، إضافة إلى حرمانها من أخصب أراضيها فاضطرت تلك القبائل إلى تغيير نمط حياتها بالتوجه إلى ممارسة الرعي والانتقال بحثا عن الكلأ، فانتشرت ظاهرة البداوة بشكل فضيع. كنتيجة لعمليات السلب والنهب والمصادرة التي مارسها الرومان في حق السكان المحليين.

– إن ارتباط الحصون ومراكز الحراسة الرومانية بالطرق التي شكلت محاور رئيسية، وخطوط الليمس باعتبارها وسيلة اتصال ونقل المواد المختلفة المغتصبة من أهلها، وهو مايبرر إيلاء الأباطرة الرومان أنفسهم الأهمية لشق تلك الطرق والإشراف على حراستها.

– يبرز الجانب الاقتصادي لخطوط الليمس في كونها شكلت حواجز أو فواصل بين المناطق المنتجة وغير المنتجة، ذلك أنه بالنسبة لروما كل ما هو خارج عن حدود الليمس يعتبر غير مفيد، وبالتالي تركزت جهود الرومان في مناطق الليمس الجنوبية على تشييد أعمال جبارة في الزراعة واستصلاح الأراضي وشق القنوات سواء لنقل المياه أو توزيعها. وذلك للزيادة في المنتوجات الزراعية لتزويد روما وذلك ما دأب عليه الأباطرة الرومان منذ فترة حكم أوكتافيوس، حيث أدت بهم الزيادة السكانية إلى البحث عن المجال الحيوي.

– لاحظنا من خلال معايشتنا للموضوع أنه من أبرز انعكاسات مـــد خطـــوط الليمس، تشريد الأهالي بعد مصادرة أراضيهم وزرع عناصر دخيلة عن المجتمـــع المغاربي، بتوطين عناصر أوروبية (المستوطنين) أو عسكرية (الجنود المساعدين) وغيرهم في الأراضي المصادرة من أهلها. زيادة على تفاقم ظاهرة البـــداوة بفعـــل الإجراءات العسكرية الرومانية للحد من تنقلات القبائل في مناطق انتجاعها خاصـــة في رفارف الصحراء.

– لقد عمل الرومان خاصة أثناء فترة حكم الأباطرة السيفيريين على رومنـــة الأرض والإنسان، من خلال نشر الثقافة اللاتينية وذلك ما لاحظناه في تخطيط المدن وبناء المعابد والكنائس والمسارح، إضافة إلى محـــاولتهم فـــرض اللغـــة والكتابـــة اللاتينية، والقضاء التدريجي على اللغة والكتابة المحلية.

فهرسة المصادر والمراجع المعتمدة في البحث:

أولا: المصادر الأساسية

أ. المصادر باللغة العربية:

ب. المصادر باللغات الأجنبية

ثانيا: المراجـــــــع

1. المراجع باللغة العربية:

أ- المقـــــالات

ب- الكتـــــــب

2. المراجع باللغات الأجنبية:

أ- الدوريات

ب- الكتب

3. القواميس والموسوعات:

أ. باللغة العربية

ب- باللغات الأجنبية

فهرسة المصادر والمراجع المعتمدة في البحث:

أولا: المصادر الأساسية.

أ. **المصادر باللغة العربية:**

- **البكري (أبو عبيد الله)**، المغرب في ذكر بلاد إفريقية والمغرب، مكتبة المثنى، بغداد، بدون تاريخ.

ب. **المصادر باللغات الأجنبية:**

- **Cesar (J.),**

La guerre d'Afrique, trad.A.Bouvet, éd.les belles-lettres, coll.P.U.F., Paris,1949.

- **Dion Cassius,**

Histoire romaine, trad. E.Gros, Paris, 1863.

- **Florus (L.A.),**

Abrégé de l'histoire romaine, trad. P.Hainslin et H.Watelet, éd. Garnier, Paris, 1932.

- **Gsell (S.),**

Inscriptions Latines de l'Algérie, T. 1, inscriptions de la proconsulaire, Paris, 1922.

- **Mazard (J.) ,**

Corpus Nummorum Numidiae Mauretaniaeque, Paris, 1955.

- **Parterculus(V.)**,

Histoire Romaine,trad.P.Hainselin et H.watelet ,éd. Carnier, Paris,1932.

- **Pline l'ancien,**

Histoire naturelle, LIV.V, trad. Jehan Desanges, éd. Les belles lettres, Paris, France, 1980.

- **Plutarque,**

Les vies des hommes illustrés, T.2, trad. Jacques Amyot, éd. Gallimard, Paris, 1985.

- **Polybius,**

Histoire romaine, trad.Denis ROUSSEL, éd.Gallimard, bibliothèque de la Pleide, Paris, 1970.

- **Procope,**

Histoire des Guerres Vandales, Trad. Dureau de la Malle, éd. Fermin Didot, Paris, 1852

- **Salluste,**

La conjuration de Catilina, La guerre de Jugurtha, Trad. F. Richard, Garnier Flammarion, Paris, 1968.

- **Strabon,**

Géographie, (4 vol), trad. A. Tradieu, éd. Hachette, Paris, (1867-90).

- **Tacite,**

Annales, Trad. Burnouf, GF-Flammarion, Paris, 1965.

Histoires, T.2, Trad. Henri Goelzer, Paris, 1956.

- **TITE-LIVE,**

Histoire romaine, trad. (10 vol.), éd. Classiques, Paris,1941

- **Willmanns, Mommsen (Th.),**

Corpus inscriptionum latinarum (=CIL), VIII, 5, Suppliment, Berlin, 1881.

ثانيا: المراجـــع.

1. المراجع باللغة العربية.

أ- المقـالات.

- **البحيصي أحمد،** لمحة عن سياسة الأسرة السويرية في شمال إفريقيا (مجلة المعالم) ، العدد 6، السنة السادسة، جمعية التاريخ والمعالم الأثرية، قالمة، 1992، ص ص. 45- 62.
- **حارش محمد الهادي،** ثورة تاكفاريناس 17-24 م،(مجلة الدراسات التاريخية)،ع. 9 ، سنة 1995، ص ص . 129-133.
- **شنيتي محمد البشير،** التوسع الروماني نحو الجنوب وآثاره الاقتصادية والاجتماعية، (مجلة الأصالة)، ع.41، مطبعة البعث، قسنطينة-الجزائر، 1977، ص ص. 2-24.
- **عقون محمد العربي،** المنطقة الأوراسية في القرن السادس الميلادي من خلال المصادر، (مجلة العلوم الاجتماعية والإنسانية)، ع.12، جامعة باتنة، 2005.
- **غانم محمد الصغير،**

- الملك سيفاكس والكيان السياسي النوميدي (مجلة التراث)، ع 9، مطبعة الشهاب، باتنة، الجزائر، 1997، ص ص. 13-18.
- الإصلاحات السيفيرية " مدلولاتها وأهدافها"، (مجلة التراث)، ع.6، جمعية التاريخ والتراث الأثري، باتنة، الجزائر، سبتمبر 1993، ص ص. 8-17.
- بعض ملامح ثورات التحرير ضد الاستعمار الروماني خلال القرن الأول الميلادي (ثورة تاكفاريناس نموذجا)، (حولية المؤرخ) ، ع.1، إتحاد المؤرخين الجزائريين، الجزائر، 2002، ص.20.

- بين آثار قالمة، (مجلة المعالم) السنة الأولى، ع.1، مطبعة ولاية قالمة، الجزائر، 1987، ص ص. 24-28.
- علاقة نوميديا بالرومان، (مجلة التراث)، ع2، مطبعة الشهاب، باتنة،1987، ص ص.16-24.
- نقيشة مسيبسا الأثرية "دراسة مقارنة"،(مجلة سيرتا)،ع 4،ديسمبر 1980،ص ص. 02-14.
- نقيشة دوقا الأثرية "دراسة لغوية وتاريخية"، (مجلة العلوم الإنسانية)، ع.10، جامعة قسنطينة، 1998.

- **منصوري خديجة**، ماسنيسا ودول المدن الإغريقية من خلال البقايا المادية التي وجدت بالخروب وضواحيها (حوليات المتحف الوطني للآثار)، ع 11، 2002، ص ص. 98-109.

ب- الكتـــب.

- **إبراهيم رزق الله أيوب**، التاريخ الروماني، ط1، الشركة العالمية للكتاب، لبنان، 1996.
- **أندري إيمار، جانين أوبواية**، تاريخ الحضارات العام (3 مجلدات)، ترجمة : فريد.م.داغر، يوسف أسعد داغر، منشورات عويدات، ط 2، بيروت – باريس، 1981، المجلد الثاني : روما وإمبراطوريتها.
- **بكري حسن صبحي**، الإغريق والرومان والشرق الإغريقي الروماني، ط 1، دار عالم الكتب للنشر والتوزيع، الرياض، 1985.
- **بوساحة أحمد**، أصول أقدم اللغات في أسماء أماكن الجزائر، دار هومة، الجزائر، 2001.
- **جبرائيل كامبس**، من ضفاف البحر الأبيض المتوسط إلى أطراف الصحراء - البربر – تعريب عبد الرزاق الحليوي، ط.1، أليف، منشورات البحر الأبيض المتوسط، تونس، بدون تاريخ.
- **حارش محمد الهادي**،

- التطور السياسي والاقتصادي في نوميديا منذ اعتلاء ماسنيسا العرش إلى وفاة يوبا الأول، 203- 46 ق.م، دار هومة للطباعة والنشر والتوزيع، الجزائر، بلا تاريخ.
- دراسات ونصوص في تاريخ الجزائر وبلدان المغرب في العصور القديمة، دار هومة للطباعة والنشر والتوزيع، الجزائر، 2001.

- ذاكرة الجزائر، صفحات من تاريخ المقاومة الشعبية عبر العصور (يوغرطه 160-104 ق.م)، إصدار المتحف المركزي للجيش، الجزائر، 1984.
- **رابح لحسن،** أضرحة الملوك النوميديين والمور، دراسة تاريخية وأثرية مقارنة لأهم الأضرحة الملكية النوميدية والمورية المشيدة منذ القرن الرابع الميلادي إلى عشية الفتح الإسلامي في القرن السابع الميلادي، دار هومة للنشر والطباعة والتوزيع، الجزائر، 2004.
- **شارل أندري جوليان،** تاريخ إفريقيا الشمالية، تعريب محمد مزالي والبشير بن سلامة، الدار التونيسية للنشر، تونس، 1983.
- **شنيتي محمد البشير،**
- الاحتلال الروماني لبلاد المغرب، "سياسة الرومنة 146 ق.م - 40 م"، ط 2، المؤسسة الوطنية للكتاب، الجزائر، 1985
- التغيرات الاقتصادية والاجتماعية في المغرب أثناء الاحتلال الروماني، المؤسسة الوطنية للكتاب، الجزائر، 1984.
- الجزائر في ظل الاحتلال الروماني، بحث في منظومة التحكم العسكري (الليمس الموريطاني) ومقاومة المور، جزءان، ديوان المطبوعات الجامعية، الجزائر، 1999
- **الصفدي هشام** ، تاريخ الرومان في العصور الملكية، الجمهورية ، الإمبراطورية ،ج.1، ط1 ،دار الفكر الحديث، لبنان،1967.
- **عبد اللطيف احمد علي،** التاريخ الروماني ،عصر الثورة من تيبيريوس جراكوس إلى أكتافيوس أغسطس، دار النهضة العربية للطباعة و النشر ، بيروت،لبنان ،بدون تاريخ.
- **العربي عقون،** المؤرخون القدامى، غايوس كريسبوس سالوستيوس (86-53 ق .م.) وكتابه حرب يوغرطة ، دار الهدى، عين مليلة، الجزائر ، 2006.
- **العيد بشي إبراهيم،** تاريخ مختصر لأهم حضارات الشرق القديمة ، دراسة حضارية في قبل التاريخ وعبر التاريخ، دار هومة للطباعة والنشر والتوزيع، الجزائر،2007.
- **غانم محمد الصغير،**
- مقالات وآراء في تاريخ الجزائر القديم، دار الهدى، عين مليلة، الجزائر.
- التوسع الفينيقي في غرب المتوسط، ديوان المطبوعات الجامعية، الجزائر، 1979.

- المملكة النوميدية والحضارة البونية، دار الأمة للطباعة والنشر والتوزيع، الجزائر، 1998.
- مقالات حول تراث بسكرة والتخوم الصحراوية، مطبعة عمار قرفي، باتنة، بدون تاريخ.
- مقالات وآراء في تاريخ الجزائر القديم، دار الهدى، عين مليلة، الجزائر، 2005.

- **فنطر محمد حسين**، يوغرطة من ملوك شمال إفريقيا وأبطالها، الدار التونسية للنشر، تونس، 1970.
- **قداش محفوظ**، الجزائر في العصور القديمة، ترجمة عباد صالح، المؤسسة الوطنية للكتاب، الجزائر، 1993.
- **محمد أبو المحاسن عصفور**، المدن الفينيقية، دار النهضة العربية للطباعة والنشر، بيروت، 1971.
- **محمد شفيق** ، لمحة عن ثلاثة وثلاثين قرنا من تاريخ الأمازيغيين، دار الكلام للنشر والتوزيع، الرباط، 1989.
- **مصطفى العيادي**، الإمبراطورية الرومانية، النظام الإمبراطوري و مصر الرومانية، دار النهضة العربية للطباعة والنشر، بيروت، لبنان، بدون تاريخ.
- **ول ديورانت**، قصة الحضارة، ج 1، المجلد3، قيصر والمسيح أو الحضارة الرومانية، ترجمة محمد بدران، جامعة الدول العربية، بلا تاريخ.

2. المراجع باللغات الأجنبية:

أ- الدوريات:

- **Albertini (E.),**

Inscriptions d'El Kantara et de la région, R.Afr., N°.72, 1931, pp.193-261.

- **Alquier (J.),**

Les ruines antiques de oued El Arab, R.Afr., N°.82, 1941, pp . 31-39.

- **Baudot (L.),**

Etude sur l'oasis de Negrine et les ruines de Besseriani (Ad Majores), R.S.A.C., 1875, pp . 111-126.

- **Benabou (M.),**

Tacfarinas: Insurgé Berbère contre la colonisation romaine, (Les Africains), T. IV,éd. Jeune-Afrique, Paris,1977, pp. 293-313.

- **Berthier (A.) et autres,**

"Le bellum Jugurthinum de Salluste et le problème de Cirta, R.N.M.S.A.C., T.LXVII, 1950-1951, PP .03-144.

- **Camps(G.),**

Nouvelles observations sur l'Archéologie et l'âge du Medracen, Mausolée royal de Numidie, C. R. A. I., 1973, pp.470-517.

- **Carcopino (J.),**

Note complémentaire sur les Numiri syriens de la Numidie romaine, (Syria), 1934, pp . 20-31.

- **Carthy (M.),**

Etudes critiques sur la géographie comparée et la géographie positive de la guerre d'Afrique de Jules César, R. Afr., T.9, 1865, pp . 430-458.

- **Chaligne (C.),**

«Occupation romaine de l'Afrique », R.S.A.C., (1921-1922), pp.13-19.

- **De Torcy ,**

Note sur la route de Tébessa à Biskra, R.S.A.C., (1910),pp.1-28.

- **Debosredon (M.L.) ,**

« Promenade archéologique dans les environs de Tebessa », R.S.A.C., 1878, pp . 1-43.

- **Desanges (J.) ,**

Le triomphe de Corneilius Balbus, R.Afr., N°. 98, 1957, pp .3-43.

- **Despois (J.) ,**

La bordure saharienne de l'Algérie orientale, R.Afr.,1942-43, pp .197-219.

- **Etienne(R.),**

L'Aviation, œil magique de L'Archéologie, Annales ,vol .4,N°.1,1949,pp.85-87.

- **Faure (J.P.),**

Un manuscrit inédit conservé à la bibliothèque de l'institut de France,la description des ruines situées sur la route suivie par la colonne du général de saint- Arnaud dans les Némenchas et dans l'Aurès du colonel Carbuccia (03 Mai – 16 Juin 1850), (AOURAS),N°.2,Société des études et des recherches sur l'Aures antique,Paris,2004, pp .17-57.

- **Gascou (J.),**

"'Le Cognomen Gaetulus en Afrique Romaine", M. A. H., N°.2, Vol. 82, (1970), pp. 723-736.

- **Grimal (P.),**

Les fouilles de Siga, M.E.F.R., Paris, 1937, pp. 108-141.

- **Gsell (S.) et Graillot(H.),**

Exploration archéologique dans le département de Constantine (Algérie) –Ruines Romaines nord des monts de Batna, M.A.H.,N.1,vol.14,(1894),pp.501-609

- **Guey (J.) ,**

- Note sur le limes Romain de Numidie et le Sahara au IV^{e} siècle, M.A.H., N°.1, vol.56, 1939, pp .178 – 248.
- Les bains d'or de Caligula, M.E.F.R.A., N°. 2,Vol.89, (1977), pp.443-446.

- **Joly (A.),**

Le Plateau steppien d'Algérie, Ann.géo., vol.18,N°.99,pp.238-252.

- **Jouleaud (L.),**

L'ancienneté de la fabrication de l'huile d'olive dans l'Afrique du nord, R.Afr., N° 70, 1929, pp .19-36.

- **Lacroix (M.F.),**

- L'Afrique ancienne, R.afr.,N°.14,(1870), pp. 12-43
- Procédés agricoles, R.Afr., N°.14, 1870, pp . 97-120.

- **Lancel (S.),**

Suburbures et Nicives, une inscription de Tigisis, in libyca, archéologie-épigraphie, T.III, 1955, pp. 289- 298.

- **Lassère (J.M.),**

Ubique populus, peuplement et mouvement de populations dans l'Afrique romaine, de la chute de Carthage à la fin de la dynastie des sévères (146 Av.J.C-235Ap.J.C), Paris, édition C.N.R.S., 1977.

- **Leglay (M.),**

Les flaviens et l'Afrique, M.A.H., N°.1, vol.80, 1986, pp. 201-246.

- **Leschi (L.) ,**

Inscriptions d'El Kantara et de la région, R.Afr.,N°.72, 1931, pp . 193-293.

- **Magnelonne (J.) ,**

«Les principales voies romaines de la région de Tebessa», R.S.A.C., (1917-18), pp . 10-22.

- **Masqueray (E.) ,**

« Ruines anciennes de Khenchela (Mascula) à Besseriani (Ad Majores) », R.Afr., T.23, (1879), pp. 65-94.

- **Molinier(V.),**

Le Medracen, R.S.A.C., T.XXVIII, (1893), pp. 54-77.

- **Morizot (P.),**

- Le génie Auguste de Tiflzi, nouveaux témoignages de la présence romaine dans l'Aures, Bull.arch.du C.T.H.S., Ser.10-11b, Paris, 1977, pp. 45-91.
- Les ruines romaines de l'oued Guechtane,R.Afr.,N° 89, 1948,pp .120-142.

- **Piganiol (A.) et Laurent-Vibert (R.),**

Recherches Archéologiques à Ammaedara (Haidra), M.A.H.,N°.1,Vol.32,1912 ,pp.69-229.

- **Ragot (W.) ,**

Le Sahara de la province de Constantine, (1ere partie), R.S.A.C., (1873-74).

- **Richard (J.C.) ,**

La victoire de Marius, M.A.H., vol.77, N°.01, 1965, pp.69-86.

- **Rinn(L.),**

« Les premiers royaumes berbères et la guerre de Jugurtha»,R.Afr.,T.29,1885,pp.180-81.

- **Saumagne (Ch.),**

- La manoeuvre de Zama (cahier de Tunisie),T.10,1962, pp. 373-390.
- Les préstextes juridiques de la troisième guerre punique, Rev. Hist., T. CLXVII,1931,p. 238.
- "Le champ de bataille du Muthul, "revue tunisienne,T.1,1930,pp.3-17.

- **Tadeusz (K.) et Michlak (M.),**

Les africains et la domination de Rome , D.H.A., N°.1, vol.2,1976.pp.337-358.

- **Winkler (A.),**

Frontière méridionale ou limes de l'Afrique propre (Tunisie et Algérie), R.T, (1909), pp. 37-47.

ب- الكتب:

- **Albertini (E.),**

- L'Afrique romaine, imprimerie officielle, Alger, 1956.
- L'Afrique Romaine, Notes prises aux conférences, imprimerie orientale, Alger, 1922.

- **Babelon (E.),**

Carthage, E. Le roux éditeur, Paris, 1896.

- **Baradez(J.),**

Fossatum Africae (recherche aérienne sur l'organisation des confins sahariens à l'époque romaine),Paris, 1949.

- **Benabou (M.)** ,

La résistance Africaine à la romanisation,éd. Maspéro, Paris, 1975.

- **Benseddik (N.) ,**

Les troupes auxiliaires de l'armée romaine en Mauritanie césarienne sous le haut empire, S.N.E.D., Alger, 1978.

- **Berthier (A.),**

La Numidie, Rome et le Maghreb, éd. Picard, 1981.

- **Berthier(A.) et Charlier(L.R.),**

Le sanctuaire punique d'El-Hofra à Constantine,Paris,1955.

- **Berbent (J.) ,**

Aquae Romanae, recherche d'hydraulique romaine dans l'est algérien, service des antiquités de l'Algérie, Alger, 1962.

- **Boissière (G.),**

Esquisse d'une histoire et de l'administration Romaine dans le nord de l'Afrique, librairie Hachette, Paris,1878.

- **Braudel (F.) ,**

Les mémoires de la méditerranée, préhistoire et antiquité, éd. Fallois, Paris, 2002.

- **Cagnat (R.),**

L'armée romaine d'Afrique et l'occupation militaire de l'Afrique sous les empereurs, imprimerie nationale, Paris, 1892.

- **Camps (F.H.) ,**

L'olivier et l'huile dans l'Afrique romaine, imprimerie officielle, Alger, 1953.

- **Camps(G.),**

Aux origines de la berberie, Massinissa ou les débuts de l'histoire, in libyca, Tom. VIII, 1960.

- **Carcopino (J.),**

La république romaine (133-44 Av. J.C), presses universitaires de France, Paris, 1935-1950.

- **Chehrit (K.),**

Tacfarinas, éd. Grand-Alger livres, Alger, 2006.

- **Dahmani (S.)**,

Les Royaumes Numides, (L'Algérie au temps des Royaumes Numides V^{e} siècle av. J-c – 1er siècle ap. J-c), Smogy éditions d' Art, Paris, 2003.

- **De la malle (D.) ,**

- L'Algérie, éd. Firmin Didot, Paris,1852.
- Carthage (Afrique ancienne), Tome. 2, éd. Firmin DIDOT frères, Paris MDCCCXLII.

- **De la Malle(D.) et Yanoski(M.J.),**

Carthage,(Afrique ancienne), tome.2, Fermin Didot frères, Paris, MDCCCXLII.

- **De Lagritigue**,

Monographie de L'Aures , Constantine , 1904.

- **De Roch (S.)** ,

Tebessa antique Tiveste, Les presses de l'imprimerie officielle, Alger,1952.

- **Decret(F.) et Fantar(M.),**

L'Afrique du nord dans l'antiquité,des origines au Veme siècle,Payot, Paris, France, 1981

- **Desanges(J.)**,

Catalogue des tribus africaines à l'ouest du Nile dans l'antiquité classique, Dakar, 1962.

- **Evelyne (P.),**

Sophonisbe reine de Numidie (Algérie au temps des royaumes Numides, V^{e} siècle avant J-C- 1er siècle après J-C), Smogy éditions d'art, Paris, 2003.

- **Fevrier (P-A.),**

Approches du Maghreb Romain (pouvoirs, différences et confins),(2vols.) , Aix en Provence, 1989.

- **Gaid (M.),**

Les Berbères dans l'histoire de la préhistoire à la Kahina, Tom.1, éd. Mimouni, Alger, 1990.

- **Gsell (S**.),

- Histoire ancienne de l'Afrique du nord, Tome.V,Librairie Hachette,Paris,1927.
- Atlas Archéologique de l'Algérie,Tome.I, (Texte),éd. 2, Alger,1997.

- **Hamdoune (Ch.),**

Les Auxilia. Externa. Africains des Armées Romaines, III^{e} siècle Av. j.c- IV^{e} siècle Ap. J.c, (Collection études militaires), université Paul- Valery, Montpellier III, France, 1999.

- **Harmand (L.)**,

L'occident romain, Guaule, Espagne, Bretagne, Afrique du nord (31 av.J.C à 235 ap.J.C), éd. Payot, Paris, 1970.

- **Hubac (P.),**

Carthage, éd. Marcel Daubin, Paris, 1946.

- **Kadra –Hadjadji (H.),**

Jugurtha un Berbere contre Rome , Casbah éditions, Alger, 2007.

- **Lacroix (L.),**

Histoire de la Numidie et la Mauritanie, depuis les temps plus anciens jusqu'à l'arrivée des vandales en Afrique, éd. Firmin DIDOT frère, Paris, MDCCCXLII.

- **Lancel (S.),**

- Carthage, éd. Cerès, Tunis, 2000.
- Hannibal, éd. Cérès, Tunis, 1995.

- **Lapeyre(G.) et Pellegrin(A.)**,

Carthage punique (814-146 av.j.c.), Payot, Paris, France, 1942

- **Lassus (J.) ,**

La forteresse byzantine de Thamugadi, fouilles à Timgad, 1938-1956, T.I, Paris, 1981.

- **Leglay (M.) et autres**,

Histoire romaine, presses universitaires de France, France,1991.

- **Lepelley (C.)**,

Les cités de l'Afrique romaine au Bas-empire, T.2, Paris, 1978.

- **Mercier (E.)** ,

Histoire de l'Afrique septentrionale (Berberie) depuis les temps les plus reculés jusqu'à la conquête Française, 1830,(03vol.),T.1, éd. Ernest Leroux, Paris,1888.

- **Mesnage (J.),**

Romanisation de l'Afrique (Tunisie, Algérie, Maroc), Paris, 1913.

- **Messikh (M.S.),**

L'histoire ancienne et contemporaine de Skikda l'antique Rusikade, éd. Raïs, Algérie, 1996.

- **Mommsen (Th.)**,

Histoire romaine, trad. C, A, Alexandre, Tom III, Librairie, A. Franck, Paris, 1865.

- **Mommsen (W.) et autres**,

Encyclopédie universelle, tom.5, éd. Marabout université, Verviers, Belgique, 1962.

- **Naude(M.) et Champ(L.),**

Notice sur la carte de l'Afrique sous la domination des romains, imprimerie impériale, Paris, MDCCCLXIV.

- **Oussedik (T.),**

La Berberie, T.I, ENAP/ENAL, Alger, 1989.

- **Pareti (L.)** ,

Histoire de l'humanité, Tom .II, (Antiquité), UNESCO, Paris, 1965.

- **Pellegrin (A.),**

Histoire de la Tunisie depuis les origines, éd. 4, Bouslama, Tunis, 1975.

- **Picard (G.Ch.),**

- Castillum dimmidi, Alger-Paris, 1947.
- La civilisation romaine, Paris, 1959.

- **Piganiol (A.),**

- Histoire de Rome, presses universitaires de France, Paris, 1962.
- La conquête romaine, Paris, 1942.

- **Rachet (M.),**

Rome et les berbères (Un problème militaire d'Auguste à Dioclétien), coll.latmus, Bruxelles, 1970.

- **Sahli (M.Ch.),**

Le message de Yougourtha, éd. En-Nahda, Alger, 1947.

- **Salama (P.) ,**

Les voies romaines de l'Afrique du nord, Imprimerie officielle du gouvernement général de l'Algérie, Alger, 1951.

- **Saumagne (Ch.),**

- La Numidie et Rome, Massinissa et Jugurtha, éd. presses universitaires de France, Paris, 1966.

- La Numidie et Rome, P. U. F., Paris, 1966.

- **Servier (J.),**

Les bérbères ,(que sais-je ?),2eme édition,DAHLAB,Alger,1994.

- **Tissot (Ch.) ,**

Géographie comparée de la province d'Afrique, T.I, imp.nationale, Paris, 1884-1888.

- **Trousset (T.) ,**

Recherches sur le Limes tripolitanus (de Chott El Djerid à la frontière tuniso-libyenne), Paris, 1974.

- **Warmington(B.H.),**

Histoire et civilisation de Carthage (814 av.j.c à 146 ap.j.c) trad. S.Mguillemin, Payot, Paris, France, sans date.

3. القواميس والموسوعات.

أ. باللغة العربية :

- **بيار غريمال وآخرون،**

موسوعة تاريخ أوربا العام (جزآن)، جI ، أوربا من العصور القديمة وحتى بداية القرن الرابع عشر، ترجمة أنطوان أ. الهاشم، منشورات عويدات، ط1، بيروت- باريس، 1995.

- **زبيب نجيب،**

الموسوعة العامة لتاريخ المغرب والأندلس، ج1، ط1، دار الأمير للثقافة والعلوم، بيروت، لبنان،1994.

- **ول ديورانت،**

قصة الحضارة، ج 1، المجلد3، قيصر والمسيح أو الحضارة الرومانية، ترجمة محمد بدران، جامعة الدول العربية، بلا تاريخ.

ب- باللغات الأجنبية:

- **Camps (G.),**

Jugurtha, ency.ber., T.XXVI, 2004.

- **Chevallier (R.) ,**

Dictionnaire de la littérature latine, éd. Larousse, France, 1968.

- **Eydoux (H.P.),**

A la recherche des mondes perdus, les grandes découvertes archéologiques, librairie Larousse, Paris, 1967.

- **Frédouille (J.C.),**

Dictionnaire de la civilisation romaine, édit.2, Larousse, Paris, France, 1999.

- **Leveau (Ph.),**

L'Aurès dans l'antiquité (encyclopédie berbère), VIII, Aures-Azrou, EDISUD, Aix-en-provence, France, 1990.

فهرس لأســـــــــاء الأعلام

– أ–

- أبرونيوس:113.
- أبيانوس:28.
- آتوس فاروس:82.
- أجريبا:91.
- أذربعل:57–60–61–62–63–64.
- أرابيون:88.89.
- إرنست مورسي:99.
- أسبريناس:127.
- أسبير:74.
- استرابون:40.
- أشمون:44.
- أغاتوكليس:6.
- أغسطس:88–89–91–92–100–109–113–124–127–128–162.
- أفتير:31.
- أفرانيوس:86.
- أكتافيوس:88–91–109–162.
- أليسا:5.
- أليفيوس روفوس:114
- أنطونينوس التقي:143–144–146–148.
- أورياد:2.
- أوفيدوس:26.
- أوليوس ألبينوس:66–67.
- إيدمون:122.
- إيلماس:6.

- باراديز.ج:124.
- باراديز:148-153.

- ب -

- برسي:33.
- بروكوب:2.
- برونيوس.ل:114
- بطليموس:11-92-93-100-117-119-122.
- بعل حامون:47.
- بغماليون:5.
- بلايسوس:129.
- بلوتين:125.
- بليزوس:116
- بلين القديم:4-7-8-10.
- بوكار:25.
- بوكوس الثاني:87-89.
- بوكوس:70-71-73-74-75-76-77-84-85.
- بوليبيوس:20-25-30-38-45.
- بومبيوس:79-81-82-84-85-88.
- بيار سلاما :127.
- بيتريوس:86.
- بيثياس:43.
- بيجانيول:113.
- بيستيا:65.

- ت -

- تاكفاريناس:103-104-105-107-110-111-112-113-114-115-116-117-118-119-120-121-122-129.

- تاكيتوس:91-92-104-112-116-129.
- تانيت:47-48.
- تراجان:3-125-139-140-141-151-160.
- توربيليوس سيلانوس:70.
- تيبيريوس:48-91-92-104-109-110-116-121-124-128-160-161.
- تيتيوس ليفيوس:20-30-102.
- تيمي:5.

- ج -

- جايا:20-31-32.
- جراكوس:48.
- جزيل (س):6-8-9-36.
- جوليا:91.
- جوليان(ش.أ):31-43-84.
- جون بيار فور:146.
- جونون:48.
- جيسكون:22.

- ح -

- حارش(م.هـ):34.
- حنبعل:28-29-30-33-34-35-102.
- حنون:26.

- د -

- دورو دولامال:42.
- دولابيلا:118-119.
- دوميتيوس:80.
- ديزانج(ج):10-70-105.

- ديكوريوس:113.
- ديون كاسيوس:99.

- ر -

- رونيه كانيا:95-100-105.
- ريتلوس:68.

- س -

- سارتورنوس:78.
- سالومون:2-16.
- ساليستيوس:12-52-53-60-61-62-65-68-70-72-73-77-79-80-87.
- سانت أرنو(جنرال):146.
- سترابون:7-11-12-13-99.
- سوبرينوس ألبينوس:66-67.
- سوفونيسبة:20-21-25.
- سيبتيموس سيفيروس:94-141-143.
- سيبيون إميليانوس:22-25-28-29-36-38-41-44-48-52-55-56-71-85-86-87.
- سيبيون بوليبيوس:21-35.
- سيتيوس:84-87-88-91-128-129.
- سيفاكس:7-9-11-20-21-22-23-25-26-27-30-31-32-53.
- سيلا:46.-47-70-73-74-75-79-80.

- ش -

- شارل سوماني:46.
- شنيتي محمد البشير:77-97.
- شيشرون:81.

- ص -
- صدر بعل:22-23-25-26-27-36-37-43-44.
- عاشر باس:5.
- غ -
- غانم محمد الصغير:6-22-37-41.
- غودا:77-79.
- غورديان:151.
- غولوسان:34-35-38-52-66.
- ف -
- فاسباسيان:131-140.
- فوروس كاميليوس:111.
- فيرمينا:22-25-30.
- فيرناند برودال:45.
- فيليب الخامس:33.
- ق -
- قداش محفوظ:77.
- قيصر:46-53-78-80-81-82-83-84-85-86-87-88-91-92-129-155.
- ك -
- كاتو:34-35-37-82.
- كاتيلينا:53.
- كاركلا:94.
- كاليجولا:91-92-93-96-121.
- كامبس(ج):10-22-30-32-36.
- كايوس بيبيوس:65.
- كايوس:48-49.

- كراسوس:88.
- كورنيليوس كوسوس:100.
- كوريون:82.

- ل -

- لابينوس:84.
- لابينوس:85.
- لايليوس:22-25-43.
- لوريون فيبار:113
- لوكيوس أوبيموس:61.
- ليبيدوس:88.

- م -

- مارسال بن أبو:109.
- ماريوس:68-71-72-73-74-77-79-80-116.
- مازيبا:104-105-107-110-111-115.
- ماستانيزوس:73.
- ماسينيسا:11-20-21-22-23-25-26-27-27-29-30-31-32-33-34-35-36-37-38-40-41-50-52-57-77.
- مانيليوس:74.
- متان:5.
- المدراسن:6-7.
- مسيبسا:35-38-40-52-53-54-55-56-57-58-59-63-76-79.
- مصطنبعل:38-52-53-77.
- مكوسن:38.
- ملقارط:5.
- ميتيلوس:67-69-70-71-72-79-116.

- ن -

- نيرون:104.

- هـــ -

- هادريان:125-139-141.
- هاسربعل:43.
- هميلكار:36.
- هيرباس:5.
- هيرباس:79-80.
- هيمبصال الثاني:79-80.

- و-

- وارمينغتون (ب.هـ):5.

- ي -

- يوبا الأول:40-80-81-82-83-84-86-91-128-155.
- يوبا الثاني:80-92-99-100-101-105.
- يوستينيانوس:2.
- يوغرطة:40-46-52-53-54-56-57-58-59-60-61-62-63-64-65-66-67-68-69-70-71-72-73-74-75-76-77-78-79-104.

فهرس لأسماء القبائل والشعوب والإثنيات

– أ –

الأثيوبيين: 70.

الإسبان: 81 –163.

الإغريق: 3–12–13–33–81–163.

الأفارقة: 95.

الأنطونيين: 163.

الإيطاليين: 58–63–77–118–129.

– ب –

البزنطنيين: 16.

البومبيين: 83–84–85–86–88–155.

البونيقية: 47.

– ج –

الجيتـــــول: 3–8–10–17–70–71–80–99–100–101–102–103–104–105–110–127–123.

– ر –

الرومـــان: 2–3–4–7–9–11–13–15–16–18–20–21–22–25–26–27–28–29–30–31–33–34–37–39–40–41–42–43–44–45–46–47–48–49–52–53–54–55–56–57–60–61–62–63–64–65–66–67–69–70–71–72–73–74–75–76–77–78–79–8081–83–84–85–91–93–95–99–100–101–103–105–110–111–116–117–118–119–120–122–124–129–131–132–136–139–143–144–146–150–141–153–158–158–160–161–162.

الريجياني: 11.

– س –

السوريين: 163.

السيتافيوبيدوس: 11.

السيفيريين: 95-158.

سينيتي: 10-102.

- ش -

الشاوية: 2.

- غ -

غاراما: 3.

الغاليين: 81-163.

الغرامنت: 99-105-116-117-118-121-129-131.

- ف -

الفاماكور: 10.

الفلافيين: 131.

الفينيقية: 84.

الفينيقيين: 5-14-22.

- ق -

القرطاجيين: 20-21-22-23-25-26-27-28-29-31-32-33-34-35-36-42-43-44-45-50.

- ك -

الكابسيتاني: 10.

الكينتيين: 105-106-110.

- ل -

اللاتين: 3.

اللاتينية: 70-93.

الليبية: 99.

الليبيين: 12.

- م -

ماتيلغا: 3.
المارشوبي: 10.
المازيسيل (مازيسيليا): 7-8-9-10-11-13-24-30-103.
الماسيل (ماسيليا): 6-7-8-9-10-11-12-22-30-32.
المسلمين:4.
المغاربة: 12.
المور: 7-105-110.
الموريين: 118.
المـــوزيلامي (المزالمـــة): 10-92-99-101-102-103-104-105-107-109-110-112-120-131-141-161.
الموسوني: 10.

- ن -

الناتابود: 10.
النسيف: 10-11.
النمامشة: 2-14.
نوماداس: 12.
النوميـــديين: 6-8-11-12-23-26-32-38-41-47-50-5359-63-64-65-69-72-74-77-84-85-105-106-109-110-112-113-114-118-119-120-121-129.

- هـــ-

الهالياريديس: 11.
الهيلينية: 34.

- و -

الوريطانيين: 82.
الوندال:2.

فهرس لأسماء الأماكن والبلدان والمدن

-أ-

- الأبيض(وادي):16-134-140-144-145-146-149-150-159.
- أبينوم:71.
- الإبينين:81.
- الإتحاد السيرتي:87-129.
- أروبا:125.
- إسبانيا:20-21-56-82-88-125.
- الأسواق :34.
- أسوراس:129.
- آغار:85.
- الأغواط:10-15.
- إفريقيا البروقنصلية:89-91-121-99.
- إفريقيا الجديدة:46-53-87-88-91.
- إفريقيا القديمة:46-86-89-91.
- إفريقيا:2-3-26-29-36-38-46-48-49-50-56-60-64-68-71-76-78-79-80-82-83-84-85-87-88-95-96-98-100-113-115-121-122-125-143.
- أقنب:142.
- الألب:81-91.
- ألثيبورا:39.
- ألمانيا:98.
- أم الأصنام:140.
- أمبوريا :31-32-34.
- أنتوم:91.

- أوتيكا:25-26-41-47-82.
- أوتينا:129.
- الأوراس:2-3-6-18-80-91103-104-112-114-115-121-122-131-132-134-136-140-141-142-144-148-151-156-158-160-161.
- أورلال:17.
- أوروسكوبة:36.
- أوزيا:19-120-141- 142.
- أوزيتة:85.
- أولاد نايل(جبال): 143.
- إيطاليا:28-40-48-81-82-97-162.
- إيكوسيوم :14.

- ب -

- البابور(جبال):11.
- باتنة:6-11-16.
- باجه:46-67-68-70.
- باجيدا:113.
- بادس:17-18-139-151.
- بالبوس(جبل):25.
- البحر العربي :4
- البحر المتوسط:3-4-5-6-13-15-21-33-37-41-45-84.
- البحيرة الملكية :6.
- برانيس:150.
- البرواقية:142.
- بروسبينا:84-85.
- بريطانيا :104-125.

- بريكة(وادي):149.
- بسرياني:18-139.
- بلاد الإغريق:40.
- بلجيكا:98.
- بلزمه(جبال):17.
- البلقان:82-98.
- بوعازم(جبال):6.
- بولا- ريجيا:79.
- بومية :6.
- البيبان(جبال):118.
- بيدنة:33.
- بيرسة:43.
- البيض:142.

- ت -

- تابسوس:85-86.
- تادارت(حصن):134.
- تازولت:102.
- التافنة(وادي):22.
- تالة: 70-72-102-114-128.
- تاورة:158.
- تبرسق:46.
- تبسة(تيفيست):2-10-12-93-94-99-102-109-117-128-129-131-132-140-144.
- تدمر:96.
- تفيلزي:144.
- تكلات:118.

- تكوت:150.
- تهودة:17-18-134-139-151.
- توبوربومايوس:129.
- توبورسيكوم نوميداروم:118-132-.
- توسكا:36.
- توسكولوم:34.
- التوليانوم:76.
- تونس: 9-12-25-33-82-84-85.
- تيديس:102.
- تيرميدة:59.
- تيغانمين:136-146.
- تيمقاد:6-134.

- ث -

- ثامقرة :150.
- ثنية الواسطة:148.

-ج -

- جدي(وادي):17.
- الجريد(شط):17-80.
- الجزائر:9-12-14-91-103.
- جميلة:102.
- جميلي:17.
- جندلي(سبخة): 6.
- جيجل:14.
- جيرمانيا:104.

-ح-

- حاد رومات(سوسة):84-128.

- الحضنة(شط):142.
- الحضنة:2-14-17-80.
- الحفر الفينيقية :32.
- حيدرة (أمايدارا):3-95-101-102-109-113-114-117-128-129-131-132.

-خ-

- خشيم(جبل):46.
- الخمير:34-36.
- خميسة:102.
- الخندق الملكي :67.
- خنشلة:102- 131- 150.

- د-

- الدانوب(نهر):125.
- داية:148.
- الدوسن:17- 143-151.
- دوقة:12-39-46-67.
- الدولة(المملكة) النوميدية :2-6-7-11-21-26-38-40-57-60-76-77-80-81-86- 87-91-101.
- ديانا فيتيرانوروم:122.

- ذ-

- ذراع شيشة:150.

- ر-

- رادس:25.
- رأس بون:82.
- رأس تريتون:8-9.
- رأس ديماس:85.

- رأس سيدي المكي:26.
- الراين(نهر):125.
- رشقون(جزيرة):22.
- الرصاص(جبل):25.
- روسيكادا(سكيكدة):87-121-129.
- روما:28-34-35-37-38-45-46-47-60-62-63-64-65-66-67-70-72-74-75-76-78-79-81-92-93-94-113-116-155-162.
- روميلة:149.
- ريغ(وادي):80.

- ز-

- الزاب الغربي:17.
- زاما:28-29-30-31-32-33-45-69-82-86.
- زانة:122.
- زريبة الوادي:151.
- زريبة حامد:151.
- زغوان(جبل):46.

- س-

- سارقوسة :6.
- سبع مقاطع :148-151.
- سبيبة:128.
- سبيطلة:131.
- سدوري(حصن):142-143-151.
- السرت(خليج):10.
- السرت:25.
- سطيف :11.

- سفاقس:46.
- سلا:99.
- السهول الكبرى:26-27-28-34-36.
- سوتول: 66-67.
- سور الغزلان :119.
- سور جواب:141.
- سوريا:96-98-113-163.
- سوسة:28.
- سوف(وادي):80.
- سوق أهراس:10.
- سيدي الهاني:46
- سيدياس:150.
- سيرتا :2-6-1011-12-14-23-26-30-40-56-63-64-66-71-72-73-79-86-99-102-128-129.
- سيقا:14-22-23.
- سيكا فينيرا (الكاف):88.

- ش-

- شاشار(جبال):17.
- شبه جزيرة إيبيريا:22-56-71.
- شبيكة:139.
- شبيكة:148.
- شرشال:92.
- الشعير(وادي):142.
- الشلف(وادي):76-77.
- شمال إفريقيا :21-25-29-30-31-52-53-61-66-78-83-99-103-128-156.

- شولو(القل): 14 -87-129.
- شيليا:16.

- ص-

- صقلبية:25-41-79-82.
- صلداي(بجاية):14-77-79.

- ط -

- طافروت(جبل):6.
- الطاقة(وادي):134.
- طبرقة:79.
- طبنة:140-142-148.
- طرابلس :10-31-32.
- طولقة:17-142.

- ع-

- عبدي(وادي):16-134-136-140-159.
- العرب(وادي):16-17-134-144-150-159.
- عمور(جبال):143.
- عين التوتة:140.
- عين الزوي:131.
- عين زانه: 3-140.
- عين شابور:152.
- عين مخلوف :10.

- غ-

- غالة:81-91-93-104.

- ف-

- فرنسا:98.
- فريانة:127.

- فزان:99.
- فلسطين:98.
- فم قسنطينة:134.
- فيسيرا(بسكرة):17-10-139-140-144.
- فيكيرين(جبل):46.

- ق-

- قابس:102-109-127.
- قبرص :5.
- القرة:46.
- قرطاجة :2-3-4-5-6-7-14-21-23-26-28-29-31-32-33-34-35-37-38-39-41-42-43-44-45-46-47-48-49-50-52-62-67-82-84-87-128-129-160.
- قريرة:148.
- قسنطينة:6.
- قشطان(وادي):16-150-159.
- القصب(وادي):149.
- قصر باغاي: 140-150.
- قصرقوراي:128.
- قفصة:10-70-72-87-109-127-140.
- القنطرة(وادي):16-17-150-159.
- القنطرة:17-144-148-163.
- القهرة:142.

- ك -

- كالاما(قالمة):87-102-118.
- الكتلة الأوراسية:3-17-104-131-132-140.
- كليبية :25.

- ل -

- لاماسبا:122.
- لامباز: 122-143.
- لامبيريدي:122-140.
- لانوفيوم:143.
- لبدة:65-117-129.
- لمباز:134-140-144.
- لمساقه(وادي):87.
- لمطه:28.
- ليبدة الكبرى:34.
- ليبيا:10-91.
- ليون:81.

- م -

- الماء الحي:143.
- ماجور:150.
- ماركونا:140.
- مازوز(وادي):149.
- الماستانزوسوس:77.
- متلاوي:148.
- متليلي:141.
- متوسة :150.
- المثول(وادي):68-111.
- مجردة (وادي):26- 41
- مجردة(سهل):128.
- المحيط الأطلسي :3.
- مداوروش:10-102-132-152.

- مدوكال:142-143.
- مروانة:140.
- مسعد:15-143.
- المسيلة:2.
- مصر:83.
- المعذر:6-140.
- المغرب الأقصى :10.
- المغرب القديم :2-3-4-5-7-8-20-21-77-88-93-99-109-121-127-142.
- المقاطعة الإفريقية:46-47.
- المقاطعة الرومانية:83-86.
- مقدونيا:33-34.
- مكثر:12-39.
- ملاغو(وادي):16.
- ملاق(وادي):66-102.
- ملغيغ(شط):142.
- الملوية –الملوشة (نهر):7-8-53-70-72-73-86-122.
- مليان(وادي):129.
- مملكة المزاق:79.
- منبع الغزلان :150.
- منعة:144.
- موريطانيا :8-77.
- موريطانيا الطنجية:95-96.
- موريطانيا القيصرية:92-93-95-104-105-106-122-158.
- المونيستير:84.
- ميتاغونيوم:8.

- ميزاب(وادي):80.
- ميقارا:41-42.
- ميلاف(ميلة):87-128-129.

- ن-

- نابل:25.
- نرجيس(وادي):10.
- نقاوس:11.
- نقرين:144-148-151
- نومانس:55-61.
- نوميديا:6-9-11-12-15-20-23-26-31-38-40-45-49-52-56-60-61-62-63-64-65-66-74-76-77-78-79-80-86-87-89-91-95-96-98-101-102-118-125-131-158-161-163-164.
- نيفيريس:43.

- هـ -

- هنشير تنير :84.
- هنشير طينة:46.
- هيبوريجيوس:14-87-31.

- و-

- الوادي الحي 144.
- الوادي الكبير : 10-46.
- الوطاية:17-144.
- ولجة الرمان:136.

فهرسة الخرائط والأشكال

أولا: الخرائط

الخريطة	الصفحة
خريطة رقم 01: المملكة النوميدة الموحدة	**24**
خريطة رقم 02: حرب تاكفاريناس 17-24م	**108**
خريطة رقم 03: تنظيم شبكة الطرق في إفريقيا البروقنصلية ونوميديا أثناء فترتي حكم الإمبراطورين أغسطس وتراجان	**130**
خريطة رقم 04: أهم طرق المواصلات في إفريقيا الرومانية	**133**
خريطة رقم 05: الليمس النوميدي خلال القرنين الأول والثاني	**135**
خريطة رقم 06: الليمس النوميدي خلال القرن الثالث	**145**

ثانيا: الأشكال

الشكل	الصفحة
شكل رقم 01: جدار هادريان في بريطانيا	**126**
شكل رقم 02: قناة رومانية لنقل المياه حفرت على الضفة اليمنى للوادي الأبـــيض في مخنق تيغانيمين	**137**
شكل رقم 03: معصرة لزيت الزيتون ما تزال تشتغل بنفس الكيفية التي كانت عليها في القديم	**138**
شكل رقم 04: نقيشة لاتينية تخلد ذكرى إنشاء الطريق لمباز – تهودا سنة 145م...	**147**
شكل رقم 05: نموذج من أعمال الزراعة الرومانية في جنوب الأوراس	**154**
شكل رقم 06: نموذج من أعمال الزراعة والسقي بمنطقة بادس خلال القرن الثالث الميلادي	**157**

فهرس محتوى البحث

العنوان	الصفحة
المقدمة.....	أ-ي
مدخل: تحديد الإطارين الزمني والمكاني	
أولا: الإطار الزمني	**11-02**
1. ظهور الدولة النوميدية	**02**
2. التسمية وضبط الإطار الزمني	
أ. المازيسيل.....	**07**
ب. الماسيل	**09**
ثانيا: المملكة النوميدية الموحدة	**18-11**
1. الخصائص الجغرافية	**11**
2. التقسيم الجغرافي للأقاليم النوميدية	
أ. الإقليم الشمالي الساحلي	**11**
ب. إقليم الهضاب العليا	**14**
ج. إقليم السهوب:	
1. السفوح الأوراسية الجنوبية.....	**16**
2. رفارف الصحراء.....	**17**
الفصل الأول: نوميديا عشية الاحتلال الروماني	
أولا: العلاقات النوميدية القرطاجية	**49-20**
1. فترة حكم الملك سيفاكس	**27-20**
أ. الملك سيفاكس يوحد نوميديا	**20**
ب. الملك سيفاكس يتحالف مع قرطاجة	**23**
2. فترة حكم الملك ماسنيسا	**38-27**
أ. ماسنيسا يتحالف مع الرومان	**27**
ب. ماسنيسا يستعيد العرش النوميدي	**29**
3. فترة حكم الملك مسيبسا	**41-39**

ثانيا: الرومان يقررون تدمير قرطاجه..... 41
ثالثا: إنعكاسات تدمير قرطاجه على نوميديا 45
الفصل الثاني: طبيعة الاحتلال الروماني في شمال إفريقيا ورد الفعل النوميدي
أولا: مقاومة يوغرطه وانعكاساتها 52-80
1. مقاومة يوغرطه:
أ. مولد يوغرطه ونشأته 53
ب. خلفيات تبني مسيبسا لابن أخيه يوغرطه 54
ج. الصراع حول العرش النوميدي..... 57
د. يوغرطه يعيد توحيد نوميديا..... 62
هـ. يوغرطه يهدد المصالح الرومانية..... 64
و. يوغرطة يواجه الرومان..... 66
ز. بوكوس والرومان يتآمرون على يوغرطه..... 73
2. انعكاسات حرب يوغرطه على المنطقة 76
3. التطورات السياسية في نوميديا بعد هزيمة يوغرطه..... 79
ثانيا: مقاومة يوبا الأول ونتائجها..... 80-89
1. مقاومة يوبا الأول
أ. نشأة يوبا الأول 80
ب. مقاومته 81
2. نتائج مقاومة يوبا الأول على نوميديا..... 86-89
الفصل الثالث: مقاومة الأوراس والتخوم الصحراوية
1. النظام الإداري الروماني في نوميديا 91
2. النظام العسكري الروماني في نوميديا..... 95
3. انتفاضة القبائل الجيتولية في الجنوب النوميدي 99-104
4. انتفاضة الأوراس بقيادة تاكفاريناس 17-24 للميلاد..... 104-122
أ. المجال الجغرافي للانتفاضة 104
ب. إستراتيجية الانتفاضة 106
ج. أسباب الانتفاضة 107

د. مراحل الانتفاضة:

1. مرحلة جس النبض 110

2. مرحلة التوازن (الند للند)..... 112

3. مرحلة التراجع 119

هـ. نتائج فشل تاكفاريناس 121

الفصل الرابع: الليمس أحد الخطوط الدفاعية الرومانية في الجنوب النوميدي

1. امتداد خط الليمس من أغسطس إلى تيبريوس..... 124

2. ليمس القرن الأول الميلادي 131

3. ليمس القرنيين الثاني والثالث..... 139

4. السقاية والزراعة في مناطق الليمس 148-160

أ. أعمال الري:

1. تجميع المياه وتخزينها..... 149

2. نقل المياه 151

ب. النشاط الزراعي..... 155

5. انعكاسات مد خطوط الليمس الدفاعية 160

الخاتمة 165-169

فهرس المصادر والمراجع المعتمدة في البحث

أولا: المصادر الأساسية 171-172

ت. **المصادر باللغة العربية**..... 171

ث. **المصادر باللغات الأجنبية**..... 171

ثانيا: المراجع

1. المراجع باللغة العربية .....

أ. المقالات 172

ب. الكتب 173

2. المراجع باللغات الأجنبية
أ. الدوريات 175
ب. الكتب 178
3. القواميس والموسوعات 183

الفهـــــارس

فهرس لأسماء الأعلام 184
فهرس لأسماء القبائل والإثنيات..... 191
فهرس لأسماء الأماكن والمدن 194
فهرس الخرائط والأشكال
أولا: الخرائط 206
ثانيا: الأشكال 207
فهرس المحتوى 208